

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



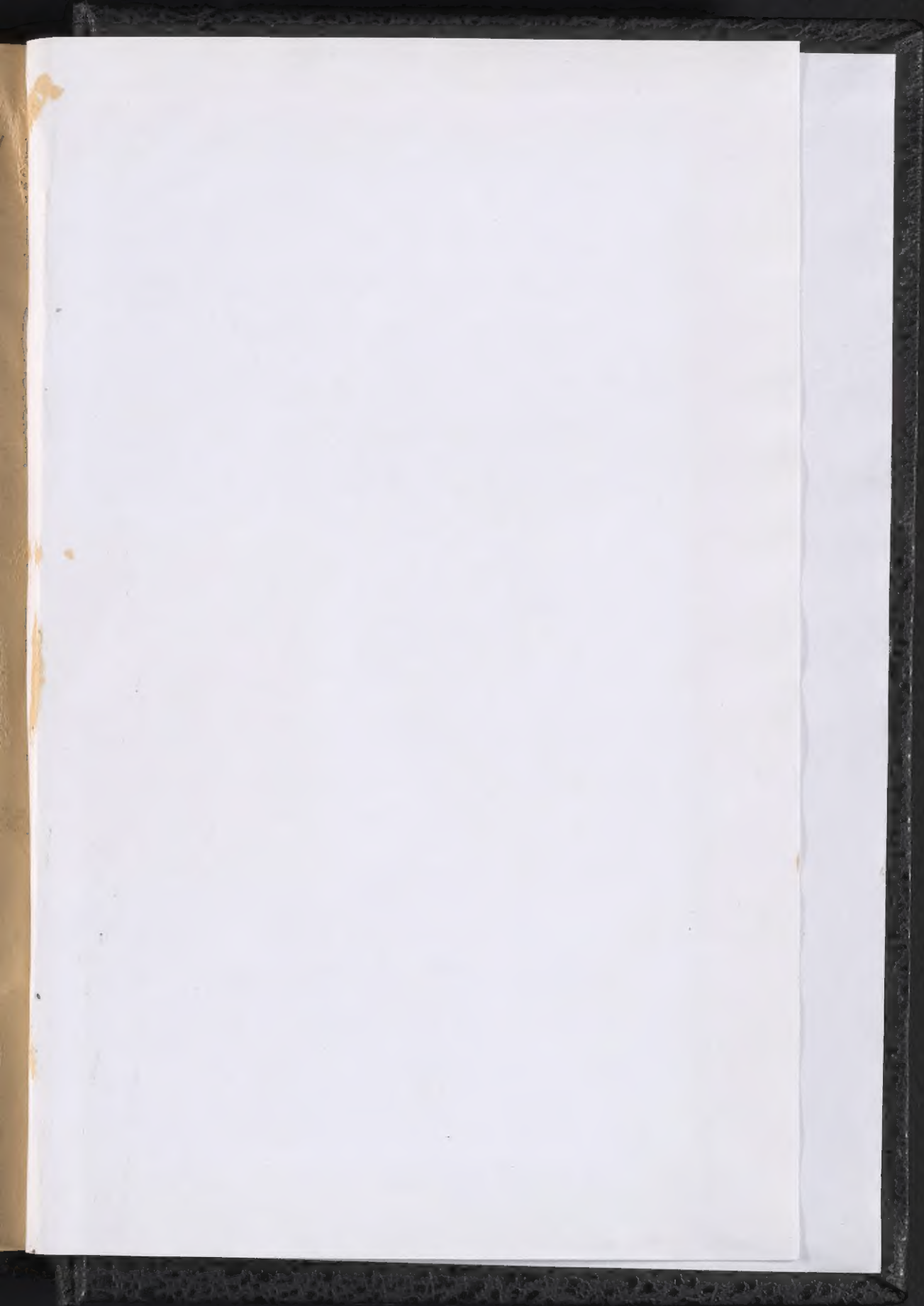
3 8534 01224 2941













BP  
80  
I29  
I2x  
1938

# العُقُودُ السَّالِةُ

من

مَنَافِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ

تأليف

الإمام الحافظ المحقق أبي عبد الله

محمد بن أحمد بن عبد الهادي

رحمه الله

٧٠٤ - ٧٤٤

بتحقيق

محمد عبد الرزاق

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

## فهرست

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥	قول الذهبي في حفظ	١	مقدمة المؤلف
الشيخ للحديث وجودة		٢	مولد الشيخ بجران وانتقاله مع
تأليفه		والده وأسرتة إلى الشام	
٢٦- (٦٧)	مصنفات الشيخ	٣	شيوخه وتحصيله العلم
٢٧	قول الشيخ ابن رشيقي في	٤	حفظه . وثناء الذهبي عليه
وصف تأليف الشيخ		٥	قول بعض قدماء أصحابه
٢٩	خطبة كتاب تنبيه الرجل	٦	شدته في الحق . وقول المزي
العاقل		وابن الزملاكاني	
٦٧	مقدمة الحموية وحقيقة	٩	قول ابن سيد الناس
الايمان باسماء الله وصفاته		١٢	« الشيخ البرزالي
وكتبه ورسله		١٣	لغز الرشيد الفاروقي و-واب
٨٧	جل نافعة في الرد على الجهمية	الشيخ عليه	
٩٥	بحث في الحمد والشكر مع	٢١	جواب الشيخ رشيد الفاروقي
ابن المرحل		٢٢	قول الذهبي أيضا



ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٧	بحث ثان في أن بين الحمد والشكر عموما وخصوصا	١٧٧	شجاعة الشيخ وبأسه عند القتال
١١٦	ثناء الذهبي على الشيخ	١٨١	بحث الشيخ مع الرافضة
١١٨	جهاد الشيخ لقازان رئيس التتار		في عصمة غير الانبياء
١١٩	قول ابن دقيق العيد		وتوجهه لقتال الكسروانيين
١٢٠	كتاب للشيخ يحضر الناس فيه على حرب التتار والصبر في ذلك . وتذكيرهم بغزوة الاحزاب ومقارنة فتنة التتار بفتنة الاحزاب	١٨٢	رسالة الشيخ الى السلطان الناصر في وجوب تطهير الجبل من الروافض الخبيثاء المفسدين
١٣٢	أقسام الناس بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم	١٨٤	اعتقاد الروافض في الصحابة والمسلمين
١٣٤	المتأفقون يوجدون في أهل البدع أكثر من غيرهم	١٩٠	حكم كثير من السنف على الرافضة بانهم ليسوا مسلمين
١٤١	مقارنة غزوة الاحزاب بغزوة التتار للشام	١٩٢	تمام الفتح أن ينشر القرآن والسنة الصحيحة في أهل هذا الجيل
١٧٥	وقعة شقحب في اول رمضان سنة ٧٠٢	١٩٤	إبطال حيل أهل الطرق المتصوفة الدجالين



ص الموضوع

١٩٥ قيام المبتدعين على الشيخ  
بسبب الحموية

١٩٦ انتقال الشيخ الى مصر  
للتحقيق معه

١٩٧ سجن الشيخ بقلعة الجبل

سنة ونصف ثم خروجه

واقامته بمصر يرد على

الملحدين من الاتحادية

١٩٨ حبس الشيخ في برج

الاسكندرية ثم اطلاقه

وارجاعه الى القاهرة مكرما

١٩٨ حكاية البرزالي ما وقع

للشيخ بدمشق من المحن

سنة ١٩٨٨ بسبب الحموية

٢٠٣ احضار الشيخ بمجالس نائب

السلطنة ومناقشته في العقيدة

٢٠٦ حكاية الشيخ لما حصل في

هذه المجالس

٢٣٢ ما كان في المجلس الثاني يوم

الجمعة ثانی عشر رجب

ص الموضوع

٢٤٠ بحث حسن يتعلق بدلالة

اللفظ على المعنى في صفات

الله تعالى وصفات الخلق

٢٤٣ وجود الشيء هل هو عين

ماهيته ، أم لا ؟

٢٤٥ الكلام على حديث الاوعال

٢٤٨ وصف سفر الشيخ من

دمشق الى مصر بأمر السلطان

٢٥١ كتاب أرسله الشيخ من

سجنه بمصر الى دمشق

٢٥٢ اخراج ابن مهنا للشيخ

من الجب

٢٥٤ قصيدة ابن عبد القوى في

مدح الشيخ

٢٥٥ اجتماع الناس على سماع

الشيخ في جامع الحاكم

وقراءته تفسير سورة الفاتحة

٢٥٦ عقد مجلس آخر في سادس

ربيع سنة ٧٠٧

وما جرى في هذا المجلس

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٧	كتاب الشيخ من مصر إلى والدته	٢٨٢	حلم الشيخ وعفوه عمن ظلمه
٢٥٩	كتاب آخر للشيخ من مصر إلى اخوانه بدمشق ينصحهم أن لا يؤذوا أحدا بسببه	٢٨٣	سكنى الشيخ بالقاهرة وتدرسه للناس
٢٦٧	شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وحبسه مرة أخرى	٢٨٤	كتاب من الشيخ إلى اقاربه بدمشق
٢٧٠	حكاية البرزالي لما وقع للشيخ في شوال سنة ٧٠٧ من القول في الاستغاثة بغير الله	٢٨٥	قيام جماعة من الغوغاة على الشيخ بجامع مصر وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصاراً للشيخ
٢٧٢	كتاب الشيخ شرف الدين بن تيمية إلى أخيه بدر الدين	٢٨٩	واقعة أخرى في أذى الشيخ بمصر وخروجه إلى الشام مع الجيش المصرى
٢٧٨	احضار الشيخ من سجن الاسكندرية إلى القاهرة . وحكاية لابن القلانسي في شجاعة الشيخ وطهارة قلبه واكرام السلطان له	٢٩١	التذكرة والاعتبار والانتصار للابرار ) وهو كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين في الثناء على الشيخ والوصية باتباعه وتأييده
		٣٢١	فتاوى الشيخ بدمشق وبعض اختياراته



ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧٦	قصيدة نجم الدين بن التركي في مدح الشيخ	٣٢٦	سجن الشيخ لفتيانه في الطلاق
٣٨٢	سؤال في القدر وجواب الشيخ عليه بالشعر فوق المائة بيت	٣٢٧	الكلام على شد الرحال الى القبور
٣٩٣	مراثي العلماء والشعراء	٣٢٩	سجن الشيخ بقلعة دمشق
»	مرثية ابن سلاار الشافعي	٣٣٠	نص فتوى الشيخ في شد الرحال
٣٩٥	» بهاء الدين بن عساكر	٣٤٢	انتصار علماء بغداد للشيخ
٣٩٧ - ٤١٢	مراثي أبي الشناء محمود الدقوقي	»	في مسألة شد الرحال
٤١٣	مرثية الشيخ محمد الجعبري	٣٥٢	تأييد علماء الشام المالكية للشيخ
٤١٥	» قاسم بن عبد الرحمن المقرئ	٣٦١	وفاة الشيخ بالقلعة. و وفاة عبد الله أخى الشيخ
٤٢٤	» نجم الدين بن ألمى التركي	٣٦٣	معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة
٤٢٥	» محي الدين الجوخى الخياط	٣٦٤	ما كتب الشيخ في السجن
٤٢٨	» برهان الدين التبريزي	٣٦٩	ما كتبه العلماء في وفاة الشيخ ووصف جنازته
٤٣٣	» الحافظ الذهبي	٣٧٥	تضرعات شعرية إلى الله تعالى قالها في السجن
٤٣٥	» أقش الشبلى		



ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٣٤	مرثية لبعضهم	٤٩٠	للشيخ صفى الدين البغدادى
٤٤٠ - ٤٥٤	مراث للشيخ	٤٩٣	« زين الدين بن أقرش
	سعدان بن نجيج، عدة قصائد		الشبلى
٤٥٥	مرثاة اخرى لبعضهم	٤٩٧	« شمس الدين الصالحى
٤٥٧	مرثيتان للشيخ بدر الدين		الحنبل
	النحوى الماردانى	٥٠٠	« مرثية لم يعرف قائلها
٤٦٢	للشيخ جمال الدين عبد	٥٠٢	كتاب للشيخ عبد الله بن
	الصمد الحنبلى		حامد فى الثناء على الشيخ
٤٦٥ - ٤٧٦	مراث للشيخ		والتأسف على عدم تمكنه
	عبد الله بن خضر المقيم		من لقائه
٤٧٦	للشيخ جمال الدين محمود بن	٥٠٧	مرثية الشيخ ابن الورى
	الأمير الحلبي	٥٠٩	« لم يعرف قائلها
٤٧٩	للشيخ على بن غانم المقدسى	٥١٠	« الشيخ احمد بن
٤٨١	لبدر الدين محمد بن عز		فضل الله
	الدين المصرى	٥٠٠	« محمد أبو طاهر البعلى
٤٨٦	للشيخ قاسم المقرئ		الحنبل
٤٨٨	« برهان الدين العجمى		

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعين ونستهدى ونستغفره . ونعوذ بالله من  
شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن  
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . والصلاة والسلام على أشرف رسل الله  
وخاتم أنبيائه الذي بعثه الله رحمة للعالمين . وإماما للمتقين . بعثه ليقيم الملة  
العوجاء ، وينقذ العقول مما كبلها به الخرفون ، والمترئون الدجالون ، والجهلة  
المتعصبون ، والسفهاء المقلدون لما ورثوا عن الآباء والشيوخ . وما زال هذا  
الرسول الأكرم يجاهد تلك الطوائف باللسان والسيف ، حتى أتم الله  
نوره ونصر عبده ، وأعز جنده . وهزم حزب الشيطان وحده . وتمت  
كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . ثم رفع  
الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . وتحمل أمانة العلم  
والدين والجهاد بعده صحابته الأبرار ، ووزرائه الأخيار . وما زالوا  
يمبدلون النفس والنفيس حتى خفقت راية الاسلام على مشارق الأرض  
ومغاربها ، وقام الداعون إلى الله يشقون بأصواتهم عنان الفناء مؤذنين :  
الله أكبر . الله أكبر . وما زال هذا الأمر على منضه العزة ، وكلمة الحق

على قمة الكرامة حتى استطاع أعداء الاسلام ان يندسوا بين ظهراني المسلمين ، وأن يلبسوا الحق بالباطل ويزخرفوا الشبهات والشكوك باسم الدين ، وفي صورة تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به . فردوا آيات الله وحرقوا كتاب الله . وعطلوا صفاته العليا . ونفوا أسماءه الحسنى التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم . وما زالوا يجلبون بنظريات اليونان ، ومقالات الفرس والهند ، وآراء الجعد بن درهم والجهنم بن صفوان واخوانهما من أولئك الزائعين الملحدين حتى راجت تلك الترهات ، ومضت في طريقها إلى القلوب المريضة تفرح بها ، وإلى الأقلام تسجلها على الصحف وتسود بها وجوه الكتب . وتنقلها جرائم فساد وإفساد إلى الذين فتنوا بها . وكلما انتقلت إلى طبقة زادت عندهم رواجاً وتمسكنا ، لبعدهم عن نور النبوة وعصر الرسالة . والآخر شر إلى يوم القيامة حتى كان القرن السادس الهجري ، وقد قام سوق هذه العقائد المفسدة ونفقت البدع والخرافات الشركية بعبادة الموتى والقبور وآثار الصالحين أيما نفاق . وملك على الناس أزمة عقولهم وقلوبهم الهوى والعصبية لآراء الشيوخ والمتبوعين في الأصول والفروع ، والسلوك . فقيض الله لهذا الدين بطلاً من أعظم الأبطال ، ومجاهداً من أشجع المجاهدين . هو شيخ الاسلام ابن تيمية فقد رزقه الله من كل أسباب الظفر ، وآتاه من كل آلات النصر في هذا الميدان : حافظة معدومة النظير ، وذكاء نادراً ، وفراغ وقت



وبال . وسعة صدر وعظم صبر . وصدق إيمان بالله ، وبصيرة وقادة  
وقلب حشى نوراً وهدى . وثقة بالله وحده . استغل شيخ الإسلام ابن تيمية  
كل ذلك فاثمر له أطيب الثمرات حتى كان في مجموعه نادرة الدهر .  
ووحيد العصر . وآية الله على عباده . كما سترى كل ذلك في هذه الترجمة  
وقد ترجمه علماء عصره ومن بعدهم تراجم واسعة . وأفاضوا  
في مناقبه أيما إفاضة . وأعجبوا كل الإعجاب بمواقفه التي يبيض الله  
بها وجه الإسلام أمام أعدائه : من النصارى واليهود والقتار ، والملحدين ،  
والرافضة ، والزنادقة ، والجهمية المعطلة ، والمبتدعة ، والمقلدين وعباد  
الموتى ، وغيرهم . وكيف صمد لهؤلاء جميعاً وآتاه الله من قوة اليقين  
وشجاعة القلب والنفس ، وقوة الحجة ما أخرسهم وقطع ألسنتهم  
وسود وجوههم ، حتى استعانوا عليه بالزور والافتراء والتحريف  
نقوله . ووصلوا في هذا الجو الجاهل إلى بعض ما أرادوا من حبسه . ولكنهم  
لم يصلوا إلى حجته ، ولا إلى لسانه ، ولا إلى قلبه وهديه . فكيف أفاد ،  
وكيف هدى إلى الله ، وكم أشعل مصباح العرفان وأضاء سراج السنة ، وأيقظ  
غافلين وعلم جاهلين . ولا يزال على مدى الدهر نبراساً للمهتدين ، وآية  
للسالكين ، وميزاناً نعرف بحبه والانتفاع بكتبه الضائين عمى القلوب  
من المهتدين إلى سبيل الله على بصيرة ونور . ومهما كتب السكاتبون  
في مدح ابن تيمية فهو لكل ما يقولون أهل . ومهما قال الجاهلون الضالون

الزائفون فعذرهم أنهم عمى القلوب والبصائر. وإن كثيرا منهم ليكتُمون الحق وهم يعلمون. بغيا وحسدا. فليموتوا بغیظهم ، كما مات سلفهم الأحق الجاهل الخادع الغاش . وابن تيمية بعد كل هذا في السماء الأعلى ، وفي صف الأئمة الأعلام ، ورفع الله - رغم أنف أولئك الزعانف المأفونين - على أرائك شيوخ الاسلام المهتدين الهادين

واسمع لما نقله الحافظ ابن رجب في طبقات الحنابلة في ترجمة الشيخ ابن تيمية - وقد ترجم له ترجمة واسعة - قال في أثنائها :

بقي في القلعة مدة يكتب العلم ويصنفه ويرسل الى أصحابه الرسائل ويذكر ما فتح الله به عليه في هذه المرة من العلوم العظيمة ، والأحوال الجسيمة . وقال عن نفسه :

فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن

ثم إنه منع من الكتابة ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلاوة والتہجد والمناجاة والذكر

قال شيخنا أبو عبد الله بن القيم : سمعت شيخنا شيخ الاسلام ابن تيمية . قدس الله روحه ونور ضريحه يقول :

إن في الدنيا جنسة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى  
أين رحت فهى معى لا تفارقنى . أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ،  
واخراجى من بلدى سياحة

وكان فى حبسه يقول : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندى  
شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جازيتهم على ما ساقوا الى من الخير .  
وكان يقول فى سجوده وهو فى السجن : اللهم أعنى على ذكرك  
وشكرك وحسن عبادتك

وقال مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه . والمأسور من  
أسره هواه

ولما دخل القلعة وصار داخل سورها . نظر إليه وقال ( فضرب  
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب )

قال شيخنا : وعلم الله ، ما رأيت أحداً أطيّب عيشاً منه قط ، مع  
ما كان فيه من الحبس والتهديد والارجاج . وهو مع ذلك أطيّب الناس  
عيشاً وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسروهم نفساً . تلوح نضرة النعيم  
على وجهه . وكنا إذا اشتد الخوف ، وسامت الظنون . وضائق بنا الأرض  
أتيناها . فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه . فيذهب عنا ذلك كله وينقلب  
انشراحاً وقوة و يقينا وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل



لقائه . وفتح لهم أبوابها فى دار العمل . فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها  
ما استفرغ قواهم لطلبها والمسايرة اليها . انتهى  
وها نحن نقدم اليك (العقود الدرية) من تأليف أحد كبار تلاميذ شيخ  
الاسلام . ونسختها الوحيدة على ما نعلم فى المكتبة الظاهرية بدمشق  
وعنها أخذ أصلنا الذى طبعنا عليه : الشيخان أبو عبدالله محمد بن حسن  
وأبو اسماعيل يوسف حسين بن محمد حسن  
وقد كتب بخط هندی فارسى جميل به صعوبات زلها الله .

## ترجمة الشيخ ابن عبد الهادى

محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى بن  
يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى ، الجماعى الأصل ، ثم الصالحى  
الفقيه المحدث الحافظ الناقد النحوى المتفنن ، شمس الدين :  
أبو عبد الله بن العماد أبى العباس

ولد فى رجب سنة ٧٠٤ وقرأ بالروايات . وسمع الكثير من القاضى  
أبى الفضل سليمان بن حمزة ، وأبى بكر بن عبد الدايم ، وعيسى بن  
المطعم ، والحجار . وزينب بنت الكمال . وخلق كثير . وعنى بالحديث  
وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل . وبرع فى ذلك وتفقه فى المذهب وأفتى

وقرأ الأصلين والعربية وبرع فيهما . ولازم الشيخ نقي الدين بن تيمية مدة . وقرأ عليه قطعة من الأربعين في أصول الدين للرازي . وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين الحراني . ولازم أبا الحجاج المزني الحافظ حتى برع عليه في الرجال . وأخذ عن الذهبي وغيره .

وقد ذكره الذهبي في طبقات الحفاظ . فقال : ولد سنة ٧٠٥ ، أو ست وسبع مائة — واعتنى بالرجال والعلم . وجمع . وتصدىقاً للإفادة والاشغال في القرآن والحديث والفقه والأصول . والنحو . وله توسع في العلوم . وذهن سيال

وذكره في معجمه المختصر . وقال : عني بفنون الحديث ومعرفة رجاله ، وذهنه مليح . وله عدة محفوظات وتأليف وتعليق مفيدة .

كتب عني واستفدت منه

قال : وقد سمعت منه حديثاً يوم درسه بالصدرية . ثم قال : أخبرنا المزني إجازة أخبرنا أبو عبد الله السرووجي أخبرنا ابن عبد الهادي — فذكر حديثاً

درس ابن عبد الهادي بالصدرية وغيرها . وكتب بخطه الحسن المتقن الكثير . وصنف تصانيف كثيرة ، بعضها كله ، وبعضها لم يكمله لهجوم المنية عليه في سن الأربعين

فمنها : تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لابن الجوزي ، مجلدان

الأحكام الكبرى المرتبة على أحكام الحافظ الضياء . كمل منها سبع مجلدات . الرد على أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي في مسألة الجهر بالبسملة . مجلد . المحرر في الأحكام . مجلد . فصل النزاع بين الخصوم في الكلام على أحاديث «أفطر الحاجم والمحجوم» . لطيفة . الكلام على أحاديث الذكر . جزء كبير . الكلام على حديث «البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته» جزء كبير . الكلام على حديث القلتين . جزء . الكلام على حديث معاذ في الحكم بالرأى . جزء كبير . الكلام على حديث «أصحابي كالنجوم» جزء . الكلام على حديث أبي سفيان «ثلاث أعطينهن يارسول الله» والرد على ابن حزم في قوله : انه موضوع . جزء . كتاب العمدة كمل منه جزءان . الكلام على أحاديث مختصر ابن الحاجب مختصر ومطول الكلام على أحاديث كثيرة فيها ضعف من المستدرك للحاكم . أحاديث الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جزء . منتقى من مختصر المختصر لابن جزيمة ، ومناقشته على أحاديث أخرجها فيه فيها مقال . مجلد . الكلام على أحاديث الزيارة . جزء . مصنف في الزيارة . مجلد . الكلام على أحاديث محلل السباق . جزء . جزء في مسافة القصر . جزء في قوله تعالى ( لمسجد أسس على التقوى -- الآية ) جزء في أحاديث الجمع بين الصلاتين في الحضر . الأعلام في ذكر مشايخ الأئمة الأعلام أصحاب الكتب الستة . عدة أجزاء . الكلام على حديث : « الطواف

بأنيت صلاة . جزء كبير في مولد النبي صلى الله عليه وسلم . تعلية على  
سنن البيهقي الكبرى . كل منها مجلدان . جزء كبير في المعجزات  
والكرامات . جزء في تحريم الربا . جزء في تملك الأب من مال ولده  
ماشاء . جزء في العقيقة . جزء في الأكل من الثمار التي لاحاط لها .  
الرد على ألكيا الهراسي . جزء كبير .

ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية . مجلد .

وذكر له عدة مؤلفات كثيرة

ثم قال : وله تعليقات كبيرة في الفقه وأصوله والحديث ، ومنتخبات  
كثيرة في أنواع من العلم . وحدث بشيء من مسموعاته . وسمع منه  
غير واحد . وقد سمعت من أبيه . فانه عاش بعده نحو عشر سنين  
توفي الحافظ أبو عبد الله في عاشر جمادى الأولى سنة ٧٤٤ ودفن  
بسفح قاسيون . وشيعه خلق كثير . وتأسفوا عليه . ورؤيت له  
منامات حسنة رحمه الله تعالى

منقولة عن طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب

نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم (٤٤١١ فن التاريخ)

هذا ونرجو الله أن ينفع بها . ويوفق المسلمين وعلماءهم لمثل

ما وفق له شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه .

وكتبه الفقير إلى عفو الله

محمد حامد الفقي

١١-٩-١٣٥٦هـ

١١-١-١٩٣٨م

القاهرة



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حسبي الله ونعم الوكيل

قال الشيخ الامام الحافظ الختق ، أم عبد الله : محمد بن أحمد بن عبد الهادي القدسي ، رحمه الله ورضي عنه . وأثابه الجنة بفضلہ ورحمته وإيانا وسائر المسلمين :

الحمد لله ، نحمده . ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد : فهذه نبذة يسيرة مختصرة في ذكر حال سيدنا وشيخنا : شيخ الاسلام ، تقي الدين ، أبي العباس أحمد بن تيمية . تيمية رحمه الله ورضي عنه وأثابه الجنة برحمته . وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته .

هو الشيخ الامام الرباني - إمام الأئمة ، ومفتى الأمة . وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، وفارس المعاني والألفاظ ، فريد العصر ، وقريع الدهر ، شيخ الاسلام بركة الأئمة وعلامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد وأوحد العباد فامع المبتدعين . وآخر المختفين تقي الدين أبو العباس : أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين ، أبي الحاسن عبد الحليم ، ابن الشيخ الامام العلامة ، شيخ الاسلام ، مجد الدين ، أبي البركات : عبد السلام بن أبي محمد عبد الله . بن أبي القاسم الخضر . بن محمد بن الخضر ، بن علي ، بن عبد الله ابن تيمية الحراني نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها .

قيل : إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء ، فرأى هناك طفلاً فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً فقال : يا تيمية ، يا تيمية ، فلقلب بذلك قال : ابن النجار ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية . وكانت واعظة . فنسب إليها وعرف بها .

ولد شيخنا أبو العباس بجران . يوم الاثنين عاشر - وقيل ثاني عشر - شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ إحدى وستين وستة وسام والداه وبأخوته إلى الشام عند جوار التتار ، فساروا بالليل ومعهم الكنب على عجة ، لعدم الدواب . فكاد العدو يلحقهم . ووقفت العجلة فالتفتوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا .

٦٦٧

وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستمائة ، فسمعوا من  
 الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي جز ، ابن عرفة  
 كله <sup>(١)</sup> ثم سمع شيخنا الكثير من ابن أبي اليسر والكمال  
 ابن عبد ، والمجد بن عساكر وأصحاب الخشوعي . ومن الجمال يحيى بن  
 الصيرفي ، وأحمد بن أبي الخير والقاسم الأربلي . والشيخ نحر الدين بن  
 البخاري والكمال عبد الرحيم وأبي القاسم بن علان . وأحمد بن  
 شيبان ، وخلق كثير

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ .  
 وسمع مسند الامام أحمد بن حنبل مرات . وسمع الكتب الستة  
 الكبار والأجزاء . ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير .  
 وعنى بالحديث وقرأ ونسخ ، وتعلم الخط والحساب في المكتب .  
 وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبد الغوي ثم فهمها  
 وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو ، وأقبل على التفسير  
 إقبالا كلياً . حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير  
 ذلك .

هذا كله وهو بعد ابن اضع عشرة سنة . فانهز أهل دمشق من  
 فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته . وسرعة إدراكه

(١) كانت في الأصل « ذلك »



واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال سمعت في  
البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت  
قاصداً لعلّ أراه . فقال له خياط : هذه طريق كتابه وهو إلى الآن ماجاء  
فاقعد عندنا . الساعة يحجى . يعبر علينا ذاهباً إلى الكتاب . فجلس الشيخ  
الحلي قليلاً ، ثم صبيان ، فقال الخياط للحلي : هذاك الصبي الذي معه  
اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية . فناداه الشيخ ، فجاء إليه ، فتناول الشيخ  
اللوح ، فنظر فيه ثم قال : يا ولدى امسح هذا حتى أملى عليك شيئاً تكتبه .  
ففعل ، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر ، أو ثلاثة عشر ، حديثاً  
وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ، ثم دفعه إليه  
وقال : اسمعه على فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع . فقال له : يا ولدى  
امسح هذا ، ففعل ، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا ، فنظر  
فيه ، كما فعل أول مرة . فقام الشيخ ، وهو يقول ، إن عاش هذا الصبي  
ليكون له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله . أو كما قال .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي - نشأ : يعني الشيخ تقي الدين -  
رحمه الله في تصون تام . وعفاف وتأله وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل . كل  
وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره . وينظر ويفهم الكبار ، ويأتي  
بما يتحير منه أعيان البلد في العلم . فافتي وله تسعة عشرة سنة : بل أقل  
وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت . وأكبر على الاشتغال ومات

والده - وكان من كبار الخناينة وأتمهم - فدرس بعده بوظائفه ، وله إحدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره ، وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجمع على كرسى . من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتعالم . وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح .

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا - وقد ذكر نبذة من سيرته :-

أما مبدأ أمره ونشأته ، فقد نشأ من حين نشأ في حِجور العلماء ، راشفا كؤوس الفهم راتعا في رياض التفقه ودوحات انكسب الجامعة لكل فن من الفنون ، لا يلوى إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعاني الأمور ، خصوصا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ، ولم يزل عن ذلك خلفا صالحا سلفيا متألها عن الدنيا صَيِّناً تقياً ، براً بأمه ، ورعا عفيفاً ، عابداً ناسكاً ، صواماً قواماً . ذا كرا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال ، رجاءاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا ، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه . آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالمعروف ، لا تكاد نفسه تشبع من العلم ، فلا تروى من المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ، ولا تَكُلُّ من البحث ، وقلَّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله . مقصوده الكتاب والسنة .

واقدم سمعته في مبادئ أمره يقول : إنه ليقف خاطري في المسألة والشئ

أو الحالة التي تشكل على فاستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل ،  
حتى ينشرح الصدر وينفعل إشكال ما أشكل ، قال : وأكون إذ ذاك ،  
في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة ، لا يمنعني ذلك من الذكر  
والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي .

قال هذا صاحب : ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا  
اجتمعت به في ختم أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين ،  
وتذاكروا وتكلم مع حادثة سنة أجد الكلامه صولة على القلوب ،  
وتأثيرا في النفوس ، وهيبة مقبولة ، ونفعا يظهر أثره وتنفع له النفوس  
التي سمعته أياما كثيرة بعقبه ، حتى كان مقال به بأسان حاله ، وحاله ظاهر  
في مقاله . شهدت ذلك منه غير مرة .

قلت : ثم لم يبرح شيخنا رحمه الله في ازدياد من العلوم وملازمة  
الاستغفار والإشغال ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سُبُل الخير ،  
حتى انتهت إليه الامامة في العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة  
والسكينة والنواضع والحلم والآلة <sup>(١)</sup> والجلالة والمهابة والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر . وسائر أنواع الجهاد ، مع الصدق والعفة والصيانة .  
وحسن التصدد والاخلاص ، والابتغال إلى الله وكثرة الخوف منه .  
وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالآثر ، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق .

(١) بهامش الأصل « لعله الاناة » وكل منهما صحيح



ونفع الخلق والاحسان اليهم والصبر على من آذاه ، والصفح عنه والدعاء له ، وسائر أنواع الخير .

وكان رحمه الله سيفاً مسلواً على المخالفين ، وشجىً في حلق أهل الأهواء المبتدعين ، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين ، وكان بحراً لا تُكدره الدلاء وحبراً يقتدى به الأخيار الألباء ، طنت بذكره الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار .

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج<sup>(١)</sup> ما رأيت مثله : ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه . وقال العلامة كمال الدين بن الزمكاني<sup>(٢)</sup> : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرأى والسمع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله . وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهيبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فاقطع معه . ولا تتركهم في علم من العلوم ، سواء كان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله وانسوا بين أيديه . وكنت له اليد الطولى في حسن

---

(١) هو الإمام الحافظ الناقد : أبو الحجاج يوسف المزى . ولد سنة

٦٥٤ بالمزة . وتوفي سنة ٧٤٣

(٢) قاضى القضاة . الشافعى . ولد سنة ٦٦٧ . وتوفي ببليس سنة

٧٢٧ . ودفن بالقاهرة .

التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين .

ووقعت مسألة فرعية في قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر . فكتب فيها مجلدة كبيرة . وكذلك وقعت مسألة في حد من الحدود ، فكتب فيها مجلدة كبيرة ولم يخرج في كل واحدة عن المسألة ، ولا طول بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء . وأتى في كل واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها .

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضا ، على كتاب بيان الدلائل على إبطال التحليل اشبخنا - وقد ذكر ترجمته - فقال : من مصنفات سيدنا وسيخنا وقدوتنا الشيخ السيد الامام العالم العلامة ، الأوحد البارع ، الحافظ نزهة الورع ، القدوة الكامل العارف ، تقى الدين : شيخ الاسلام ومفتى الأنام ، سيد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء ، ناصر السنة ، فامع البدعة حجة لله على العباد ، راد أهل الزيغ والعناد ، أوحد العلماء العاملين آخر المحتدين أتى العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد بن تيمية الحراني . حفظ الله على المسلمين طول حياته . وأعاد عليهم من بركاته . إنه على كل شيء قدير .

وقرأت أيضا بخطه - على كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام - :

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الأَوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد  
القدوة إمام الأئمة ، قدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ،  
آخر المجتهدين أَوحد علماء الدين ، بركة الاسلام حجة الأعلام ،  
برهان المتكلمين ، قانع المبتدعين محيي السنة ، ومن عظمت به لله علينا  
المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت بركاته وهديته المحجة .  
تقى الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني .  
أعلى الله مناره وشيّد به من الدين أركانها .

ماذا يقول الواصفون له \* وصفاته جلّت عن الحصر  
هو حجة لله قاهرة \* هو بيننا أعجوبة الدهر  
هو آية للخلق ظاهرة \* أنوارها أربّت على الفجر  
وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبي <sup>(١)</sup> . يقول فيها :  
سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الامام العالم العلامة الأَوحد شيخ  
الاسلام ، مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم ، حبر القرآن  
تقى الدين سيد العباد : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية  
الحراني . رضى الله عنه .

وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليعقوبى

---

(١) الامام محمد بن أحمد بن عثمان . ولد سنة ٦٧٣ . وتوفى سنة ٧٤٨



المصرى <sup>(١)</sup> ، بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبي الحجاج  
المزنى — : وهو الذى حدانى على رؤية الشيخ الامام شيخ الاسلام  
تقى الدين أبى العباس أحمد بن الحليم بن عبد السلام بن تيمية .  
فألقيته من أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنين والآثار حفظا  
إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو  
ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم  
يُرَ أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من درايته . برز فى كل فن على  
أبناء جنسه . ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه . كان  
يتكلم فى التفسير فيحضر مجلسه الجم الغفير ، ويردون من بحر علمه العذب  
النير ويرتعون من ربيع فضله فى روضة وغدير ، إلى أن دب إليه من  
أهل بلده داء الحسد ، وألب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه  
[ فى ] حنبلية من أمور المعتقد فحفظوا عنه فى ذلك كلاما ،  
أو سعوه بسببه ملاما ، وفوقوا للتبديع سهاما ، وزعموا أنه خالف  
طريقهم ، وفرق فريقهم ، فنازعهم ونازعه ، وقاطع بعضهم وقاطعه  
ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة . ويزعمون أنهم  
على أدق باطن منها وأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق وذكر لها —

(١) محمد بن محمد الأندلسى ، ثم المصرى . ولد سنة ٦٧١ . وتوفى

على مازعم - بواقع . فأضت إلى الطائفة الأولى من منازعيه ، واستعانت  
 بذوى الضغن<sup>(١)</sup> عليه من مقاطعيه ، فوصلوا بالأمرء أمره . وأعمل كل  
 منهم في كفره فكره . فكتبوا محاضر ، وألبوا الرؤيضة للسعي بهين  
 الأكابر . وسعوا في نقله إلى حضرة الملكة بالديار المصرية . فنقل وأودع  
 السجن ساعة حضوره ، واعتقل ، وعقدوا لاراقة دمه مجالس ، وحشدوا  
 لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس من محامل في المنازعة .  
 مختال بالخداعة ، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة ، يسومونه ريب  
 المنون ( وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ) وأيس المحاهر بكفره  
 بأسوأ حالا من المختال . وقد دبّت إليه عقارب مكره ، فرد الله كيد كل في  
 نحره . فنجاه على يده من اصطفاه والله غاب على أمره ، ثم لم يخل بعد ذلك من  
 فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة ، إلى أن فوَّض  
 أمره لبعض القضاة فقلَّد ماتقداً من اعتقاله . ولم يزل بحبسه ذلك إلى حين  
 ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله . وإلى الله وجع الأمور وهو منقطع على خائنة  
 الأعين وما تخفي الصدور . وكان يومه مشهوداً ضاقت بجنائزه الطريق وانتاب  
 المسلمون من كل فج عميق . ينبرون مشبهه يوم يقوم الأشهاد . ويتمسكون  
 بشرِّ جمعه<sup>(٢)</sup> حتى كسروا تلك الأعواد . وذلك في ليلة العشرين من ذي القعدة

(١) في الأصل « الضغن »

(٢) الله جمع - كجعفر - : النعش والجنائزة

سنة ٧٢٨ ثمان وعشرين وسبعائة قلعة دمشق المحروسة . وكان مولده  
بحران في عاشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة  
رحمه الله وإيانا .

ثم قال : قرأت على الشيخ الامام حامل راية العلوم ، ومدرك غاية  
الفهم ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية  
رحمه الله بالقاهرة - قدم علينا - قلت له : أخبركم الشيخ الامام زين الدين  
أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى - ثم ذكر حديثا  
من جزء ابن عرفة .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي <sup>(١)</sup> في معجم شيوخه :

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم  
بن محمد بن تيمية الحرانى ، الشيخ تقى الدين أبو العباس الامام الجمع على  
فضله ونبله ودينه . قرأ الفقه <sup>(٢)</sup> وبرع فيه والعربية والأصول ، ومهر فى  
علمى التفسير والحديث . وكان إماما لا يلحق غبار به فى كل شىء ، وبلغ  
رتبة الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير  
بهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراد وإعطائه كل قول

---

(١) هو القاسم بن محمد ، الامام الحافظ الناقد . ولد سنة ٦٦٥ .  
ومات سنة ٧٣٨ فى طريقه إلى الحج ، محرما .

(٢) فى مجموعة الرد الوافر (ص ٦٥) قرأ القرآن وبرع فيه

ما يسنحته من الترجيح والتضعيف والابطال . وخوضه في كل علم كان  
الحاضرون يتصنون منه العجب ، هذا مع انقطاعه الى الزهد والعبادة  
والاشتغال بالله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا . ودعاء الخلق الى الله  
تعالى . وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على الدرس يفسر القرآن العظيم  
فانتفع بمجلسه ومركة دعائه وطهارة أفاسه وصدق نيته . وصفاء ظاهره  
وباضنه . وموافقة قوله لعمله وأبى الى الله خالق كثير . وجري على  
طريقة واحدة من اختيار الفقر والنقل من الدنيا رحمه الله تعالى ، ورد  
ما يفتح به عليه .

وفال في موضع آخر : كان قد نظم شيئاً سيرا في صغره . وكتبت  
عنه إذ ذاك . ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه ، وسئل عن مسألة القدر  
بنظم ، فاجاب فيها بنظم . وقد قرىء عليه وسمع منه . وحل أغز  
الرشيد الفارقي بآيات تشمل على نحو مائة بيت على وزن الغر . وذلك  
في حياة والده رحمه الله تعالى ، وله نحو العشرين من العمر وكان حله في  
أسرع وقت .

قلت : هذا الغر الذي أشار إليه الشيخ علم الدين نظمته الشيخ الامام  
العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن اسماعيل بن مسعود الفارقي في  
اسم الغزة . بوصف أبرزه ، في لفظ أوحده . فهم آخره  
عالم ثلاثي الحروف فتثمه \* مثل له ، والثالث ضعف جميعه



والثلث الآخر جوهر حت به ال \* أ عراض جمعاً ، فاعجبوا لبديعه  
وهو ثلثات ، جذره مثل له \* وإذا يربع باب في تربيعة  
جزء من الملك العلي ، وإياه \* يقبه خوف ، أو أمان مروعه  
حي جماد ساكن متحرك \* إن كنت ذا نظر إلى تنويعه  
وتراه مع خمسه عدد كونه \* معناه سرا بغير مذيعة  
وبغير خمسيه جميع النجوم \* دود ومحول على موضوعه  
وبحانه فعلى مضي مستقبلاً \* حمات صناعته لحد صنيعة  
قيد مناطه ، خصوص عمومه \* ريد لفردة على مجموعته  
أي مقيم في الرحيل وممكن \* كالاستحيل ، بطيئه كسريعه  
وأهم معنى الشرع والدين اسمه \* ومضاهه بأصوله وفروعه  
ودقيق معناه الجليل مناسب \* علم الخليل<sup>(١)</sup> وليس من تقطيعه  
وإذا عروضي تطاب حله \* ألفاه في المفروق أو مجموعته  
وإذا زصعه بدر فريده \* عتدا يزين الدر في ترصيعه  
للمنطق وللحكيم نتاجه \* وعلاجه بذهابه ورجوعه  
وله شعار أشعري واعتقا \* دحنبلي ، فاعجبوا لوقوعه  
وتمامه في قول شاعر كندة : \* ما حافظ للعهد مثل مضيعه  
يرويكن في ظماً ندّي بوروده \* ويريك في ظلم هدى بطلعه

---

(١) هو علم العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد

ولقد حلت الغز إجمالا وفي \* تفصياه تفصيل روض ربيع  
فاستجل بكرة من ولي بالخلي \* تهدي لكف الفضل بين ريعه  
فأجاب العبد الفقير لى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام  
ابن تيمية ، حلا لمعضله ، وفصلا لجمله ، وفتحاً لمقوله ، وشرحاً لمشكله :  
يا علما قد فاق أهل زمانه \* بفنونه وبياته وبديعه  
وغدا لأعلام العلوم منارهم \* يهدي الهداة إلى منير ريعه  
وأجاد نظما عقدا جيد عقيلة \* من در بحر العلم فى ترصيعه  
وجلا المعارف فى عوارف لفظه \* أخذاً لعرف العلم من ينبوعه  
وأبان عما قد حوى من كل فنه \* ن قد أحاط بأصله وفروعه  
بيانه السحر الحلال ولفظه \* العذب الزلال ولفظ حسن صنيعه  
بغزير علم وافتنان واسع \* ألغزت علما فى فنون وسيعه  
حليته بدقيق وصف صنته \* بجليل لفظ نه عن موضوعه  
روصفته بحلى العلوم وأهلها \* وثعته بضروبه وضروعه  
وجمعت فى أوصافه الاضدا \* د ، حتى استيأس الطلاب من تتبعه  
والعبد لما أن تأمل نظمكم \* بنظامه ألقى له فى روعه :  
أن الذى أغزتم عيى ولم \* ما يجعل المظنون من مقطوعه  
لكنه أسمى يحليه بما \* حليته ويغوص فى توقيعه  
حتى تجلّى الحق من ظلماته \* فى ليلة من قبل وقت هجوعه

فإذا الذي قد عن أول مرة \* حق تبلج فخره بطلوعه  
ورأيت فيه الوصف إما باديا \* أو خافيا معناه في مسموعه  
لدقيق مغزاه ولطف إشارة \* وبعد حلاه عن موضوعه <sup>(١)</sup>  
فغدوت أكشف عنه كشف موجزا \* بأشيرة تهدي شطر نقيعه  
فاسمع حل حلاه في تفصيله \* واشهد بقب مقبل بهطوعه  
«العلم» نطق ذو ثلاثة أحرف \* وهجاء كل مثل ما مجموعته  
فاذا يكون مركبا من تسعة \* جذرا لها، فانظر إلى تريعه  
ومربعا ساواه جذر حسابه \* ومثالثا بحدوده وضلوعه  
ويكون ثلثا، فثث مثله \* هو : لامة، إن خست في توزيعه  
واليم في الجمل الكبير حسابه \* هو أربعون بقول أهل ربيعه  
واليم في الجمل الصغير حسابه \* عشرون، هذا الثلث ضعف جميعه  
والثنتين . عين كل ذاته \* هو جوهره والوصف في موضوعه  
إد كانت الأعين قائمة به \* أعراض جمعا، فافطنوا لجموعه  
حكم يخص أمين حرفا واحدا \* من بين جنس الحرف في تنويعه  
هو تسعة في اسمه والعلم العا \* وي : منه تسعة برقيعه  
العرش والكرسي والسبع السبع \* وات الطباقي، فالاسم جزء ربيعه

(١) كذا بالأصل . وليحرر

من عالم الملكوت، أغنى الغيب، إذ  
 لم يبق إلا جنة أو جاحم  
 بالعالم يحيى الله قلباً ميتاً  
 فلأنه يحيى. اسمه: حي. إذ لا  
 ولأنه يسرى. اسمه: متحرك  
 ذا الوصف عقلي، وفي حسيته  
 إذ كان نوع العلم معنى جنسه  
 والحى والمتحرك الوصفان يحد  
 إذ كان في المحسوس بس بقائم  
 أما إذا ما جرد العقول فالـ  
 ثلثه حرفا العين والميم هما  
 لو إذ جمعت حسبه في أكثر<sup>(١)</sup>  
 فربما يضحى، ويضحى جذره  
 فجذر علته ومعلوم أنه  
 وجذر معلول جذر كائن  
 ويكونه معلول معلول أنه  
 عنه كنى لعلو شأن صنيعه  
 فيه الخفاة: أو أمان مروعه  
 يسرى كنور ضاء حين سطوعه  
 أحياء فرع حياة رب صنيعه  
 لوحا تنقله بذهن قريعه  
 هو جامد، هو ساكن بر بوعه  
 عرض يقوم بمستوى موضوعه  
 تصان شخصا جوهرها ببقيعه  
 عرض بآخر مثله وتبعية  
 ووصفان في المعنى له بر بوعه  
 في اللفظ من عدد وفي تنويعه  
 وأضفت خمسبه إلى مجموعته  
 مع أربع عشر لئلا تربيعة  
 من حيث مدهور عند لوقوعه  
 معونه. وفهم مدار رجبته  
 قد صدر معلولا له بر بوعه

(١) بهامش الأصل: نعه «أكبر»



ويقول: إن العلم منه النحو، هـ ———— هذا إن ترد حملاً على موضوعه  
 فإذا يكون الضم علة كون هـ ———— هذا الجمع علة نفسه وجميعه  
 وبغير خمسه يعود لأصله علماً، وعلم النحو بعض فروع  
 وإذا اعتبرت حروفه أقيته فعلاً مضى لغة وفي موضوعه:  
 حكم على المستقبلات وغيرها لعمومه متعلقاً وذووعه  
 إذ من خصائصه تعلقه بك ———— بل يحقق مع سبقه لوقوعه  
 أكرم به أمراً عظيماً نفعه حمدت صناعته بحمد صنيعة  
 والفعل فيه مصدر وزمانه وضعاً وملتزوم لرب صنيعة  
 فلذلك كان مقيداً ومخصصاً لعموم جنس العلم في تنويعه  
 هو مفرداً نوع حوى أشخاصه فإذا تركب خص في تجميعه  
 فيصح حينئذ مقالة قائل: قد زاد مفردة على مجموع  
 هو ثبت في كل حال ممكن ذو عزة صعب على مُسطيعه  
 حتى يدل فيحمد القوم الشرى وإذا يقال بطيئه كسزيعة  
 فابطء والاسراع ليس بنفسه بل في الطريق وفي اقتناص منيعه  
 والعلم بالرحمن أول صاحب وأهم فرض الله في مشروعه  
 وانه المدينة طاب لمزاده أبداً، ولما ينهه تقطوعه  
 وأب، ففقتة إليه أشد من فقر الغداء نعلم حكم صنيعة

في كل وقت والطعام ، فيما  
وهو السبيل إلى الحسن كلها  
وإليه يسند كل فن نافع  
لجلالة المعلوم والمطوف انتهى  
فالعلم ميزان الحقائق ونعمرو  
والأسم بالتجريك <sup>(١)</sup> من مفروقه  
هو واسط عقد المعاني كـ  
وعلاجه بالجد في تخصيص  
ونسكل قوم منه حظ وافر  
بشعائر المشاعر وقواع  
وجميعه متفرق في بوله  
فالعينه واللامه والميم  
يروى بما حان في ررده  
وبرى بمور هده في سينه  
ضوعه لما أنان بموره  
جلى الجلى بعد بعد بدود

يحتاجه في وقت شدة جوعه  
والعالحات . فسواة لمضيعة  
بل فارغ بأصوله وفروعه  
للعلم كان مناسباً لبديعه  
ض ، كذاك ميزان لدى تقطيعه  
ونعمل بتسكين من مجموع  
وبه وزن الحلي في ترصيعه  
بتمدد نتاجه وينوعه  
وحقائق التحقيق في مشروعه  
غنائد المعقول في مسموعه  
ماحفظ للعهد مثل مضيعة  
من ذا الكلام الحظ في تبضيعة  
ظمان تحقيق إلى ينبوعه  
حيران ندقيق طوع سطيعه  
قصد السبيل لحل عقد بديعه  
مع قرب متفقد وقرب مسموعه <sup>(٢)</sup>

(١) بهامش الأصل : صوابه « بالتسكين »

(٢) في الفاهوس : المسع - بكسر الميم - : اسم ريح الشيا

والمسعى - فتح الميم وتشديد الياء - : الرجل الكثير السير القوي .

وأبان مجله ، وفصل عقده  
 وحلى جمال البكر في حلى الحلى  
 نخذ الجواب مخلصاً فيه اللبا  
 مع أن نظم الشعر غير محصل  
 من خاطر مستعجل مستوفز  
 لم يجعل التحليل من مصممه  
 إذ كان مخلوقاً لا أكبر غاية  
 وعليه من أمر الآله ونبيه  
 لكنه لا بد له صدور من  
 مع أنه مُزجى البضاعة نظمه  
 عبد دليل عاجز متضعف  
 لكنه لم استعان بربه  
 فاعانه يسر الجواب فن يكن  
 فالحمد والفضل العظيم لربنا  
 إذ ما بنا من نعمة فيمنه  
 أو إن يكن خطأ في ، حيث أن  
 فالنقص الإنسان وصف لازم  
 ولروضه الألف ارتعى برتوعه  
 قافتضها كفء ثوت برتوعه  
 ب ملخصاً في نظمه لسميعه  
 كمال مغزاه وشرح جميعه  
 لم يعن التفكير في مرجوعه  
 كلا ، ولا الفضلات من مصنوعه  
 دار القرار جميله وقطيعه  
 ماياقت المعقول عن تضييعه  
 نقش يريح فؤاده بنخوعه  
 غر بحكم اللفظ في تسجييعه  
 في حال مبداه وحال رجوعه  
 ثم استكان له بذل خضوعه  
 حقاً رفق الوصف في توقيعه  
 شكراً على محمود حسن صنيعه  
 واخير منه جميعه بهموعه  
 لم أستطع متناولاً لرفيعه  
 إن كان يعرف نفسه بنخوعه

والحمد لله الرحيم بخلقه البر . الودود بعبده ومطيعه  
وميسر الخطب العسير باطقه من بعد منعه وبعد منيعه  
ثم الصلاة على النبي وآله والمصطفين من الأنام جميعه  
وعليهم التسليم منا دائماً ما اهتزوجه الأرض بعد خشوعه  
فلما وقف الشيخ رشيدٌ على هذا الجواب ، كتب إلى منشئه  
الشيخ تقي الدين بن تيمية ، رضى الله عنه :

أحسن في حل المسمى وما سمي . ولكن جاء بالمثل  
وجاوز الجوزاء بالنطق . والشعرى : شعر رائق جزل  
جأت معانيه . فشكراً له مصحف ، والحل كالحل  
أحمد ، وزن الفعل فيه ، وفي التثنية وزن القول والفعل  
كأنما أحرفه مثلت تلى عليه ، وهو يستمل  
وحق بالتمخر فتى جدّه الجّد . وقد بُورك في النسل  
فستهل الله من في اسمه العدل . مكفآت على الفضل  
فنظر والد الشيخ تقي الدين بن تيمية بعد ذلك في اللغز ، وحله في  
لعظة أخرى . ونظم في ذلك قصيدة

وكتب إليه الشيخ رشيد الدين جواباً لها :



ما مثل لغزى ، ولم يسم به      مَنْ لم يماثل في الفضل والأدب  
 بخاطرٍ حاضرٍ يُضَى ولا      ينكر ضوءاً لواحد الشهب  
 شيخ شيوخ الاسلام قاطبةً      مفتى الفريقين حُجَّة العرب  
 شنف سمعى بالدرّ من كليمٍ      تُروى فتروى بالدرّ من سحب  
 وكان لغزى من فِضةً فعلاً      شعراً وشعراً . وصار من ذهب  
 فالفخر للمجد بالشهاب وللشهاب بالمجد ذروة النسب  
 ذروة والعنان يحسبها      ذرّية للشروق في السحب  
 وإن تَقَقَّت رسوم بلدته      وهى خيار البلاد والترب  
 قبلدة الأفق حَآها عوضاً      عنها بفضل يسمو على الترب  
 وإن قلبى أضحى له وطناً      وفيه أنسٌ لكل مغترب  
 هذا ثنائى مع الحمول ، وإن      نبه حظي أرنبى على الأرب  
 وعثر طويلاً مكلاً أدباً      بسيط فضل ناء ومقتررب

وقال الشيخ علم الدين : رأيتُ في إجازة لابن الشهر زورى الموصلى  
 خطَّ الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين  
 الدهي :

هذا خطُّ شيخنا الإمام ، شيخ الإسلام ، فرد الزمان ، بحر العلوم ،  
 تقي الدين . مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة . وقرأ  
 القرآن والفقه ، وناظر واستدل ، وهو دون البلوغ . وبرع في العلم

والتفسير ، وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة . وصنف التصانيف ، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه ، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر . وفسر كتاب الله تعالى مدة ستمين من صدره أيام الجمع وكان يتوقد ذكاء . وسماعاته من الحديث كثيرة . وشيوخه أكثر من مائتي شيخ . ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى . وحفظه للحديث ورجاله ، وصحته وسقمه ، فما يلحق فيه . وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين — فضلاً عن المذاهب الأربعة — فليس له فيه نظير . وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً . ويدرى جملةً صالحةً من اللغة وعريته قوية جداً . ومعرفته بالتاريخ والسير فعجيب عجب . وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق المعتقد . وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل . وفيه زهد وقناعة بنيسير في المأكل والملبس .

وقال الذهبي في موضع آخر - وقد ذكر الشيخ رحمه الله - :  
كان آية في اندكاء وسرعة الإدراك ، رأس في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف . بجرأ في النقيات ، هو في زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسجاء . وأمرأً بالمعروف ونهيأً عن المنكر ، وكثرة تصانيف .

وقرأ وحصل ، وبرع في الحديث والفقه . تاهل للتدريس والفتوى ،  
وهو ابن سبع عشرة سنة . وتقدم في علم التفسير والأصول ، وجميع علوم  
الإسلام : أصولها وفروعها ، ودقائقها ، سوى علم القراءات . فان ذكر  
التفسير فهو حامل لوائه . وإن عدّ الفتوى من اختصاصهم المطلق . وإن حضر  
الحفاظ نطق وخرسوا . وسرد وأبلسوا . واستغنى وأفلسوا . وإن مسمى  
المتكلمون فهو فردهم ، وإليه مرجعهم . وإن لاح ابن سينا يقدّم الفلاسفة  
فذلهم وتيسهم . وهتك أستارهم واشتف عوارهم . وله يد طويلة في  
معرفة العربية والصرف واللغة . وهو اعظم من أن يصفه كلى ، أو ينبه  
على شأنه قصى . فان سببه وعنومه ومعارفه ، ومحنه وتنقلاته ، تحتل أن  
ترصع في مجلدتين . وهو بشر من البشر ، له ذنوب . فالله تعالى يغفر له  
وسمته أعلى جنته . فانه كان رباني الأمة . وفريد الزمان وحامل لواء  
الشرعة ، وصاحب معضلات المسلمين . وكان رأسا في العلم ، يبالغ في  
بطا . فانه في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . مبالغة  
مرايينها . ولا شاعدها من أحد ، ولا لحظتها من فقيه

وكان في مكان آخر — ذكر فيه ترجمة طويلة للشيخ قبل وفاة الشيخ  
بدهر طويل :

قلت : وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وضبطاتهم . ومعرفة

بنون الحديث . وبأعلى والنازل ، وباصحیح والسقيم . مع حفظه لمتونه  
الذى انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يتاربه . وهو عجب في  
استحضاره ، واستخراج الحجة منه . وإليه المقتضى في عزوه الى الكتب  
الستة والمسند<sup>(١)</sup> ، بحيث يصدق عليه أن يقال « كل حديث لا يعرفه ابن  
تيمية فليس بحديث » ولكن الاحاطة لله ، غير أنه يغترف من بحر ،  
وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي . وأما التفسير فسلم إليه .  
وله في استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل  
بها على المسألة - قوة عجيبة . وإذا رآه المقرئ تحير فيه . وفقرط إمامته  
في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين . ويوهي  
أقوالاً عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لمادل عليه القرآن والحديث .  
ويكتب في اليوم والليل من التفسير ، أو من الفقه ، أو من الأصول  
أو من الرد على الفلاسفة والأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد .  
وما بعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد . وله في غير المسألة مصنف  
مفرد في مجلد . ثم ذكر بعض تصانيفه . وقال : ومنها كتاب في الموافقة  
بين المعقول والمنقول في مجلدين .

قلت : هذا الكتاب - وهو كتب درء تعارض العقل والنقل -  
في أربع مجلدات كبار . وبعض النسخ به في أكثر من أربع مجلدات . وهو

---

(١) البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .  
ومسند الامام احمد



كتاب حافل عظيم المقدار ، رد الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين .  
وله كتاب في نحو مجلد أجاب فيه عما أورده كمال الدين بن  
الشريسي على هذا الكتاب

وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة  
والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضب . ولا أعلم أحدا من متقدمي  
الأمّة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ، ولا قريبا من  
ذلك ، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه . وكثير منها صنفه  
في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب .

### مصنفات الشيخ رحمه الله

وها أنا أذكر بعض مصنفاته ، ليقف عليها من أحب معرفتها  
فمن ذلك : ماجمعه في تفسير القرآن العظيم ، وماجمعه من أقوال  
مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم . وذلك في أكثر  
من ثلاثين مجلدا . وقد بيّض أصحابه بعض ذلك . وكثيرا منه لم يكتبوه  
بعد . وكان رحمه الله يقول : « ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة  
تفسير ، ثم أسأل الله الفهم . وأقول : يا معلم آدم و إبراهيم علمني . وكنت  
أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرّغ وجهي في التراب ، وأسأل  
الله تعالى ، وأقول : يا معلم إبراهيم فهمني ، ويذكر قصة معاذ بن جبل

وقوله لمالك بن يخامر لما بكى عند موته ، وقال : « إني لا أبكي على دنيا كنت أصيبها منك ، ولكن أبكي على العلم والإيمان الذين كنت أعلمهما منك . فقال : إن العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدهما . فاطلب العلم عند أربعة ، فإن أعياك العلم عند هؤلاء فليس هو في الأرض ، فاطلبه من معلم إبراهيم . »

قال الشيخ أبو عبد الله بن رشيق — وكان من أخص أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابة الكلامه وحرصا على جمعه — كتب الشيخ رحمه الله نقول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن . وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال . ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ، ويقول في بعضها : كتبته للتذكر ، ومحو ذلك . ثم لما حبس في آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن [ تفسيراً مرتباً <sup>(١)</sup> ] على السور ، فكتب يقول : إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جمعة من العلماء ، فربما يطالع الإنسان عاياً عدة كتب ولا يبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً ، ويفسر غيرها بنظيره ، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل ، لأنه أهم من غيره .

---

(١) كانت يابضاً بالأصل

وإذا تبين معنى آية تبين معاني نظائرها . وقال : قد فتح الله على  
في هذه المرة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من  
العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن  
أو نحو هذا . وأرسل إلينا شيئاً يسيراً مما كتبه في هذا الحبس ، وبقى  
شيء كثير في مسألة الحكم عند الحكم لما أخرجوا كتبه من  
عنده <sup>(١)</sup> . وتوفي وهي عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة .  
ثم ذكر الشيخ أبو عبد الله ما رآه ووقف عليه من تفسير الشيخ .

قلت : ومن مصنفاته . « تفسير سورة الصمد وجواب سؤال عن  
كلام الله تعالى ، هل يتفاضل ؟ » . ومن مصنفاته : كتاب « بيان  
تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » في ست مجلدات ، وبعض  
النسخ منه في أكثر من ذلك . وهو كتاب جليل المقدار معدوم النظير  
كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية وهنك أستاذهم . ولو رحل طالب  
العلم لأجل تخصصه إلى الصين ما ضاعت رحلته ومنها كتاب  
« منهاج السنة النبوية في تلخيص كلام الشيعة القدرية » في ثلاث مجلدات  
ومن السج في أربع مجلدات . رد فيه على ابن المطهر الرافضي .  
ومن حيل الرافضة وصلاتهم . وكسبهم واقتراءهم . ومنها كتاب

(٥) جواب الاعتراضات المصرية على التنبؤ المحبوبة « في أربع مجلدات ،  
وبعض نسخ منه في قن . وهو كتاب عزيز الموائد سهل التدول .  
ومنها كتاب الرد على النصارى سماه ، الخواص الصحيح لمن بدل دين  
المسيح « في مجلدين . وبعض النسخ منه في ثلاث مجلدات . وبعضها  
في أكثر . وكذلك كثير من كتبه الكبير تختلف النسخها -  
وهذا الكتاب من أجل الكتب وأكثرها فوائد ويشتمل على  
تأليف النبوت وتقريرها بانراهمين النيرة الواضحة . وعلى تفسير آي  
كثير من القرآن . وعلى غير ذلك من المهمات .

(٦) ومنها كتاب « الايمان » في مجلد . وهو كتاب عظيم لا يسبق  
إلى مثله . ومنها كتاب « الاستقامة » في مجلد . وهو من أجل  
الكتب وأكثرها نفعاً . ومنها كتاب تنبيه الرجل العقل على  
تمويه الجدل الباطل . في مجلد . وهو من أحسن الكتب وأكثرها  
فوائد . قال في خطبته :

« الحمد لله العليم القديم الخالق . اللطيف الخبير الرزاق . السميع البصير الخليم  
الصادق . العلي . الكبير العاق الرائق . الذي يسر منهج وشرائع ويبين  
الطرائق . وينصب الأعلام الطوالع الكشف الحقائق . وينزل الآيات  
ولدلائل نبيان الجوامع والفوارق . ويقذف باحق على الباطل فيدمغه وذا هو  
زاهق أحده ثناء عليه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی ، وشكر آله على نعمه



السوامق <sup>(١)</sup> وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب المغارب  
والمشارق . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الخوارق ،  
الموضح لسبيل الحق في الجلائل والدقائق . صلى الله عليه وعلى آله وسلم  
صلاة وتسليما باقين ما بقيت الخلائق .

أما بعد فإن الله سبحانه علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف  
والافتراق ، وتباين العقول والأخلاق ، حيث خلقوا من طبائع ذات  
تفافر . وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر . فبعث الله الرسل مبشرين  
ومنذرين ، ومبينين للإنسان ما يضل به ويهديه ، وأنزل معهم الكتاب بالحق  
ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمرهم بالاعتصام به حذرا من التفرق  
في الدين ، وحضهم عند التنزع على الرد إليه وإلى رسوله المبين . وعذرهم  
بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العلمية ، خفاء مدركها وخفة  
مسلكها وعدم إفضائها إلى بلية . وحضهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج  
الصواب في الدنيا والآخرة ، حيث يقول لمن رضى دينهم (وأمرهم شورى  
آبينهم) كما أمرهم بالمجدلة والمقاتلة ، لمن عدل عن السبيل العادلة ، حيث  
يقول . آمرا وناهيا لنبيه والمؤمنين ، إيمان ما يرضاه منه ومنهم (وجادلهم  
بالتى هي أحسن) ( ولا تُجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي  
أحسن إلا الذين ظلموا منهم ) فكان أئمة الاسلام ممثلين لأمر المليك

(١) في القاموس : سمي سموقا : علا

العلام . يجادلون أهل الأهواء المضلة ، حتى يردوهم إلى سواء الملة ،  
كمجادلة ابن عباس رضى الله عنهما للخوارج المارقين . حتى رجع كثير منهم  
إلى ماخرج عنه من الدين . وكناظرة كثير من السلف الأولين تصنف  
المبتدعين الماضين ، ومن في قلبه ريب يخالف اليقين . حتى هدى الله من  
شاء من البشر ، وأعلن الحق وظهر ، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر .  
وكانوا يتناظرون في الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة  
المرضية ، والخجيج القوية ، حتى كان قلّ مجلس يجتمعون عليه إلا ظهر  
الصواب ، ورجع راجعون إليه ، لاستدلال المستدل بالصحيح من  
الدلائل ، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمدادى فى الباطل .  
كمجادلة الصديق لمن نازعه فى قتال مانعى الزكاة<sup>(١)</sup> ، حتى رجعوا إليه

---

(١) روى البخارى وغيره عن أبى هريرة قال « لما توفى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : وكان أبو بكر . وكفر من كفر من العرب . فقال  
عمر : كيف تقاتل الناس : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فمن قالها فقد عصم  
منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ؟ فقال : والله لأقاتلن من فرق  
بين الصلاة والزكاة . فإن الزكاة حق المال . والله لو منعونى عنها كانوا  
يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها . قال عمر :  
فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبى بكر فعرفت أنه الحق - »

ومناظرتهم في جمع المصحف حتى اجتمعوا عليه <sup>(٢)</sup> . وتناظرهم في حد  
الشارب ، وجاحد التحريم ، حتى هدوا إلى الصراط المستقيم . وهذا  
وأمثاله يجلب عن العد والإحصاء . فانه أكثر من نجوم السماء .

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون في أنواع التأويل  
والقياس . بما يؤثر في ظن بعض الناس ، وإن كان عند التحقيق  
يؤول إلى الافلاس . نكتمهم لم يكونوا يقبلون من المناظرة إلا  
ما يفيد ، ولو ظنا ضعيفا للناظر . واصطاحوا على شريعة من الجدل  
للتعاون على إظهار صواب القول والعمل ، ضبطوا بها قوانين الاستدلال  
لتسلم عن الانتشار والانهلال . فطرائقهم - وإن كانت بالنسبة إلى  
طرائق الأولين غير وافية بمقصود الدين ، لكنها غير خارجة عنه  
بالكلية ، ولا مشتملة على ما لا يؤثر في القضية ، وربما كسوها من جوده  
العبارة ، وتقريب الإشارة . وحسن الصياغة ، وصنوف البلاغة ما يحلهم

---

(١) روى البخارى عن زيد بن ثابت قال « أرسل إلى أبو بكر -  
مقتل أهل اليمامة - فاذا عمر بن الخطاب عنده . فقال أبو بكر : إن عمر  
أتانى ، فقال : إن القتل قد استحر بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر  
بالقراء في المواطن . فيذهب كثير من القرآن . وإنى أرى أن تأمر  
بجمع القرآن . فقلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ؟ قال  
عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك .  
ورأيت في ذلك الذى رأى عمر - الحديث »

عند الناظرين ، ويُنفَقها عند المتناظرين ، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية ، والمعاني الشرعية ، وبنائها على الأصول الفقهية والقواعد الشرعية ، والتحاكم فيها الى حاكم الشرع الذي لا يعزل. وشاهد العقل المزكّي المعدّل .

وبالجملة ، لا تكاد تشتمل على باطل محض ، ومكر صرف ، بل لابد فيها من محيل للحق ومشتغل على عرف

ثم إن بعض طلبة العلوم ، من أبناء فارس الروم ، صاروا مولعين بنوع من جدل الموهين ، استحدثه طائفة من المشرقيين ، وألحقوه بأصول الفقه في الدين ، راوغوا فيه مراوغة الثعالب ، وحادوا فيه عن المسلك اللائق<sup>(١)</sup> وزخرفوه بعبارات موجودة في كلام العلماء ، قد نطقوا بها ، غير أنهم وضعوها في غير مواضعها المستحقة لها ، وألقوا الأدلة تأليفاً غير مستقيم ، وعدلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم . غير أنهم باطالة العبارة ، وإبعاد الإشارة ، واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية في المقدمات ، ووضع الغلبيات موضع القطعيات ، والاستدلال بالأدلة العامة ، حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين ، مع الاحالة والاطالة ، وذلك من فعل غلط ، ومغالط للمجادل . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم

(١) «اللاحب» الطريق الواضح اه قاموس

(٣ - العقود الدرية)



عن أغلوطات المسائل<sup>(١)</sup> تفق ذلك على الأغنام الطمطم<sup>(٢)</sup>. وراج رواج  
 البهرج على الغرّ العادم . واغتر به بعض الأغمار الأعاجم . حتى ظنوا أنه  
 من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم . ولم يعلموا أنه والعلم المقرب من الله  
 متعاندان متنافيان ، كما أنه والجهل المركب متصاحبان متآخيان .  
 فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له حاصل ، لا يقوم باحقاق حق ، ولا  
 ابطال باطل ، أخذ يطالب كشف مشكله وفتح مقفله ، ثم إبانة علله  
 وإيضاح زلله ، وتحقيق خطئه وخطله . حتى يتبين أن سالكه يسلك  
 في الجدل مسلك اللدد ، وينأى عن مسلك الهدى والرشد . ويتعلق من  
 الأصول بأذيال لا توصل إلى حقيقة ، ويأخذ من الجدل الصحيح رسوم  
 يموّه بها على أهل الطريقة . ومع ذلك فلا بد أن يدخل في كلامهم  
 قواعد صحيحة ، ونكت من أصول الفقه مليحة . اكبنهم إنما أخذوا

(١) روى أبو داود عن الصنابحي عن معاوية « أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم نهى عن الغلوطات » قال في النهاية : وفي رواية « الأغلوطات »  
 وقال الخطابي : يقال : مسألة غلوط ، إذا كان يغلط فيها . فاذا جعلتها  
 اسما زدت فيها الهاء . أراد المسائل التي يغلط بها العلماء ليزلوا فيها .  
 فيهبج بذلك شر وفتنة اه باختصار . وقال المنذرى : في اسناده عبد الله بن

سعد . وهو مجهول ( عون المعبود ج ٣ ص ٣٥٩ )  
 (٢) ( الغتمة - بضم الغين - العجمة . والاغتم : من لا يفصح . ورجل  
 طمطم وطمطاني ، وطمطمي : في لسانه عجمة . قاموس

ألفاظها ومبانيها ، دون حقائقها ومعانيها ، بمنزلة ما في الدرهم الزائف من العين . ولولا ذلك لما تفق على من له عين .

فلذلك آخذ في تمييز حقه من باطله ، وحاليه من عاطله ، بكلام مختصر مرتجل ، كتبه كاتبه على عجل . والله الموفق لما يحبه ويرصاه .  
ولا حول ولا قوة إلا بالله » . انتهت خطبة هذا الكتاب .

- (٩) ومن مصنفاته أيضا : كتاب « بيان الدليل على بطلان التحليل »  
(١٠) وكتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » .  
(١١) وكتاب « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » .  
(١٢) » تحرير الكلام في حادثة الأقسام . وسماه بعضهم : كتاب

التحرير في مسألة خفير . خفر

✓ وكتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

(١٣) » السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية

(١٤) » تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس

(١٥) » التحفة العراقية في الأعمال القلبية

(١٦) » مسائل الاسكندرية في الرد على الملاحدة والأتحادية .

وتعرف بالسبعينية ، لاشتمالها على الرد على ابن سبئين وأضرابه

(١٧) وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

✓ (١٨) » فضائل القرآن

(٩٩) وكتاب أقسام القرآن

(١٠٠) » أمثال القرآن

وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير وبعضها مجلد صغير

(١٠١) وله كتاب في الرد على المنطق ، مجلد كبير

(١٠٢) وله مصنفان آخران في الرد على المنطق نحو مجلد

(١٠٣) وله كتاب في محنته بمصر ، مجلدان ، رد فيه على القائلين بالكلام

النفسي من نحو ثمانين وجهاً

وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك ، إذا

اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة . منها ما بيض ومنها ما لم يبيض . فمن

مؤلفاته في ذلك :

(١٠٤) الكيلانية . والبغدادية . والقادرية . والأزهرية . والبلبلية .

(١٠٥) والمصرية .

وله في الرد على الفلاسفة مجلدات وقواعد ، أملاها مفردة غير

ما تضمنته كتبه ، منها :

(١٠٦) إبطال قولهم باثبات الجواهر العقلية

(١٠٧) ومنها : إبطال قولهم بقدوم العالم ، وإبطال ما احتجوا به

(١٠٨) ومنها : إبطال قولهم في أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد

(١٠٩) وله كتاب في الوسيلة . مجلد

- ٢٤ وكتاب الرد على البكرى فى الاستغاثة . مجلد
- ٢٥ « شرح أول كتاب الفزنوى فى أصول الدين . مجلد لطيف
- ٢٦ « شرح عقيدة الأصهبانى . يسمى الأصهبانية
- ٢٧ « شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب الأربعين للفخر  
الرازى ، أكثر من مجلدين
- ٢٨ وكتاب يعرف بالصفدية . فى الرد على الفلاسفة فى قولهم : إن  
معجزات الأنبياء عليهم السلام قوَى نفسانية . وفى إبطال  
قولهم بقدوم العالم
- ٢٨ ووله كتاب شرح أول المحصل . مجلد
- ٢٩ وكتاب الرد على أهل كسرمان الرافضة . مجلدين
- ٣٠ « يسمى الهلونية <sup>(١)</sup> . وهو جواب سؤال ورد على لسان  
هولاكو ، ملك التتار . مجلد
- ٣١ ووله فى الرد على من قال : إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين عدة مصنفات
- ٣٢ ووله فى الرد على منكرى المعاد قواعد كثيرة .
- وله تعليقة على كتاب المحررى الفقه لجدّه الشيخ محمد الدين فى عدة مجلدات
- وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة فى الفقه ، للشيخ  
موفق الدين . فى مجلدات

(١) لعله « الهولاكونية »

وله قواعد كثيرة في فروع الفقه ، لم تبيض بعد . ولو بيضت كانت مجلدات عدة .

وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفروعية ، وبوبها على أبواب الفقه في مجلدات كثيرة ، تعرف بالفتاوى المصرية . سماها بعضهم « الدرر المضيئة من فتاوى ابن تيمية »

وله مؤلفات في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم والجمع بين النصوص في ذلك . والكلام في متعة الحج ، والعمرة المكية ، وما يتعلق بذلك ، وطواف الحائض . أكثر من مجلدين

وله مصنفات في زيارة القبور . وهل تباح للنساء ؟ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية . وفي المشاهد : متى حدثت ؟ وفي النذر لما . وفي المشهد المنسوب للحسين رضي الله عنه . وفي قبر علي رضي الله عنه . وغير ذلك . عدة مجلدات

وله في مسألة شد الرحال ولو ازمها — التي حبس ومات في السجن بسببها — شيء كثير . بيض منه مجلدات عديدة .

وله في الطلاق ومسائل الخلع وما يتعلق بذلك من الأحكام شيء كثير . ومصنفات عديدة . بيض الأصحاب من ذلك كثيراً ، وكثير منه لم يبيض . ومجموع ذلك نحو العشرين مجلداً .

وله قواعد كثيرة في سائر أنواع العلوم . منها : قاعدة في الصفات



والقدر . « تسمى تحقيق الأثبات للاسماء والصفات »  
وحقيقة الجمع بين القدر والشرع . وهى المعروفة بالتدمرية  
وقاعدة فى أن مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا عن  
ظن واتباع هوى

✓ وقاعدة فى أن التوحيد والايان يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة  
✓ وقاعدة فى إثبات كرامات الأولياء .

✓ وقاعدة فى أن خوارق العادات لا تدل على الولاية

✓ وقاعدة فى الصبر والشكر

وقاعدة كبيرة فى الرضا

✓ (قاعدة فى الشكر والرضا )

✓ وقاعدة فى أن كل آية يحتج بها مبتدع فقيها دليل على فساد قوله

وقاعدة فى أن كل دليل عقلى يحتج به مبتدع فقيه دليل على بطلان قوله

وقاعدة فى الخلوات وما يلقيه الشيطان لأهلها من الشبه . والفرق

بين الخلوة الشرعية والبدعية . وقاعدة فى الفقراء والصوفية ، أيهم أفضل ؟

✓ وقاعدة فى الفقير الصابر والغنى الشاكر ، أيهما أفضل ؟

✓ وقاعدة فى أهل الصفة ومراتبهم وأحوالهم

✓ وقاعدة كبيرة فى محبة الله للعبد ومحبة العبد لله

✓ « فى الاخلاص والتوكل »

وقاعدة في الاخلاص وتقديره بالعقل

» في الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه من الاشارات

وله قواعد وأجوبة في تحريم السماع أكثر من مجلدين

» وقاعدة في شرح أسماء الله الحسنى

وقاعدة في الاستغفار وشرحه وأسراره

» في أن الشريعة والحقيقة متلازمان

» في الخلّة والمحبة ، أيهما أفصل ؟

» في العلم المحكم

وقواعد وأجوبة في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه

وقاعدة في وجوب نصيحة أولى الأمر والدعاء لهم

» في أحوال الشيخ يونس الغيبى والشيخ أحمد بن الرفاعى.

» وأجوبة في عصمة الأنبياء عليهم السلام

» في الاستطاعة : هل هى مع الفعل أو قبله ؟

» في العدم واستطاعته

» في وجوب العدل على كل أحد ، لكل أحد ، في كل حال

» في فضل السلف على الخلف في العلم

وقاعدة في حق الله وحق رسوله وحق عبادته ، وما وقع في ذلك

من التفريط

✓ وقاعدة في أن مبدأ العلم الإلهي عند النبي صلى الله عليه وسلم هو الوحي ، وعند أتباعه هو الايمان

✓ وقاعدة في أن الحمد والذم والثواب والعقاب بالجهاد والجد وأنها إيماءات تعلق بأفعال العباد لا بأنسابهم

✓ وقاعدة في أن كل حمد وذم للمقاتلات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

✓ وقاعدة فيما لكل أمة من الخصائص ، وخصائص هذه الأمة

✓ وقاعدة في الكليات

✓ وقواعد في الفناء والاصطلام

✓ وقاعدة في العلم والحلم

✓ وقاعدة في الاقتصاص من الظالم بالدعاء وغيره ، وهل هو أفضل أم العفو ؟

وله قاعدتان في قرب الرب من عابديه وداعيه

✓ وقاعدة في تزكية النفس

✓ وقاعدة على كلام ابن العريف في التصوف

» في الصراط المستقيم في الزهد والورع

✓ وقاعدة في الايمان والتوحيد ، وبيان ضلال من ضل في هذا الأصل

» في أمراض القلوب وشفائها

وقاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة

» في خُلة إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأنه الامام المطلق

وقواعد عدة في الشهادتين

» كثيرة فيمن امتحن في الله وصبر

وقاعدة في الصبر والصفح الجميل والهجر الجميل

» فيما يتعلق بالوسيلة بالنبي صلى الله عليه وسلم والقيام بحقوقه

الواجبة على أمته في كل زمان ومكان . وبيان خصائصه التي امتاز بها

على جميع العالمين . وبيان فضل أمته على جميع الأمم

وقاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم

وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى في إرسال محمد صلى الله عليه وسلم

وأن إرساله أجل النعم

وقاعدة في الشكر لله ، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية

» في المقرين ، هل يسألهم منكر ونكير ؟

» في الفتوة الاصطلاحية ، وأنه لبس لها أصل في الأحكام الشرعية

وقاعدة في الكلام على المرشدة التي ألفها ابن تومرت <sup>(١)</sup>

وله أجوبة تتعلق بها أيضاً .

وقاعدة في كلام الجنيد لما سئل عن التوحيد . فقال : هو أفراد

الحدوث عن القدم .

---

(١) هو محمد بن . . . . . منشىء دولة الموحدين ببلاد المغرب سنة . . .

✓ وقاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل

✓ وقاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته

وقاعدة في الكلام

وقاعدة في الكلام على قوله تعالى ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم  
الذي خلقكم — الآية ) تسمى العبودية . وهي جليلة القدر

وقاعدة فيما أحدثه الفقراء المجردون

✓ وقاعدة في القدرية ، وأنهم ثلاثة أقسام : مجوسية ، ومشركية ،  
وإبليسية

✓ وقاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية ، وما بينهما  
وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية .

✓ وقاعدة في وصية لقمان لابنه

✓ وقاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها : هل هو بلسان  
الحال ، أم لا ؟

✓ وقاعدة تعرف بالصعيدية تتعلق بالثنوية

✓ وقاعدة في لباس الخرقه : هل له أصل شرعي ؟ وفي الأقطاب ونحوهم

✓ وقاعدة في القضايا الوهمية

✓ وقاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى

وقاعدة في الخلطة والعزلة



وقاعدة في مشايخ العلم ، ومشايخ الفقراء : أيهم أفضل ؟

✓ وقاعدة في تعذيب المريد بذنب غيره

وقاعدة في قوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »

✓ وقاعدة في أن جماع الحسنات : العدل ، وجماع السيئات : الظلم ، ومراتب الذنوب في الدنيا

وقاعدة في أن الحسنات تعلل بعلتين : جلب المنفعة ، ودفع المضرة ، والسيئات بالعكس

وقاعدة في فضائل عشر ذى الحجة

وقاعدة في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجن والانس

وقاعدة في أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر

✓ وقواعد في الكلام على السنة والبدعة ، وأن كل بدعة ضلالة

وقاعدة في الاجماع وأنه ثلاثة أقسام

وقاعدة كبيرة في أصول الفقه . غالبها نقل أقوال الفقهاء

وقاعدة فيما يظن من تعارض النص والاجماع

✓ وقواعد فقهية في مسائل من النذور ، والايمان ، ونكاح الشغار

وما يستقر به المهر ، ونحو ذلك مجلد

وقواعد فى المغالبات ، وما يحل من الرهن ، وهل يفتقر إلى محال ؟

مجلد

وقواعد فى المائعات والمياه وأحكامها ، وفى الميتة إذا وقعت فى المائعات ، والكلام على حديث القلتين ، وما يتعلق بذلك . شئ كثير وقواعد فى الوقف وشروط الواقفين ، وما يعتبر منها ، وفى إبداله بأجود منه . وفى بيعه عند تعذر الانتفاع ، ونحو ذلك . أكثر من مجلد وقاعدة كبيرة فى تفضيل مذهب الامام أحمد ، وذكر محاسنه ، نحو مجلد « فى تفضيل مذهب أهل المدينة ، تسمى المالكية .

وقواعد فى الاجتهاد والتقليد ، وفى الأسماء التى علق الشارع بها الأحكام . مجلد

وقواعد فى المجتهد فى الشريعة : هل يأثم إذا أخطأ الحق ؟ وهل المصيب واحد ؟ ونحو ذلك . أكثر من مجلد

وقاعدة فى الاحسان

« شمول النصوص للأحكام

« تقرير القياس فى مسائل عدة ، والرد على من يقول :

هى على خلاف القياس

وقاعدة في شرح رسالة ابن عبدوس . وهي متضمنة لكلام الامام  
أحمد في أصول الدين

وقاعدة في لعب الشطرنج وأنه حرام

وقواعد كثيرة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر ، هل له  
حد ؟ وفي الجمع بين الصلاتين ، وفي ذوات الأسباب هل تصلى في  
وقت النهي . وفي مواقيت الصلاة ؟ (وفي أن أول ما يحاسب به العبد  
الصلاة . وفي تارك الصلاة ، وتفصيل القول فيه . وفي أن الصلاة أهل  
الأعمال . وفي تارك الطائفة . وذلك شيء كثير جداً .

وقواعد في الكنائس وأحكامها ، وما يجوز هدمه منها وإبقاؤه  
وما يجب هدمه . وأجوبة تتعلق بذلك . نحو مجلدين

وقواعد في رجوع المغرور على من غرّاه . (وفي استقرار الضمان /  
وفي بيع الغرر ، والشرط في البيع / (والنكاح / وغير ذلك . نحو مجلد  
وقعدة في فضائل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل إمام من الفضيلة

» » مقدار الكفارة في اليمين

» » لفظ الحقيقة والجاز ، وفي العام إذا خص . هل يكون  
حقيقة أو مجازاً ؟ والبحث مع السيف الآمدى في ذلك وقاعدة كبيرة  
في أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهي عنه

وقاعدة فى طهارة بول ما يؤكل لحمه . ذكر فيها نحو ثلاثين حجة  
على ذلك

وقاعدة فى تطهير العبادات النفس من الفواحش والمنكرات  
وقواعد وأجوبة فى تحريم نكاح الزانية  
وقاعدة فى معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة  
» » مفطرات الصائم

» » فيما شرعه الله تعالى بوصف العموم والاطلاق ، هل  
يكون مشروعاً بوصف الخصوص والتقييد ؟

وقاعدة فى أن العامى هل يجب عليه تقليد مذهب معين أم لا ؟

» » تعليق العقود والفسوخ بالشرط

» » الجهاد والترغيب فيه

» » ذم الوسواس

» » الأنبذة والمسكرات

» » الحسبة

» » المسألة السريجية

» » حل الدور ، ومسائل الجبر والمقابلة

» » أن كل عمل صالح أصله اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

وقاعدة في الأطعمة وما يحل منها وما يحرم . وتحرير الكلام على  
الطيبات والخبائث

وقاعدة في اشتراط التسمية على الذبائح والصيد

» » دم الشهداء ومداد العلماء ، تتضمن أى الطائفتين أفضل

» » الانغماس فى العدو ، وهل يباح ؟ .

» » ضمان البساتين ، هل يجوز أم لا ؟

وله قواعد فى النهى ، هل يقتضى فساد النهى عنه ؟

وقاعدة فى زكاة مال الصبي

وقاعدة فى الايمان المقرون بالاحسان ، وفى الاحسان المقرون

بالاسلام

« وقاعدة فى اقتران الايمان بالاحتساب <sup>(١)</sup>

وقاعدة وأجوبة فى النجوم ، هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة ؟

وفى الكسوف ، هل يقبل قول المنجمين فيه ؟ وفى رؤية الهلال  
ونحو ذلك .) نحو مجلد

وقاعدة فى الأقراء ، هل هى الحيض ، أو الاطهار ؟ واختار أنها

الحيض

وقاعدة فى الشكر وأسبابه وأحكامه

---

(١) لعله « الاحسان » . من هامش الاصل .



وقاعدة في الاستفتاحات في الصلاة  
وقاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي صلى الله عليه وسلم وسلاحه  
ودوابه . وهي القرمانية

وقاعدة تتعلق بمسائل من التيمم ، والجمع بين الصلاتين . تسمى  
« تيسير العبادات لأرباب الضرورات »

وقاعدة في النصيرية <sup>(١)</sup> وحكمهم

وقاعدة في تحريم الشبابة

وقاعدة في العقود اللازمة والجائزة

وله قاعدة جلييلة في وجوب الاعتصام بالرسالة ، وأن كل خير في  
العالم فأصله متابعة الرسل ، وكل شر فمن مخالفتهم : إما جهلاً ، أو عمداً  
وقاعدة في تحزيب القرآن ، وما يتعلق بذلك ، وما ورد فيه من الآثار

وقاعدة في الكلام على الممكن

وقاعدة في ذبائح أهل الكتاب

وقاعدة في تعليل الأفعال

وقاعدة في الكلام على العدد

---

(١) هم فرقة من الرافضة يسكنون جبل عامل ن أرض الشام

وله رسائل تشتمل على علوم كثيرة ، منها :

رسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهي ، تسمى المدنية

ورسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنيحي<sup>(١)</sup> ، تسمى المصرية

ورسالة كتبها إلى أهل بغداد

ورسالة كتبها إلى أهل البصرة

ورسالة كتبها إلى القاضي شمس الدين السروجي ، قاضي الحنفية بمصر

ورسائل إلى غيره من القضاة والعلماء

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدي بن مسافر ، تسمى العدوية

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير . وأرسل إليهم أجوبة في مجلد

غير الرسالة

ورسالة كتبها إلى ملك قبرص في مصالح المسلمين ، تتضمن

علومًا نافعة

وله رسائل إلى البحرين . وإلى ملوك العرب

وإلى ثغور الشام : إلى طرابلس وغيرها بمصالح تتعلق بالأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر

ورسالة لأهل تدمر

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها « المنيجي » نسبة إلى « منيج »

ورسالة إلى طبرستان وجيلان

ورسائل للملوك : ملك مصر ، وملك حماة وغيرها

ورسائل إلى الأمراء الكبار

ورسائل كثيرة كتبها الى الصالحاء من إخوانه : من مصر إلى

دمشق ومن دمشق إلى غيرها

ومن السجن شيء كثير يحتوي على مجلدات عدة

وله من الكلام على مسائل العلو والاستواء والصفات الخيرية وما يتعلق بذلك من الرد على الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع ما يشتمل على مجلدات كثيرة .

وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك، شيء

كثير، يشق إحصاؤه ويعسر ضبطه

ومن مؤلفاته : الكلام على دعوة ذي النون ، في مجلد لطيف

وكتاب فيه الكلام على إرادة الرب تعالى وقدرته ، وتحرير

القول في ذلك على كلام الرازي في المطالب العالية

ومسألة في العلو ، أجاب فيها عن شبه المخالفين . وهي مفيدة . وأخرى

في الصفات ، تسمى المراكشية ، وتشتمل على نقول كثيرة

وقاعدة تتضمن صفات الكمال ، وما الضابط فيها مما يستحقه الرب

تعالى ، تسمى الأكلمية ، والاحاطة الكبرى

### والاحاطة الصغرى

وعقيدة الفرقة الناجية وتعرف بالواسطية

والجواب عما أورد عليها عند المناظرة بقصر الامارة بدمشق  
والكلام على حديث عمران بن حصين الذى فيه «جئنا نسألك  
عن أول هذا الأمر» وهو مؤلف مفيد  
والكلام على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر ، وهل هو ثابت  
أم لا ؟ وأى ألفاظه هو المحفوظ ؟

وكتاب فى نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ، والجواب  
عن اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع  
. وجواب فى اللقاء وما ورد فى القرآن وغيره  
وجواب فى الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا ؟ تسمى الأربلية  
وجواب فى الاستواء وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من  
نحو عشرين وجها

ومسألة فى المباينة بين الله وبين خلقه  
وله أجوبة أخر فى مباينة الله لخلقه ، وفيمن يقول : إنه سبحانه  
على عرشه بذاته ، وأقوال السلف فى ذلك  
وله مسائل كثيرة فى الأفعال الاختيارية المسماة عند بعض المتكلمين :  
بحلول الحوادث

منها كلام مفرد على كلام الرازي في الأربعين  
وله مسائل وأجوبة في مسألة القدر ، والرد على القدرية وعلى  
الجبرية أكثر من مجلد  
وله مسألة في محل الشعر والعلوم وغيرها ، هل هو واحد أو متعدد ؟  
وله درس السكرية بالبسملة جزء  
ودرس الخبالية في قوله تعالى ( وما كان المؤمنون لينفروا كافة )  
جزء حسن

ومسألة فيمن يدعى أن للقرآن باطنا إلى سبعة أبطن  
ومسألة في عقل الانسان وروحه  
والحلبية في الصفات ، وهل هي زائدة على الذات أم لا ؟  
والرد على ابن سينا في رسالته الأصحوية ، نحو مجلد  
وجواب في العزم على المعصية ، هل يعاقب عليه العبد ؟  
وجواب على حزب الشاذلي وما يشبهه ، مجلد لطيف  
وجواب في الكفار من التتر وغيرهم ، وهل لهم خفاء بقلوبهم  
لهم تأثير ؟

وله شرح كلام الشيخ عبد القادر في غير موضع نحو مجلد  
وقاعدة في قوله تعالى ( ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ) وقول النبي  
صلى الله عليه وسلم « ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله »



وله جواب في يزيد بن معاوية ، وهل يجوز سبُّه أم لا ؟

وله قاعدة في فضل معاوية

وجواب في الخضر ، هل مات أو هو حي ؟ واختار أنه مات

وله جواب في أن الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام هو اسمعيل .

واحتج لذلك بأدلة كثيرة

وجواب في زيارة القدس يوم عرفة للتعريف به

وله أجوبة كثيرة في هذا المعنى

وجواب في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة

وجواب فيمن عزم على فعل محرم ثم تاب

وجواب في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية .

وجواب في قوله صلى الله عليه وسلم «من قال أنا خير من يونس

ابن متى فقد كذب»

وجواب في التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره ، أي ذلك أفضل ؟

وجواب في غض البصر وحفظ الفرج

وجواب في المعية وأحكامها

وله في مسائل الروح ، وهل تعذب في القبر مع الجسد ؟ وهل

تفارق البدن بالموت ؟ وهل تتصور بصورة وتعقل بعد الموت ؟ ونحو

ذلك مجلد

وله جواب : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا ؟  
وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابيا ؟

وجواب : هل كان النبي صل الله عليه وسلم قبل الوحي متعبدا بشرع  
من قبله من الأنبياء ؟

وله جواب في كفر فرعون ، والرد على من لم يكفره  
وجواب في ذى الفقار هل كان سيفا لعللى رضى الله عنه ؟  
وله قواعد وأجوبة في الايمان ، هل يزيد وينقص ؟ وما يتبع ذلك .  
نحو مجلد

وله جواب في عقيدة الأشعرية ، وعقيدة الماتريدى وغيره من  
الحنفية ، تسمى الماتريدية

وله عقيدة تسمى الحوفية  
وله أجوبة في العرش والعالم ، هل هو كرى الشكل أم لا ؟  
وفى قصد القلوب العلوى ، ماسببه ؟  
وله فى الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا  
مجلد لطيف

وله جواب محي الدين الأصبهاني فى عدة كراريس  
وله جواب فى الفرق بين ما يتأول من النصوص وما لا يتأول

ومسألة في قوله « أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم »

هل هو كلامه صلى الله عليه وسلم ؟ .

وقاعدة في الرد على أهل الاتحاد

وله مؤلف في الرد على ابن عربي

وجواب على حال الخلاج ورفع ما يقع فيه من اللجاج

وله مسائل وقواعد في الاستغاثة ، غير ما تقدم ذكره

وجواب في الرضا على كلام أبي سليمان الداراني

وجواب في رؤية النساء ربهم في الجنة ، سأله عنه الشيخ ابراهيم

الرقى رحمه الله

وجواب في العباس وبلال رضي الله عنهما : أيهما أفضل ؟

» في الكتاب الذي هم به النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه

» فيمن يقول : إن بعض المشايخ أخى ميتا

وله أجوبة في مسائل وردت من أصبهان

وجواب عن مسائل وردت من الأندلس

» عن سؤال ورد من الرحبة

» عن سؤال ورد من ماردین

وجواب، عن سؤال ورد من أزرع

وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت من الصلّت  
وجواب في أرض الموات إذا أحيّاها الرجل ، ثم عادت مواتا :  
هل تملك بالاحياء مرة أخرى ؟

وله وصايا عدة يسئل عنها ؟  
وكتب منها : وصية لابن المهاجرى فى كراريس  
ووصية كتبها للتّجيبى  
وله إجازات . منها :

إجازة لأهل سبّته ذكر فيها مسموعاته  
وإجازة كتبها لبعض أهل توريّز  
» لأهل غرناطة  
» اصبيان

وله قواعد وأجوبة فى الفقه كثيرة جدا . منها :  
قاعدة فى الجمعة ؛ هل يشترط لها الاستيطان ؟  
وقاعدة فى المسح على الخفين ، وهل يجوز على المقطوع ؟  
وقاعدة فى حاق الرأس ، هل يجوز فى غير النسك اغير عذر ؟  
وقواعد فى الاستجار ، وفى الأرض ، هل تطهر بالشمس والريح ؟  
وقواعد فى نواقض الوضوء ، وفى المحرمات فى النكاح

وقاعدة في الجدِّ ، هل يُجبر البكر على النكاح ؟ وفي الاستئذان  
من الأب ، هل يجب ؟

وجواب في المظالم المشتركة وأحكامها

وجواب عن أهل البدع ، هل يصلى خلفهم ؟

ومسائل وأجوبة في قتال التتار الذين قدموا مع قازان وغيره وفي  
قتال أهل البيعات من النصارى ، ونصارى ملطية ، وقتال الأحلاف  
والمحاربين ، نحو مجلد

وقاعدة في قوله صلى الله عليه وسلم « استحللتم فروجهن  
بكلمة الله »

وقاعدة في العينة والتورق ، ونحوها من البيعات

وقاعدة في القراءة خلف الإمام

وقاعدة في قوله صلى الله عليه وسلم « من بكر وأبتكر ، وغسل  
واغتسل »

وأجوبة في الصلوات المبتدعة ، كصلاة الرغائب ، ونصف شعبان  
ونحو ذلك

وأجوبة في النهي عن أعياد النصارى ، وعما يفعل من البدع يوم  
عاشوراء ، نحو مجلد



وله مسألة في أن الجد يُسقط الاخوة ؟

وقاعدة في توريث ذوى الأرحام

ومسألة في بيع المسلم فيه قبل قبضه ، هل يجوز ؟

وله أجوبة في رؤية هلال ذى الحجة إزارآه بعض الناس ، ما حكمهم

في الأضحية ؟ وفي قوله « صومكم يوم تصومون » وفيما إذا غُمَّ هلال

رمضان ليلة الثلاثين ، هل يجب الصوم أم لا ؟

وجواب في الاجارة ، هل العقود عليه تهيو العين وصلاحياتها لنفع

المستأجر ؟ وهل ما يحدث في العين على ملكه ؟ وهل هي على وفق

القياس ؟

وله قاعدة في أن ما كان داعياً إلى الفرقة والاختلاف يجب

النهي عنه .

وجواب في التسمية على الوضوء

وقواعد في سباق الخيل ورعى النشاب

وقواعد وأجوبة في النية في الصلاة : وغير ذلك من العبادات

وأجوبة في صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض ، وأنه جائز

وجواب فيمن تفقه على مذهب ثم يجد حديثاً صحيحاً بخلاف مذهبه

وجواب فيمن يقول : أنا مذهبي غير موافق للأربعة

وجواب فيمن يقول : من لا شيخ له فشيخه الشيطان  
وجواب في الخلقة من ماء الزاني ، هل له أن يتزوج بها ؟  
وجواب في صلاة الركعتين جالسا بعد الوتر  
وجواب في القنوت في الصبح والوتر  
وجواب عن المرازقة<sup>(١)</sup> وما يفعلونه من أعمال ؛ والرد عليهم فيما  
أخطأوا فيه

وقاعدة في الحمام والاعتسال  
وقاعدة في الصلاة بين الأذانين يوم الجمعة  
وجواب في قوله « خير القرون الدوارس »  
وجواب في نصرانية ماتت وفي بطنها ولد من مسلم  
وجواب في امرأة مسلمة ماتت ، وفي بطنها إذ ذاك ولد  
حَيٌّ متحرك .

وجواب مبسوط في السجّادة التي تُفرش في المسجد ، قبل الجمعة ،  
قبل مجيء المصلي

وجواب في ساعة الجمعة ، هل هي مقدّرة بالدّرج ؟  
وله أجوبة في الوقف في مُنقطع الوسط وغيره

---

(١) طائفة من أهل الطرق الصوفية

وله مسألة تسمى الواسطة

وله إبطال الكيمياء

ومسألة الشفاعة ، ومسألة الشهادة بالاستفاضة .

ومسألة في الاجازة على كتاب « المصابيح » للبغوى

وأخرى على كتاب « المصابيح » أيضا

وله في الأحاديث وشرحها شيء كثير جدا . منها ما بيّض ، ومنها

مالم يبيّض ، ولو بيّض لبلغ مجلدات عديدة

وكتب كثيرا من مسند الإمام أحمد وغيره على أبواب الفقه

وله مختصر في الكلم الطيب . جمع فيه الأذكار المستعملة

طرفي النهار ، وغير ذلك

وشرح حديث أبي ذرّ ، الذي أوله « يا عبادى إني حرّمتُ الظلمَ

على نفسي »

وحديث « الأعمال بالنيّات »

وحديث « بدأ الاسلامُ غريبا »

وحديث « لا يرثُ المسلم الكافر »

وحديث الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر

الصدّيق « اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا »

وحديث جبريل في الايمان والاسلام ، غير كتاب الايمان المتقدم ،  
في مجاد لطيف

وحديث « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » شرحه مرات  
عديدة .

وحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » شرحه غير مرة .  
وحديث النزول ، شرحه مرات .

وحديث الأولياء الذي رواه البخاري منفردا به « من عادى لي  
وأيًّا فقد بارزني بالمحاربة » شرحه مرّات ، تارة يسئل عن مجموعه  
وتارة يسئل عن التردد المذكور فيه<sup>(١)</sup> .

وحديث حكيم بن حزام « أسلمت على ما أسلفت من خير »  
وحديث ابن مسعود في درء الهم<sup>(٢)</sup> .

---

(١) هو قوله صلى الله عليه وسلم فيه عن الله « وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته »  
(٢) روى أحمد وابن حبان والبخاري عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما قال عبد أصابه هم أو حزن : اللهم انى عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن نور صدري وربي »

وحدیث معاذ وقول النبی صلی اللہ علیہ وسلم « لا تدعن دُبُرَ کل  
صلاة »

وحدیث بريرة وقول النبی صلی اللہ علیہ وسلم لعائشة « اشتر  
طی لهم الولاء » .

وحدیث « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » شرحه مرات .

وحدیث « لَا يُضْرَبُ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ »

وحدیث « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى  
آلِ إِبْرَاهِيمَ »

وشرح أحادیث كثيرة غير ما ذكر

وشرح ماروی عن عمر رضی اللہ عنه أنه قال « نعم العبد صهيبي »

لو لم يخف الله لم يعصه « وتسكلم على « لو »

وشرح قول علی رضی اللہ عنه « لا يرجون عباد إلا ربّه ،

ولا يخافن إلا ذنبه »

وله أجوبة كثيرة في أحادیث يسئل عنها من صحيح يشرحه ،

وضعيف يمين ضعفه ، وباطل ينبّه على بطلانه

---

قلبي وجلاء حزني وذهاب همي وغمي : إلا أذهب الله همه وأبدله مكان

حزنه فرحاً »



وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير ، غير ما تقدم ذكره ، يشق ضبطه وإحصاؤه ، ويعسر حصره واستقصاؤه

وسأجتهد إن شاء الله تعالى في ضبط ما يمكنني من ضبط مؤلفاته في موضع آخر غير هذا

وأبين ما صنفه منها بمصر ، وما ألفه منها بدمشق ، وما جمعه وهو في السجن ، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب ، بعون الله تعالى وقوته ومشيتته .

قال الشيخ أبو عبد الله <sup>(١)</sup> : لو أراد الشيخ تقي الدين رحمه الله أو غيره . حصرها — يعني مؤلفات الشيخ — لما قدروا . لأنه مازال يكتب . وقد من الله عليه بسرعة الكتابة ، ويكتب من حفظه من غير نقل .

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم ، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر ، وأحصيت ما كتبه وبيضه في يوم فكان ثمان كراريس في مسألة من أشكال المسائل ، وكان يكتب على سؤال الواحد مجلداً .

---

(١) هو أخو شيخ الاسلام ابن تيمية

وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة ، وستين ، وأربعين ،  
وعشرين ، فكثير .

وكان يكتب الجواب . فان حضر من يبيّضه ، وإلا أخذ السائل  
خطه . وذهب

ويكتب قواعد كثيرة في فنون من العلم : في الأصول ، والفروع ،  
والتفسير ، وغير ذلك ، فان وجد من نقله من خطه ، وإلا لم يشتهر ، ولم  
يعرف ، وربما أخذه بعض أصحابه ، فلا يُقدَّر على نقله ، ولا يرُدّه  
إليه ، فيذهب .

وكان كثيراً ما يقول : قد كتبت في كذا ، وفي كذا  
ويستل عن الشيء فيقول : قد كتبت في هذا . فلا يدرى أين  
هو ؟ فيلتفت إلى أصحابه ، ويقول : ردُّوا خطِّي وأظهروه ، لينقل . فمن  
حرصهم عليه لا يردونه . ومن عجزهم لا ينقلونه ، فيذهب ، ولا يعرف اسمه .  
فلهذه الأسباب وغيرها تعذر إحصاء ما كتبه وما صنفه .

وما كفى هذا إلا أنه لما حبس تفرَّق أتباعه ، وتفرقت كتبه ،  
وخوفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه . ذهب كل أحد بما عنده وأخفاه ،  
ولم يظهروا كتبه . فبقى هذا يهرب بما عنده ، وهذا يبيع ، أو يهبه .  
وهذا يخفيه ويودعه ، حتى إن منهم من تُسرق كتبه أو تُجحد ،  
( ه — العقود الدرية )

فلا يستطيع أن يطلبها . ولا يقدر على تخليصها . فبدون هذا تتمزق  
الكتب والتصانيف . ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ومنّ وأنعم ،  
وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه وتصنيفه ، لما أمكن لأحد أن  
يجمعها .

وقد رأيت من خرق العادة في حفظ كتبه وجمعها ، وإصلاح ما  
فسد منها ، وردّ ما ذهب منها : ما لو ذكرته لكان عجبا ، يعلم به كل منصف  
أن الله عناية به وبكلامه ، لأنه يذبّ عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم  
تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين .

قلت : ومن مؤلفاته أيضا :

قاعدة في تقرير النبوات بالعقل والنقل

وقاعدة في تبديل السيئات حسنات

» » إبطال المجردات

» » التشابهات

» » إثبات الرؤية ، والرد على نفقاتها

» » وجوب تقديم محبة الله تعالى ورسوله على النفس

والمال والأهل

وقاعدة في لفظ « الجسم » واختلاف الناس واصطلاحاتهم في

هذا الاسم

وقاعدة في تحريم الحشيشة ، وبيان حكم آكلها ، وماذا

يجب عليه ؟

وقاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار

وله الحموية الكبرى — والحموية الصغرى

فأما الحموية الكبرى فأملأها بين الظاهر والعصر ، وهى جواب

عن سؤال ورد من حماة ، سنة ثمان وتسعين وستائة <sup>(١)</sup> ، وجرى بسبب تأييدها أمور ومحن . وتكلم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك . وقال في مقدمتها ، وهى عظيمة جدا : —

« قولنا فيها : ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، وما قاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفى غيره

فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً ، وأمره أن يقول ( هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى <sup>(٢)</sup> )

(١) والسؤال عن آيات الصفات ، كقوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) وغيرها من الآيات وأحاديث الصفات  
(٢) فى سورة يوسف ( آية ١٨٠ )

فمن المحل في العقل والدين : أن يكون السراج المير ، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور . وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به : من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله . وإلى سبيله بإذنه على بصيرة ، وقد أخبر الله أنه أكمل له ولأمته . دينهم . وأتم عليهم نعمته -

محال مع هذا وغيره - أن يكون قد ترك باب الايمان بالله . والعلم به ملتبساً مشتبهاً . ولم يتميز ما يجب لله <sup>(١)</sup> من الأسماء الحسنى . والصفات العلى ، وما يجوز عليه . وما يمتنع عليه . فن معرفة هذا أصل الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب ، وحصلته النفوس ، وأدركته العقول

فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ؟!!  
ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء ، حتى الخراءة <sup>(٢)</sup>

(١) في المطبوعة بمكة « ولم يبين ما يجب الله » وهو خطأ

(٢) روى مسلم وأبوداود والترمذى عن عبد الرحمن بن يزيد قال « قيل : اسلمان : علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ؟ فقال سلمان :



وقال « تركتكم على الحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها  
بعدي إلا هالك <sup>(١)</sup> » .

وقال فيما صح عنه أيضا « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه  
أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم »  
وفى أبو ذر « لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر  
يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً »

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « قام فينا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مقاماً قد كر بدء الخلق . حتى دخل أهل الجنة منازلهم ،  
وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه » رواه  
امخارى

محال مع هذا ، ومع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ، وإن  
دق : أن يتك تعليمهم ما يقولونه بالسنتهم ، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم  
ومعبودهم ، رب العالمين ، الذى معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف  
مقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ،

---

أجل . نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، وأن نستنجى باليمين ، أو  
أن يستنجى أحداً بأقل من ثلاثة أحجار ، أو أن يستنجى برجيع أو بعظم »  
(١) أخرجه ابن ماجه

وزُبدة الرسالة الالهية . فكيف يتوَّهم من في قلبه أدنى مُسْكَة من  
إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية  
التمام ؟ !

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه ، فمن المحال أن يكون خَيْرُ أُمَّتِهِ ،  
وأفضل قرونها قَصَّبُوا في هذا الباب . زائدين فيه ، أو ناقصين عنه  
ثم من المحال أيضا أن تكون القرون الفاضلة : القرن الذي بُعث  
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم  
كانوا غير عالمين به ، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ، لأن  
ضدَّ ذلك ، إما عدم العلم والقول ، وإما اعتقاد تقيض الحق . وقول  
خلاف الصدق . وكلاهما ممتنع

أما الأول ، فلأن مَنْ في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم . ونَهْمُهُ  
في العبادة يكون البحث عن هذا الباب ، والسؤال عنه ، ومعرفة الحق  
فيه : أكبر مقاصده . وأعظم مطالبه <sup>(١)</sup> . وليست النفوس الصحيحة  
إلى شيء أشوقَ منها إلى معرفة هذا الأمر . وهذا أمر معلوم بالفطرة  
الوجدية <sup>(٢)</sup> .

---

(١) بالمطبوعة المسكية زيادة « أعنى بيان ما يذبغى اعتقاده ، لا معرفة  
كيفية الرب وصفاته » وأغلب الظن : أن هذا من تعليق بعض القارئین  
وتفسيره

(٢) وفي نسخة « الوجدانية » اه من هامش الأصل

فكيف يتصور — مع قيام هذا المقتضى ، الذى هو من أقوى  
المقتضيات — أن يتخلف عنه مقتضاه لأولئك السادة فى مجموع عصرهم ؟؟  
هذا لا يكاد يقع فى أبلد الخلق ، وأشدّهم إعراضاً عن الله . وأعظمهم  
إكباباً على طلب الدنيا ، والغفلة عن ذكر الله ، فكيف يقع فى أولئك ؟  
وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائلية . فهذا لا يعتقده

مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن أن يُسَطَّرَ  
فى هذه الفتيا أو أضعافها . يعرف ذلك من طلبه وتنبهه .

ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين ، كما قد يقوله  
بعض الأغبياء ، ممن لم يقدر قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله  
والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها : من أن طريقة السلف أسلم ،  
وطريقة الخلف أعلم ، وأحكم <sup>(١)</sup> .

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يُفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ، ومن  
حذاقهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف  
هى مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة

---

(١) فى المطبوعة المسكية زيادة « وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت  
من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً » وغالب الظن أنها ليست  
من كلام شيخ الاسلام

الْأَمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ( وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً )<sup>(١)</sup> وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ ، وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ .  
فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر .

وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم . وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك : اعتقادهم أنه ليس لله في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص ، بالشبهات الفاسدة ، التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين .

فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ ، وتقويض المعنى ، وهي التي يسمونها « طريقة السلف » — وبين صرف اللفظ إلى معانٍ أخرى بنوع تَكَلُّفٍ ، وهي التي يسمونها « طريقة الخلف » فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل ، والكفر بالسمع .

فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ، ظنوها بَيِّنَات ، وهى شُبُهَات ، والسمعُ حَرَّفُوا فيه السَّكَمَ عن مواضعه .

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين ، كانت النتيجة استجبال السابقين الأوليين واستبلاهم ، واعتقاد أنهم كانوا أميين ، بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقيق العلم بالآلهى ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله .

وهذا القول إذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة . كيف يكون هؤلاء المتأخرون — لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم <sup>(١)</sup> ، حيث يقول <sup>(٢)</sup> :

لعمري ، لقد طُفْتُ المعاهد كلها \* وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أرَ إلا واضعا كفَّ حائر \* على ذقن ، أو قارعا سنَّ نادم  
وأقروا على أنفسهم بما قالوه ، متمثلين به أو منشئين له ، فيما صنفوه

(١) في المطبوعة المسكية « أمرهم »

(٢) هو الشهرستاني ، كما ذكره شيخ الاسلام في كتاب موافقة

صحيح المنقول لصريح المعقول المطبوع بهامش منهاج السنة صفحة (٨٩)



من كتبهم ، كقول بعض رؤسائهم<sup>(١)</sup> :

« نهاية إقدام العقول عقال \* وأكثر سعى العالمين ضلال

وأرواحنا في وخشة من جسامنا \* وحاصل دُنْيَانَا أَذَى ووبال

ولم نستفد من محتنا طول عجزنا \* سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فمأيتها تشفى

عليلا ، ولا تُروى غليلا ، ورأيت أقرب الطرق : طريقة القرآن .

أقرأ في الاثبات ( إليه يصعدُ الكلم الطيب ) ( الرحمن على العرش

استوى ) — وأقرأ في النفي ( ليس كمثله شيء ) ( ولا يحيطون به علما )

قال : ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي .

ويقول الآخر منهم<sup>(٢)</sup> : لقد خُضت البحر الحِضَمَّ ، وتركت أهل

الاسلام وعلومهم ، وخُضت في الذي نهوني عنه . والآن إن لم

يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان . وهأنذا أموت على عقيدة أُمى »

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكاً عند الموت : أصحاب

الكلام .

---

(١) هو الرازي في كتابه أقسام اللذات الذي صنّفه في آخر عمره

ذكر ذلك ابن القيم في اجتماع الجيوش الاسلامية ( ص ١٢١ )

(٢) هو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين . ذكر ذلك شيخ الاسلام

في التسعينية ( ص ٢٥١ )

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقق الأمر عليهم لم يوجد  
عندهم من حقيقة العلم بالله ، وخالص المعرفة به خير ، ولم يقعوا من ذلك  
على عين ولا أثر .

كيف يكون هؤلاء الحجبون ، المنقوصون ، المسبوقون المفضلون  
الخياري المتهوكون أعلم بالله واسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته  
وآياته ، من السابقين الأولين : من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم  
باحسان ، من ورثة الأنبياء ، وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ، ومصابيح  
الدُّجَى ، الذين بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ،  
وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر  
أتباع الأنبياء ، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من  
حقائق المعارف ، وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحى  
من يطلب المقابلة ؟ ! .

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ، لاسيما  
العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ، من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ !  
أم كيف يكون أفراخ الفلاسفة ، وأتباع الهند واليونان ، وورثة  
المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى ، والصابئين وأشكالهم  
وأشباههم أعلم بالله من ورثة الأنبياء ، وأهل القرآن والإيمان ؟ !  
وإنما قدّمت هذه المقدمة لأن من استقررت عنده هذه المقدمة

علم طريق الهدى ، أين هو في هذا الباب وغيره ؟ وعلم أن الضلال والتهوُّك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم : من البينات والهدى ، وترَكهم البحث عن طريق السابقين والتابعين ، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بأقراره على نفسه ، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة .

وليس غرضي واحداً معيناً ، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء . وإذا كان كذلك ، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أولها إلى آخرها . ثم عامة كلام الصحابة والتابعين . ثم كلام سائر الأئمة : مملوء بما هو — إما نص ، وإما ظاهر — في أن الله سبحانه وتعالى هو العليُّ الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه <sup>(١)</sup> ) ( إني متوَفِّيكَ ورافعك إليَّ <sup>(٢)</sup> ) ( أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمورُ . أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا <sup>(٣)</sup> ) ( بل رفعه الله إليه <sup>(٤)</sup> ) ( تخرج الملائكة والروح

---

(١) سورة فاطر (آية ١٠) . (٢) سورة آل عمران (آية ٥٥) ،

(٣) سورة الملك (آيتي ١٦ و ١٧) . (٤) سورة آل عمران (آية ١٥٨)

إِليه <sup>(١)</sup> ) ( يُدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يَعْرِجُ إليه <sup>(٢)</sup> )  
 ( يخافون ربهم من فوقهم <sup>(٣)</sup> ) ( ثم استوى على العرش ) في ستة  
 مواضع <sup>(٤)</sup> ) ( الرحمن على العرش استوى <sup>(٥)</sup> ) ( يا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا  
 أَعْلَى أَبْلُغِ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّاعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي  
 لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا <sup>(٦)</sup> ) ( تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ <sup>(٧)</sup> ) ( مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ <sup>(٨)</sup> )  
 إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يُحصى إلا بكلفة .

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بكلفة ، مثل  
 قصة معراج الرسول إلى ربه ، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها  
 إليه ، وقوله في الملائكة « الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار ، فيعرج  
 الذين باتوا فيكم إلى ربهم ، فيسألهم وهو أعلم بهم »  
 وفي الصحيح من حديث الخوارج « ألا تأمنوني وأنا أمين من في  
 السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحا ومساء »

وفي حديث الرُّقِيعِ الذي رواه أبو داود وغيره « ربنا الذي في  
 السماء ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، كَمَا رَحِمْتَكَ فِي السَّمَاءِ ،

- 
- (١) سورة المعارج ( آية ٤ ) . (٢) سورة السجدة ( آية ٥ ) .  
 (٣) سورة النحل ( آية ٥٠ ) . (٤) منها في سورة الفرقان ( آية ٥٩ )  
 (٥) سورة طه ( آية ٥ ) . (٦) سورة غافر ( آيتي ٢٦ و ٢٧ )  
 (٧) سورة فصلت ( آية ٤٢ ) . (٨) سورة الأنعام ( آية ١٤ )

اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا <sup>(١)</sup> وخطايانا، أنت رب الطيبين ،  
أنزل رحمة من رحمتك . وشفاء من شفائك على هذا الوجع » قال صلى  
الله عليه وسلم « إذا اشتكى أحد منكم ، أو اشتكى أخ له فليقل : ربنا  
الذي في السماء » وذكره .

وفي حديث الأوعال « والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه ، وهو  
يعلم ما أنتم عليه » رواه أحمد وأبو داود وغيرهما  
وقوله في الحديث الصحيح للجارية « أين الله ؟ قالت : في السماء ،  
قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله : قال : أعتقها فإنها مؤمنة »  
وقوله في الحديث الصحيح « إن الله لما خلق الخلق كتب في كتاب  
فهو موضوع عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي »  
وقوله في حديث قبض الروح « حتى يعرج بها إلى السماء التي  
فيها الله عز وجل »

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم  
وأقره عليه :

---

(١) الحوب : الذنب والخطيئة . والحديث رواه أبو داود عن زياد  
ابن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء .  
قال المنذرى : وأخرجه النسائي . وأخرجه من حديث محمد بن كعب  
القرظي عن أبي الدرداء . ولم يذكر فضالة بن عبيد . وفي إسناده زياد بن  
محمد الانصاري . قال أبو حاتم الرازي : هو منكر الحديث . وقال ابن



شهدت بأن وعد الله حق \* وأن النار مشوى الكافرين  
 وأن العرش فوق الماء طاف \* وفوق العرش رب العالمين  
 وقول أمية بن أبي الصلت ، الذي أنشد للنبي صلى الله عليه وسلم  
 هو وغيره من شعره ، فاستحسنه وقال « آمن شعره وكفر قلبه » - :  
 مجدوا الله ، فهو للمجد أهل \* ربنا في السماء أمسى كبيراً  
 بالبناء الأعلى الذي سبق الذ \* اس ، وسوى فوق السماء سريراً  
 شرّجاً ما يناله بصر الـ \* عين ، ترى دونه الملائك صُوراً <sup>(١)</sup>  
 وقوله في الحديث الذي في السنن <sup>(٢)</sup> « إن الله حيّ كريم يستحي  
 من عبده إذا رفع يديه إليه ، أن يردهما صِفراً »

وقوله في الحديث « يمد يديه إلى السماء : ياربُّ ، ياربُّ »  
 إلى أمثال ذلك مما لا يحصىه إلا الله ، مما هو من أبلغ التواترات  
 المعنوية والمعنوية ، التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية :  
 الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين : أن الله سبحانه على  
 عرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم : عربهم

حبان : منكر الحديث جديروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك .  
 وقال ابن عدى : لا أعرف له الا مقدار حديثين . روى عنه الليث وابن  
 شيبة . ومقدار ماله لا يتابع عليه . اهـ

(١) جمع أصور . وهو المائل العنق ، لثقل حمله .

(٢) في المسكية وبهامش الأصل نسخة : « في المسند »

وعجمهم في الجاهلية والاسلام . إلا من احتانتته الشياطين عن فطرته .  
 ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجع لبلغ مئين وألوف .  
 ثم نيس في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
 ولا عن أحد من سلف الأمة : لا من الصحابة ، ولا من التابعين لهم  
 باحسن ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف : —  
 حرف واحد يخاف ذلك . لانصاً ولا ظاهراً . ولم يقل أحد منهم قط :  
 إن الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه بذاته في  
 كل مكان . ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء . ولأنه لا داخل العالم  
 ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل . ولا أنه لا تجوز إليه الإشارة  
 الحسية ، الأصابع ونحوها .

بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله « أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة ، يوم عرفات ، في أعظم مجمع  
 حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم — جعل يقول : ألا هل بلغت ؟  
 فيقولون : نعم . فيرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم . ويقول : اللهم  
 أشهد » غير مرة . وأمثال ذلك كثير .

فإن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة  
 بالكتاب والسنة من هذه العبارات ونحوها ، دون ما يفهم من الكتاب  
 والسنة ، إما نصاً وإما ظاهراً ، فكيف يجوز على الله تعالى ، ثم على

رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم على خير الأمة : أنهم يتكلمون دائماً بما هو إما نص أو ظاهر في خلاف الحق ؟ ! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحدون به قط ، ولا يدلون عليه ، لانصا ولا ظاهراً ، حتى تجيء أنباط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يُبينون للأمة العتيدة الصحيحة ، التي يجب على كل مكلف ، أو كل فاضل أن يعتقدها ؟ ! لأن كان الحق ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلمون وهو الاعتقاد الواجب . وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم ، وأن يدفعوا مقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً . لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع ، على هذا التقدير . بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين

فإن حقيقة الأمر — على ما يقوله هؤلاء — : إنكم يا معشر العباد لا تطالبوا معرفة الله وما يستحقه من الصفات : نفياً وإثباتاً ، لا من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق ساف الأمة . ولكن انظروا أنتم ، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات ، فصفوه به . سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن . وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به .

ثم هم ههنا فريقان : أكثرهم يقولون : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ، ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نقاه قياس عقولكم الذي أنتم

فيه مختلفون ومضطربون - اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض - فانفوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فانه الحق الذي تعبدتكم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، أو ثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أني امتحنتكم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب الكلام ، وأن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله ، مع نفي دلالاته على شيء من الصفات .

هذا حقيقة الأمر — على رأي هؤلاء المتكلمين .

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم

لجماعتهم لزوما لا محيد عنه .

ومضمونه : أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله ، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء ، كإبراهيم والفلاسفة . وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين ، وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به ، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم !! .

وما أشبه حال هؤلاء المتكافين بقوله سبحانه ( ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يُريدون أن يتحاكوا إلى الطَّاغوتِ وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلَّهم ضالًّا بعيداً . وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مُصيبة بما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً )<sup>(١)</sup> فإن هؤلاء إذا دُعوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول — والدعاء إني بعد وفاته : هو الدعاء إلى سنته — أعرضوا عن ذلك وهم يقولون : إنا قصدنا الإحسان علماً وعملاً ، بهذه الطريق التي سلكتها ، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين ، أو بعض ورثتهم الذين تسموا أن يكفروا بهم : مثل فلان وفلان ، أو عمن قال كتولهم في تشابه قلوبهم ( فلا وربك لا يؤمنون ، حتى يحسبوا في شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسألوا تسالماً )<sup>(٢)</sup> ( كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم

(١) سورة النساء الآيات ( ٦٠ - ٦٢ )

(٢) سورة النساء آية ( ٦٥ )



الكتاب بالحق لِيَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البَيِّنَاتُ بَغْيًا بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه <sup>(١)</sup> .

ولازم هذه المقالة : أن لا يكون الكتاب هُدًى للناس ولا بياناً ، ولا شفاء لما في الصدور ، ولا نوراً ، ولا مَرَدًّا عند التمازع . لأننا نعلم بالاضطرار أن مايقول هؤلاء المتكلفون : إنه الحق الذي يجب اعتقاده ، لم يدل عليه الكتاب ، ولا السنة ، لانصا ولا ظاهراً . وإنما غاية المتحذلق منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى : ( لم يكن له كفواً أحد ) <sup>(٢)</sup> ( هل تعلم له سَمِيًّا ؟ ) <sup>(٣)</sup>

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دلَّ الخلقَ على أن الله ليس فوق العرش ولا فوق السموات ، ونحو ذلك بقوله ( هل تعلم له سَمِيًّا ) لقد أبعد النجعة . وهو إما مُلَغِزٌ ، وإما مُدَّاسٌ ، لم يخاطبهم بأسان عربي مبين ولازم هذه المقالة : أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم ، لأن مَرَدَّهُم قبل الرسالة وبعدها واحد . وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالاً .

---

(١) سورة البقرة آية ( ٢١٣ )

(٢) سورة قل هو الله أحد

(٣) سورة مريم آية ( ٦٥ )

يا سببحان الله !! كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ، ولا أحد من سلف الأمة : هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم ، واعتقدوا كذا وكذا ، فإنه الحق ، وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره ، وانظروا فيها . فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ، وما لا ، فتوقفوا فيه وانفوه ؟

• ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة ، فقد علم ما سيكون . ثم قال « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله » . وروى عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية « هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

فهلا قال : من تمسك بالقرآن ، أو بدلالة القرآن ، أو بفهم القرآن ، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال ، وإنما الهدى في رجوعكم إلى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ؟ !

وإن كان نبغ أصل هذه المقالة في أواخر عصر التابعين .

ثم أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل للصفات — إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين .

فأول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام : هو الجعدي

ابن درهم ، فأخذها عنه الجهم بن صفوان<sup>(١)</sup> ، وأظهرها ، فنسبت مقالة الجهمية إليه .

وقد قيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سَمعان ، وأخذها أبان من طلوت ابن أخت ليبيد بن الأعصم ، وأخذها طلوت من ليبيد ابن الأعصم اليهودي الساحر ، الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم أطلال الشيخ رحمه الله الكلام إلى أن قال :

« والفتوى لا تحتل البسط في هذا الباب ، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور . والعاقِل يسير فينظر ، وكلام الساف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة ، لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلا منه »  
إلى أن قال :

« وإذا كان أصل هذه المقالة — مقالة التعطيل والتأويل — مأخوذ عن تلامذة المشركين والصائبين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ، بل نفس عاقل ، أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم

---

(١) قال الذهبي : الجعد بن درهم ، مبتدع ضال . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما . فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر والقصة مشهورة . والجهم : الضال المتدع . رأس الجهمية . هلك في زمان صغار التابعين . وما علمته روى شيئا . لكنه زرع شرأ تطيما .

والضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين  
والشهداء والصالحين؟! »

قال : « ثم القول الشامل في جميع هذا الباب : أن يوصف الله بما  
وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، أو بما وصفه به السابقون الأولون  
لا يتجاوز القرآن والحديث »

قال الامام أحمد رضى الله عنه « لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ،  
أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث »<sup>(١)</sup>  
ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما  
وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكيف  
ولا تمثيل . »

ثم ذكر الشيخ رحمه الله جملاً نافعة ، وأصولاً جامعة في إثبات  
الصفات والرد على الجهمية ، وذكر من النقول عن سلف الأمة  
وأئمتها في إثبات علو غيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره  
ثم قال في آخر كلامه :

« وجماع الأمر : أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها

---

(١) هذا الجملة : « قال الامام احمد الخ » . موجودة بهامش الأصل  
الحبر الأحمر .

سنة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ، قسمان يقولون :  
تُجرى على ظواهرها . وقسمان يقولون : هي على خلاف ظاهرها .  
وقسمان يسكتون .

أما الأولون فقسمان :

أحدهما : من يجريها على ظاهرها ، وبجعل ظاهرها من جنس  
صفات الخلقين . فهو لاء هم المشبهة . مذهبهم باطل أنكروه الساف .  
والإهم توجه الرد بالحق

والثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى كما يجري  
اسم «العليم» و «القدير» و «الرب» و «الاله» و «الموجود» و «الذات»  
ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى . فان ظواهر هذه الصفات  
في حق الخلقين إما جوهر محدث ، وإما عرض قائم به . فالعلم والكلام  
والقدرة ، والمشيئة ، والرحمة ، والرضا ، ونحو ذلك في حق العبد : أعراض  
والوجه ، واليد ، والعين في حقه أجسام . فإذا كان الله موصوفاً عند عامة  
أهل الانبيات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية ، وإن لم تسكن أعراضاً  
يجوز عليها ما يجوز على صفات الخلقين ، جاز أن يكون وجه الله ويداؤه  
ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات الخلقين . وهذا هو المذهب  
الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف . وعليه يدل كلام جمهورهم  
وكلام الباقيين لا يخالفه . وهو أمر واضح



فإن الصفات كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة ، من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين

فمن قال : لا أعقل علما ويدا إلا من جنس العلم واليد المعبودين قيل له : فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ؟ . ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته . وتلائم حقيقته . فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثل شئ إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه .

وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمي : كيف استوى ؟ وكيف ينزل إلى سماء الدنيا ؟ وكيف يده ؟ ونحو ذلك .

فقل له : كيف هو في نفسه ؟

فاذا قال : لا يعلم ما هو إلا هو ، وكُنْه الباري غير معلوم للبشر . فقل له : فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف . فكيف يمكن أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته ؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة ، على الوجه الذي ينبغي لك

بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء » وقد أخبر الله تعالى أنه

( لا تعلم نفس ما أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ <sup>(١)</sup> ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر <sup>(٢)</sup> »

فاذا كان نعيم الجنة — وهو خلق من خلق الله — كذلك ، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟!

وهذه الروح التي في بنى آدم ، قد علم العاقل اضطراب الناس فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كقيمتها . أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى ؟ مع أنا نقطع أن الروح في البدن ، وأنها تخرج منه وتخرج إلى السماء ، وأنها تسلك منه وقت النزاع ، كما نطقنا بذلك النصوص الصحيحة . لا نغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم ، حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه ، وتجنبوا فيها ، حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته . فعدم مماثلتها للبدن لا ينبغي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها ، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص ، فيكونوا قد أخطأوا في اللفظ . وأنى لهم بذلك؟! .

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها — أعني الذين يقولون : ليس .

---

(١) سورة السجدة آية (١٧)

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة

لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط ، وأن الله لا صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلب وإما إضافة ، وإما مركبة منهما . أو يثبتون بعض الصفات : وهي السبعة ، أو الثمانية ، أو الخمسة عشر ، أو يثبتون الأحوال دون الصفات ، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين - فهؤلاء قسمان قسم يتأولونها ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى ، بمعنى : استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدرة ، أو بمعنى : ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه . إلى غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكن نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

وأما القسم الواقفان فقسم يقولون : يجوز أن يكون المراد ظاهرها اللائق بالله ، ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ، ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم

وقسم يسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث ، معرضين بقلوبهم وأسمئهم عن هذه التقديرات فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها : القطع بالطريقة الثانية كالآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه فوق عرشه ، ويعلم طريق الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على

ذلك دلالة لا تحتمل النقيض ، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك ،  
مع احتمال النقيض . وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم  
والإيمان (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره ، فليدع بما رواه مسلم في صحيحه  
عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا  
قام من الليل يصلي يقول : اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر  
السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة . أنت تحكم بين عبادك فيما  
كانوا فيه يختلفون ، اهتدي لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي  
من تشاء إلى صراط مستقيم » وفي رواية لأبي داود « أنه كان يكبر  
في صلاته ، ثم يقول ذلك »

فإذا افتقر العبد إلى الله تعالى ودعاه ، وأدمن النظر في كلام الله  
تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة  
المسلمين افتتح له طريق الهدى .

ثم إن كان قد خبر نهايات إقدام المتفاسفة والمتكلمين في هذا  
الباب ، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً ، وهو شبهة . ورأى أن غالب  
ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها ، أو شبهة مركبة من قياس  
فاسد ، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية ، أو دعوى إجماع لا حقيقة  
له ، والتثيل في المذهب ، والدليل بالألفاظ المشتركة .

ثم إن ذلك إذا ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عن من لم يعرف اصطلاحهم أو همّت الغرّ ما يوهمه السّرّاب للعطشان — : ازداد إيماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة . فإن الضد يُظهر حسنه الضدّ . وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً ، وبقدرة أعرف .

فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه . وعلى من قد أنهاه نهايته . فإن من لم يدخل فيه هو في عافية . ومن أنهاه فقد عرف الغاية . فما بقي يُخاف عليه من شيء آخر . فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله ، وأما المتوسط فمتوهم بما يلقاه من المقالات المأخوذة ، تقليداً لمعظمه وتهويلاً .

وقد قال الناس : أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبيب ، ونصف نحوي . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان .

ومن علم أن المتكلمين من المتفاسفة وغيرهم في الغالب في قولٍ مختلف ، يُؤفكُ عنه من أُنك . يعلم الذكي منهم العاقل أنه ليس هو من يقول على بصيرة ، وأن حجته ليست بيينة ، وإنما هي كما قيل فيها :

حجج تهافت كالزجاج ، تخالها \* حقا . وكل كاسر مكسور



ويعلم البصير العالم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رضى الله عنه حيث قال : « حكى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجرید والنعال ، ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام » .

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر - والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم - رحمتهم ورفقت عليهم ، أوتوا ذكاء ، وما أوتوا زكاء<sup>(١)</sup> ، وأعطوا فهموما ، وما أعطوا علوما ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ( فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ) .

ومن كان عالماً بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف ، وعلمهم ، وخبرتهم ، حيث حذروا عن الكلام ، ونهوا عنه ، وذموا أهله ، وعابوهم ، وعلم أن من ابتغى الهدى من غير الكتاب والسنة لم يزد إلا بعداً . فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

---

(١) أن تزكية لقلوبهم وصفاء لها وطهارة

هذا آخر الحموية الكبرى ، وهي ست كراريس بقطع نصف  
البلدى <sup>(١)</sup> .

آلفها الشيخ رحمه الله قبل سنة سبعمئة . وعمره إذ ذاك دون  
الأربعين سنة .

ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل  
الآهواء والبدع ، ما لا يوصف ولا يعبر عنه ، وجرى له من المناظرات  
الاجبية والمباحثات الدقيقة ، في كتبه وغير كتبه ، مع أقرانه وغيرهم ،  
سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه

وقد ذكرنا عن ابن الزمِّلَكَنى - فيما تقدم - أنه قال : ولا يُعرف  
طَرَّ أحداً فانقطع معه

وقد رأيت بخط بعض أصحابه ما صورته :

### تلخيص مبحث

جرى بين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية

رحمه الله وبين ابن المُرَحَّل <sup>(١)</sup>

كان الكلام في الحمد والشكر ، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان  
والحوارح ، والحمد لا يكون إلا باللسان .

(١) وقد طبعت مراراً . آخرها بمكة سنة ١٣٥١

(٢) ابن المرحل هو صدر الدين بن الوكيل

فقال ابن المرحل : قد نقل بعض المصنفين — وسماه — : أن  
مذهب أهل السنة والجماعة : أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد .  
ومذهب الخوارج : أنه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل ، وبنوا  
على هذا : أن من ترك الأعمال يكون كافراً . لأن الكفر تقيض الشكر ،  
فإذا لم يكن شاكراً كان كافراً

قال الشيخ تقي الدين : هذا المذهب المحكى عن أهل السنة خطأ  
والنقل عن أهل السنة خطأ . فان مذهب أهل السنة : أن الشكر  
يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل . قال الله تعالى ( اعملوا آلَ دَاوُدَ  
شُكْرًا )<sup>(١)</sup> وقام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، فقليل له :  
« أتفعل هذا ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال :  
أفلا أكون عبداً شكوراً »<sup>(٢)</sup>

قال ابن المرحل : أنا لا أتكلم في الدليل ، وأسألم ضعف هذا  
القول ، لكن أنا أقول أنه مذهب أهل السنة  
قال الشيخ تقي الدين : نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ ، فان  
القول إذا ثبت ضعفه ، كيف ينسب إلى أهل الحق ؟  
ثم قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر

---

(١) سورة سبأ آية (١٣)

(٢) رواه البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها

يكون بالاعتقاد ، والقول ، والعمل ، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة .

قلت : وباب سجود الشكر في الفقه أشهر من أن يذكر ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عن سجدة سورة ( ص ) « سجدها داود توبة ، ونحن نسجدها شكراً <sup>(١)</sup> » ثم من الذي قال من أئمة السنة : إن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد ؟

قال ابن المرحل : — هذا قد نقل ، والنقل لا يمنع ، لكن يستشكل . ويقال : هذا مذهب مشكل .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : النقل نوعان . أحدهما : أن ينقل ما سمع أو رأى . والثاني : ما ينقل باجتهاد واستنباط . وقول القائل : مذهب فلان كذا ، أو مذهب أهل السنة كذا ، قد يكون نسبه إليه الاعتقاد أن هذا مقتضى أصوله ، وإن لم يكن فلان قال ذلك . ومثل هذا يدخله الخطأ كثيراً . ألا ترى أن كثيراً من المصنفين يقولون : مذهب الشافعي أو غيره كذا ، ويكون منصوصه بخلافه ؟ وعذرهم في ذلك : أنهم رأوا أن أصوله تقتضي ذلك القول ، فنسبوه إلى مذهبه ،

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

من جهة الاستنباط ، لا من جهة النص ؟ . وكذلك هذا ، لما كان  
أهل السنة لا يكفرون بالمعاصي ، والخوارج يكفرون بالمعاصي . ثم رأى  
المصنف الكفر ضد الشكر — : اعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال شكراً لزم  
انتفاء الشكر بانتفاءها ، ومتى انتفى الشكر خلفه الكفر ، ولهذا قال :  
إنهم بنوا على ذلك : التكفير بالذنوب . فلهذا عَزَى إلى أهل السنة  
إخراج الأعمال عن الشكر .

قلت : كما أن كثيراً من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان

هذه العلة

قال : وهذا خطأ ، لأن التكفير نوعان : أحدهما : كفر النعمة .  
والثاني : الكفر بالله . والكفر الذي هو ضد الشكر : إنما هو كفر  
النعمة لا الكفر بالله . فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الكفر بالله  
( فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة ، لا الكفر بالله )

قلت : على أنه لو كان ضد الكفر بالله ، فمن ترك الأعمال شاكر  
بقليه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله . والكفر إنما يثبت إذا  
عُدم الشكر بالكلية . كما قال أهل السنة : إن من ترك فروع الإيمان  
لا يكون كافراً ، حتى يترك أصل الإيمان . وهو الاعتقاد . ولا يلزم من  
زوال فروع الحقيقة — التي هي ذات شُعَب وأجزاء — زوال اسمها ،  
كالإنسان ، إذا قطعت يده ، أو الشجرة ، إذا قطع بعض فروعها .



قال الصدر ابن المرحل : فان أصحابك قد خالفوا الحسن البصري<sup>(١)</sup> في تسمية الفاسق كافر النعمة ، كما خالفوا الخوارج في جعله كافرا بالله .  
قال الشيخ تقي الدين : أصحابي لم يخالفوا الحسن في هذا ، فعمّن من أصحابي هذا ؟ بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة ، حيث أطلقته الشريعة .

قال ابن المرحل : إني أنا ظننت أن أصحابك قد قالوا هذا ، لكن أصحابي قد خالفوا الحسن في هذا .

(١) روى البخارى في خوف المؤمن من أن يحبط عمله ، من كتاب الإيمان . قال : ويذكر عن الحسن « ما خافه - أى النفاق - الا مؤمن لا آمنه إلا منافق » وقد وصل كلام الحسن هذا : الامام جعفر القرياني كتاب صفة المنافق : له من طرق متعددة بالفاظ مختلفة . منها (ص ٦٣) حديثنا جعفر بن سليمان عن المعلى بن زياد سمعت الحسن يخلف عن المسجد « بالله الذى لا إله إلا هو ماضى مؤمن قط ولا بقى إلا وهو منافق مشفق ولا قضى منافق قط ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن » . يقول « من لم يخف النفاق فهو منافق »

وكتب صفة المنافق طبعناه في مجموعة (من دفائن الكنوز) .  
يقول الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ١ ص ٨٢) قال الامام أحمد في كتاب الإيمان : حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام سمعت الحسن يقول : « ماضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق وما آمنه إلا منافق »

قال الشيخ تقي الدين : — ولا أصحابك خالفوه . فان أصحابك قد تأولوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق — مثل ترك الصلاة <sup>(١)</sup> . وقتال المسلمين <sup>(٢)</sup> — : على أن المراد به كفر النعمة . فعلم أنهم يطلقون على المداوى في الجملة أنها كفر النعمة . فعلم أنهم موافقوا الحسنة ، لا مخالفوه .

ثم عاد ابن المرحل ، فقال : أنا أنقل هذا عن المصنف . والنقل ما يمنع ، لكن يستشكل .

قال الشيخ تقي الدين : رادار الأمر بين أن يدسب إلى أهل السنة مذهب باطل ، أو ينسب الناقل عنهم إلى بصرفه في النقل . كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسبة الناقل إلى طائفة أهل الحق . مع أنهم صرحوا في غير موضع : أن الشكر يكون بالقول . والعمل . والاعتقاد . وهذا أظهر من أن ينقل عن واحد بعينه .

ثم إنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق : إخراج الأعمال أن تكون شكراً لله . بل قد نصَّ الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال . وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل .

وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يُمكن فيها على لفظ « الحمد » « والشكر » مثل كتب التفسير <sup>(١)</sup> ، واللغة .

---

(١) كابن جرير وغيره في تفسير سورة الفاتحة .

وشروح الحديث ، يعرفه آحاد الناس . والكتاب والسنة قد دلّا  
على ذلك .

مستزاد

نخرج ابن المرحل إلى شيء غير هذا ، فقال : — الحسن البصري  
يسمى الفاسق منافقا ، وأصحابك لا يسمونه منافقا . النافع

قال الشيخ تقي الدين له : بل يسمى منافقا النفاق الأصغر ،  
لا النفاق الأكبر . والنفاق يطلق على النفاق الأكبر ، الذي هو  
إضمار الكفر ، وعلى النفاق الأصغر ، الذي هو اختلاف السر والعلانية  
في الواجبات .

قال له ابن المرحل : — ومن أين قلت : إن الاسم يطلق على  
هذا وعلى هذا ؟

قال الشيخ تقي الدين : — هذا مشهور عند العلماء . وبذلك  
سروا قول النبي صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث : إذا حدث  
كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أئتمن خان <sup>(١)</sup> » وقد ذكر ذلك  
ترمذي وغيره . وحكوه عن العلماء

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . وزاد مسلم في رواية  
أن صام وصلى وزعم أنه مسلم » وروى الترمذي عن ابن عمرو عن  
نبي صلى الله عليه وسلم قال « أربع من كن فيه كان منافقا . وإن كانت

وقال غير واحد من السلف « كفرٌ دون كفر ، ونفاق دون  
نفاق ، وشرك دون شرك <sup>(١)</sup> »

وإذا كان النفاق جنساً تحت نوعان ، فالفاسق داخل في أحد  
نوعيه .

قال ابن المرحّل : كيف تجعل النفاق اسم جنس ، وقد جعلته لفظاً  
مشترکاً ، وإذا كان اسم جنس كان متواطئاً ، والأسماء المتواطئة غير  
المشتركة . فكيف تجعله مشتركاً متواطئاً ؟

قال الشيخ تقي الدين : أنا لم أذكر أنه مشترك . وإنما قلت :  
يطلق على هذا وعلى هذا ، والاطلاق أعم .

ثم لو قلت : إنه مشترك لكان الكلام صحيحاً . فإن اللفظ الواحد  
قد يطلق على شيئين بطريق التواطؤ ، وبطريق الاشتراك . فأطلقت

---

فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث  
كذب . وإذا وعد أخاف . وإذا خاصم فجر . وإذا عاهد غدر » قال  
أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وإنما معنى هذا عند أهل العلم :  
نفاق العمل . دائماً كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم . هكذا روى عن الحسن البصري شيء من هذا .

(١) قال البخاري : باب كفران العشير ، وكفر دون كفر

لفظ النفاق على إبطان الكفر ، وإبطان المعصية ، تارة بطريق الاشتراك وتارة بطريق التواطؤ ، كما أن لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن ، عند قوم باعتبار الاشتراك ، وعند قوم باعتبار التواطؤ . ولهذا سمى مشككا .

قال ابن المرحل : — كيف يكون هذا ؟ وأخذ في كلام لا يحسن ذكره .

قال له الشيخ تقي الدين : — المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر . وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميز ، واللفظ يطلق على كل منهما ، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تتأز كل ماهية عن الأخرى . فيكون مشتركا كالاشتراك اللفظي . وقد يكون مطلقا باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين . فيكون عطا متواطئا

قلت : ثم إنه في اللغة يكون موضوعا للقدر المشترك ، ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله : في هذا تارة ، وفي هذا تارة . فيبقى دالا عرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتنياز . وقد يكون قرينة ، تل لام التعريف ، أو الاضافة ، تكون هي الدالة على ما به الامتنياز



مثال ذلك : اسم الجنس إذا غلب في العرف على بعض أنواعه ،  
كلفظ الدابة ، إذا غلب على الفرس ، قد نطقه على الفرس باعتبار القدر  
المشترك بينها وبين سائر الدواب . فيكون متواطئاً . وقد نطقه باعتبار  
خصوصية الفرس ، فيكون مشتركاً بين خصوص الفرس وعموم سائر  
الدواب ، ويصير استعماله في الفرس : تارة بطريق التواطؤ ، وتارة  
بطريق الاشتراك . وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص  
وصار علماً بالغلبة . مثل ابن عمر ، والنجم ، فقد نطقه عليه باعتبار  
القدر المشترك بينه وبين سائر النجوم وسائر بني عمر . فيكون إطلاقه  
عليه بطريق التواطؤ . وقد نطقه عليه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من  
النجوم ، ومن بني عمر . فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى  
الشخصي وبين المعنى النوعي . وهكذا كل اسم عام غلب على بعض  
أفراده ، يصح استعماله في ذلك الفرد بالوضع الأول العام ، فيكون  
بطريق التواطؤ بالوضع الثاني ، فيصير بطريق الاشتراك .

ولفظ « النفاق » من هذا الباب . فانه في الشرع إظهار الدين  
وإبطان خلافه . وهذا المعنى الشرعي أخص من مسمى النفاق في اللغة ،  
فانه في اللغة أعم من إظهار الدين .

ثم إبطان ما يخالف الدين ، إما أن يكون كفراً أو فسقاً . فإذا  
أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب ، فهذا هو النفاق الأكبر الذي

أُوعِدَ صاحبه بأنه في الدرك الأسفل من النار . وإن أظهر أنه صادق أو مُؤَفٍّ ، أو أمين ، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ، ونحو ذلك . فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقا .

فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ

وعلى هذا ، فالنفاق اسم جنس تحته نوعان . ثم إنه قد يراد به النفاق في أصل الدين ، مثل قوله ( إن المنافقين في الدرك الأسفل ) و ( إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ) والمنافق هنا : الكافر .

وقد يراد به النفاق في فروعه ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث » وقوله « أربع من كنَّ فيه كان منافقا خالصا » وقول ابن عمر : فيمن يتحدث عند الأمراء بحديث ، ثم يخرج فيقول بخلافه « كنا نَعُدُّ هذا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفاقا »

فإذا أردت به أحد النوعين ، فاما أن يكون تخصيصه لقريظة افضلية ، مثل لام العهد ، والأضافة . فهذا لا يخرج به عن أن يكون متواطئا ، كما إذا قال الرجل : جاء القاضي ، وعني به قاضي بلده ، لكون اللام للعهد . كما قال سبحانه ( فعصى فرعونُ الرسول ) إن اللام هي أوجببت قصر الرسول على موسى ، لا نفس لفظ « رسول » .

وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه ، فيصير مشتركا بين اللفظ العام والمعنى الخاص . فكذلك قوله ( إذا جاءك المناقون ) فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر إما أن يكون لدخول اللام التي تفيد العهد . والمناق المعهود : هو الكافر ، أو تكون لغلبة هذا الأسم في الشرع على نفاق الكفر . وقوله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه كان منافقا » يعنى به منافقا بالمعنى العام ، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يُبطن .

فإطلاق لفظ « النفاق » على الكافر وعلى الفاسق إن أطلقته باعتبار ما يمتاز به عن الفاسق . كان إطلاقه عليه وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك . وكذلك يجوز أن يراد به الكافر خاصة . ويكون متواطئا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ « منافق » ، بل لام التعريف . وهذا البحث الشريف جار في كل لفظ عام استعمال في بعض أنواعه ، إما لغلبة الاستعمال ، أو لدلالة لفظية خصته بذلك النوع . مثل تعريف الإضافة ، أو تعريف اللام . فإن كان لغلبة الاستعمال صح أن يقال : إن اللفظ مشترك . وإن كان لدلالة لفظية كان اللفظ باقيا على مواطأته .

فهذا صح أن يقال « النفاق » اسم جنس تحته نوعان . لكون اللفظ في الأصل عاما متواطئا .

وصح أن يقال : هو مشترك بين النفاق في أصل الدين ، وبين مطلق النفاق في الدين . لكونه في عرف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر .

### بحث ثان جرى

إن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص .

فالحمد أعم من جهة أسبابه التي يقع عليها ، فانه يكون على جميع الصفات ، والشكر لا يكون إلا على الاحسان . والشكر أعم من جهة مابه يقع ، فانه يكون بالاعتقاد ، والقول ، والفعل . والحمد يكون بالفعل أو بالقول ، أو بالاعتقاد .

أورد الشيخ الامام زين الدين ابن المنجى الحنبلي : أن هذا الفرق إنما هو من جهة متعلق الحمد والشكر ، لأن كونه يقع على كذا ويقع بكذا خارج عن ذاته . فلا يكون فرقا في الحقيقة . والحدود إنما يتعرض فيها لصفات الذات ، لا لما خرج عنها .

فقال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية : —

المعاني على قسمين : مفردة ، ومضافة . فالمعاني المفردة : حدودها لا توجد فيها بتعلقاتها . وأما المعاني الاضافية فلا بد أن يوجد في حدودها تلك الاضافات . فانها داخلة في حقيقتها . ولا يمكن تصورها إلا بتصور تلك المتعلقةات ، فتكون المتعلقةات جزءا من حقيقتها . فتعين ذكرها في الحدود .

والحمد والشكر معينان <sup>(١)</sup> بالمحمود عليه والمشكور عليه . فلا يتم  
حقيقتهما ذكر إلا بذكر متعلقهما . فيكون متعلقهما داخلا في حقيقتهما .  
فاعترض الصدر ابن المرحّل : بأنه ليس للمتعلق من المتعلق صفة  
ثبوتية . فلا يكون للحمد والشكر من متعلقهما صفة ثبوتية . فان المتعلق <sup>(٢)</sup>  
صفة نسبية . والنسب أمور عدمية . وإذا لم تكن صفة ثبوتية لم تكن  
داخلة في الحقيقة . لأن العدم لا يكون جزءا من الوجود .  
فقال الشيخ تقي الدين : قولك : ليس للمتعلق من المتعلق صفة  
ثبوتية . ليس على العموم . بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة  
ثبوتية ، وقد لا يكون . وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين : ليس لمتعلق  
القول من القول صفة ثبوتية .

ثم الصفات المتعلقة نوعان : أحدها : إضافة محضة . مثل الأبوة  
والبنوة ، والفوقية ، والتحتية ، ونحوها . فهذه الصفة هي التي يقال فيها :  
هي مجرد نسبة وإضافة . والنسب أمور عدمية . والثاني صفة ثبوتية  
مضافة إلى غيرها ، كالحب والبغض ، والإرادة والكراهة ، والقدرة ، وغير  
ذلك من الصفات ، فان الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب . فالحب

(١) بهامش الأصل : لعله « متعلقان »

(٢) بهامش الأصل : لعله « التعلق »



معروض للاضافة ، بمعنى أن الاضافة صفة عرضت له . لا أن نفس الحب هو الاضافة . ففرق بين ما هو إضافة وبين ما هو صفة مضافة . فالاضافة يقال فيها : إنها عُدْمية . قال : وأما الصفة المضافة فقد تكون ثبوتية ، كالحب .

قال ابن المرحل : الحب أمر عدى . لأن الحب نسبة . والنسب عُدْمية .

قال الشيخ تقي الدين : كون الحب والبغض والارادة والكراهة أمراً عُدْمياً باطل . بالضرورة . وهو خلاف إجماع العقلاء

ثم هو مذهب بعض المعتزلة في إرادة الله . فانه زعم أنها صفةٌ سلبية . بمعنى أنه غير مغلوب ولا مستكره . وأطبق الناس على بطلان هذا القول . وأما إرادة الخلق وحبّه وبُغْضُهُ فلم نعلم أحداً من العقلاء قال : إنه عدى .

فأصر ابن المرحل ، على أن الحب — الذى هو مَيْل القلب إلى المحبوب — أمر عدى . وقال : المحبة : أمر وجودى .

قال الشيخ تقي الدين : — المحبة هي الحب : فانه يقال : أحبه وحبته حباً ومحبة . ولا فرق . وكلاهما مصدر .

قال ابن المرحل : وأنا أقول : إنهما إذا كنا مصدرين فيما أمر  
عدمي .

قل له الشيخ تقي الدين : الكلام إذا انتهى إلى المقدمات  
الضرورية فقد انتهى وتم . وكون الحب والبغض أمراً وجودياً معلوم  
بالاضطرار . فإن كل أحد يعلم أن الحى ن كان خالياً عن الحب كان  
هذا الخلو صفة عدمية . فإذا صار محب ، فقد تغير الموصوف وصار  
له صفة ثبوتية زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب . ومن يحس  
ذلك من نفسه يحده ، كما يحده شهوته ونفرتة ورضاه وغضبه ولذته وألمه

ودلائل ذلك : أنك تقول : أحب يحب محبة . ونقيض أحب :  
لم يحب . ولم يحب : صفة عدمية . ونقيض العدم الاثبات  
قال ابن المرحل : هذا ينتقض بقولهم : امتنع يمتنع . فإن نقيض  
الامتناع : لا امتناع . وامتنع صفة عدمية .

قال الشيخ تقي الدين : الامتناع أمر اعتبارى عقلى . فإن الامتناع  
ليس له وجود خارجى . حتى تقوم به صفة . وإنما هو معلوم بالعقل .  
وباعتبار كونه معلوماً له ثبوت علمى . وسلب هذا الثبوت العلمى : عدم  
هذا الثبوت : فلم ينقض هذا قولنا : نقيض العدم ثبوت ، وأما الحب  
فإنه صفة قائمة بالحب . فانك تشير إلى عين خارجة ، وتقول : هذا الحى

من جهة واحدة أو من جهة أخرى فمجرد وجود الخارجى . فإذا كان  
مجرداً جدياً خارجياً كان له وجوداً خارجياً

وفي الجدل في كون الحب والبغض صفة ثبوتية وجمدية معلوم  
مستحيل . فلا إشكال في أنه براء ولا يلاحظ صاحبه إلا منظره  
الظاهري .

فثبت : وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة  
إلى الذات : صفت وجودية . وتظهر الفرق بين الصفات التي هي  
صفة ذاتية . وبين الصفات التي هي صفة مسبوبة . فالخبر والشكر  
من الصفات التي هي وجودية متعلقة بالجمود عليه . وكذلك  
الخبر وجوى متعلق بالشكر عليه . فلا يتم فهم حقيقة كل منهما إلا  
بالصفة الثبوتية له التي هي صفة باقية . وذلك الصفة داخلة في  
الجمود . وإذا كان متعلق أحدهم أكبر من متعلق الآخر ، وذلك  
بأنه إما هو عارض صفة ثبوتية له . وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية  
إلا أن حقيقتهما .

والمراد على هذا : أن من لم يفهم الاحسان امتنع أن يفهم الشكر .  
فثبت : صفة متعلق الشكر داخل في تصور الشكر .

فت : وهو قيل : به ليس هذا إلا أمراً عديمياً . فحقيقة إن

كانت مركبةً من وجود وعدم ، وجب ذكرهما في تعريف الحقيقة .  
 كما أن من عرّف الأب ، من حيث هو أبٌ . فإن تصوره موقوفٌ على  
 تصوّر الأبوة ، التي هي نسبةٌ وإضافة . وإن كان الأبُ أمراً وجودياً  
 فالحمد والشكر متعلقان بالحمود عليه والمشكور عليه . وإن لم  
 يكن هذا المتعلق عارضاً لصفةٍ ثبوتية . فلا يفهم الحمد والشكر إلا  
 بفهم هذا المتعلق . كما لا يفهم معنى الأب إلا بفهم معنى الأبوة .  
 الذي هو التعلق . وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالحمود عليه  
 والمشكور عليه .

وهذا التعلق جزء من هذا المسمى . بدليل أن من لم يفهم الصفات  
 الجميلة لم يفهم الحمد . ومن لم يفهم الاحسان لم يفهم الشكر .  
 فإذا كان فهمهما موقوفاً على فهم متعلقهما ، فوقوفه على فهم التعلق  
 أولى . فإن التعلق فرع على المتعلق . وتبع له . فإذا توقف فهمهما على  
 فهم المتعلق الذي هو أبعد عنهما من التعلق . فتوقفه على فهم التعلق  
 أولى . وإن كان التعلقُ أمراً عديمياً . والله أعلم

قال له الشيخ تقي الدين بن تيمية : — قوله : (وأحل الله البيع<sup>(١)</sup>)  
قد أتبع بقوله (وحرم الربا) وعامة أنواع الربا يسمى بيعا . والربا — وإن  
كان اسما مجملا — فهو مجهول . واستثناء المجهول من المعلوم بوجوب جهالة المستثنى  
فيبقى المراد إحلال البيع الذي ليس بربا . فلم يثبت أن الفرد المعين  
ليس بربا لم يصح إدخاله في البيع الحلال . وهذا يمنع دعوى العموم .  
وإن كان الربا اسما عاما فهو مستثنى من البيع أيضا . فيبقى البيع لفظا  
مخصوصا . فلا يضح ادعاء العموم على الإطلاق .

قال ابن المرحل : — هذا من باب التخصيص . وهنا عمومان  
« رصا » وليس من باب الاستثناء . فإن صيغ الاستثناء معلومة .  
وإذا كان هذا تخصيصا لم يمنع ادعاء العموم فيه .

قال الشيخ تقي الدين : — هذا كلام متصل ببعضه ببعض ، وهو من  
باب التخصيص المتصل . وتسميته الفقهاء استثناء ، كقوله : له هذه الدار  
ومن منها هذا البيت . فإن هذا بمنزلة قوله : إلا هذا البيت . وكذلك لو  
قال : أكرم هؤلاء القوم . ولا تكرم فلانا . وهو منهم . كان بمنزلة  
قوله : إلا فلانا . وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله : أحل الله البيع  
إلا ما كان منه ربا .

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ .



فمن ادعى بعد هذا أنه عام في كل ما يسمى بيعاً فهو مخطئ .  
قال ابن المرحّل : — أنا أسلم أنه إنما هو عام في كل بيع لا يسمى ربا  
قال له الشيخ تقي الدين : — وهذا كان المقصود . ولكن بطل  
بهذا دعوى عمومته على الإطلاق . فإن دعوى العموم على الإطلاق إنما في  
دعوى العموم في بعض الأنواع دون بعض . وهذا كلام بين  
وادعى مدّّع : أن فيه قولين . أحدهما : أنه عام مخصوص  
والثاني : أنه عموم مراد .

فقال الشيخ تقي الدين : — فإن دعوى أنه عموم مراد : باطل  
قطعا ، فانا نعلم أن كثيرا من أفراد البيع حرام .  
فاعترض ابن المرحّل : بأن تلك الأفراد حرّمت بعد ما أحلت .  
فيكون نسخاً

قال الشيخ تقي الدين : — فيلزم من هذا أن لا تحرم شيئاً  
من البيوع بخبر واحد . ولا بقياس . فإن نسخ القرآن لا يجوز بذلك .  
وإنما يجوز تخصيصه به . وقد اتفق الفقهاء على التحريم بهذه الطريقة  
قال ابن المرحّل : — رجعت عن هذا السؤال ، لكن أقول هو عموم  
مراد في كل ما يُسمّى بيعاً في الشرع . فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل  
بيع صحيح شرعي .

قال الشيخ تقي الدين : — البيع ليس من الأسماء المنقولة : فان  
مُسَمَّاه في الشرع والعُرْف هو المسمى اللغوي ، لكن الشارع اشترط  
حلّه وصحته شروطاً . كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضاً  
بحسب اصطلاحهم . وهكذا سائر أسماء العقود ، مثل الاجارة والرهن ،  
والهبة . والقرض ، والتكاح . إذا أريد به العقد وغير ذلك — : هي  
قبة على مسمياتها . والنقل إنما يُحتاج إليه إذا أحدث الشارع معاني  
تكن اعرب تعرفها . مثل الصلاة والزكاة ، والتميم . فينبذ يحتاج  
ل النقل . ومعاني هذه العقود ما زالت معروفة .

قال ابن المرحل : — أصحابي قد قالوا : إنها منقولة .

والشيخ تقي الدين : — لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع  
صحیح الشرعي لكان التقدير : أحلّ الله البيع الصحيح الشرعي .  
أحلّ الله البيع الذي هو عنده حلال . وهذا — مع أنه مكرر — فانه  
من الاستدلال بالآية . فأننا لانعلم دخول بيع من البيوع في الآية حتى  
نم أنه بيع صحيح شرعي . ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال  
بآية .

قال ابن المرحل : — متى ثبت أن هذا الفرد يُسمّى بيعاً في اللغة  
ثبت : هو بيع في الشرع . لأن الأصل عدم النقل . وإذا كان بيعاً في  
شرع دخل في الآية .

قال الشيخ تقي الدين : — هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول  
أما إذا ثبت أنه منقول . لم يصح إدخال فردٍ فيه . حتى يثبت أن الاسم  
المنقول واقع عليه . وإلا فيلزم من هذا أن كل ما سُمِّي في اللغة صلاة ،  
وزكاة ، وتيمما ، وصوما ، وبيعا ، وإجارة ، ورَهْنًا . أنه يجوز إدخاله  
في المسمى الشرعي ، بهذا الاعتبار . وعلى هذا التقدير : فلا يبقى فرق  
بين الأسماء المنقولة وغيرها . وإنما يقال : الأصل عدم النقل ، إذا لم  
يثبت . بل متى ثبت النقل فالأصل عدم دخول هذا الفرد في الاسم  
المنقول ، حتى يثبت أنه داخل فيه بعد النقل .

فلنتأمل هذه الأبحاث الثلاثة وكل ما فيها

قلت : فانه من كلام الشيخ تقي الدين قرره بعد المناظرة .

\*\*\*

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي ، في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ

رحمه الله : —

وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين . وقل أن يتكلم

في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة . وقد خالف الأربعة في

مسائل معروفة . وصنف فيها . واحتج لها بالكتاب والسنة

ولما كان مُعْتَقَلاً بالاسكندرية التمس منه صاحب سبته أن يحيز له مرويَّاته ، وَيَنْصَّ على أسماء جملة منها . فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدھا من حفظه ، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر مُجَدِّث .

وله الآن عدة سنين لا يفتى بمذهب مُعَيَّن ، بل بما قام عليه الدليل عنده .

واقعد نصر السنة المحضة . والطريقة السلفية . واحتجَّ لها يبراهين ، ومقدمات ، وأمور لم يُسَبِّق إليها .

وأطلق عبارات أحجَم عنها الأولون والآخرون . وهابوا ، وجسر هو عليها . حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشَّام ، قياما لا مزيد عليه ، يمدَّ عوه . وناظروه ، وكابروه ، وهو ثابت لا يُداهن ولا يُخافي ، بل يقول الحقَّ المرَّ الذي أدَّاه إليه اجتهاده ، وَحِدَّةُ ذِهْنِهِ ، وَسَعَةُ دَائِرَتِهِ فِي السَّنَنِ وَالْأَقْوَالِ

مع ما اشتهر عنه من الورع ، وكمال الفكرة ، وسُرْعَةِ الْإِدْرَاكِ ، والخوف من الله ، والتعظيم لحرَمَاتِ اللَّهِ

فجرى بينه وبينهم حِمَلَاتُ حَرْبِيَّةٍ ، ووقائع شامية ومِصْرِيَّة .  
وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فيُنَجِّيهِ اللَّهُ

فانه دائم الابتهاال ، كثير الاستغاثة : قوى التوكل ، ثابت الجأش .  
له أوراد وأذكار يُدْمِنُهَا بِكَيْفِيَّةٍ وَجَعِيَّةٍ  
وله من الطرف الآخر محبوبون من العلماء والصلحاء . ومن الجند  
والأمراء ، ومن التجار والكبراء . وسائر العامة تحبه ، لأنه منتصب  
لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه .  
وأما شجاعته فهي تُضْرِبُ الأمثال . وبعضها يتشبهه أكبر  
الأبطال .

فلقد أقامه الله في نوبة غازان . والتقى أعباء الأمر بنفسه . وقدم  
وقعد وطلع وخرج . واجتمع بالملك مرتين ، وبقطلو شاه ، وبيولاي .  
وكان قَبِيحَ ينعجب من إقدامه وجراته على المغول .  
وله حدة قوية تعزّيه في البحث ، حتى كأنه ليث حرب .  
وهو أكبر من أن يَنْبَهَ مثلى على نعوته . فلو حلفت بين الزكركن  
والمقام لحلفت أنّي ما رأيت بعيني مثله ، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه  
في العلم .

قلت : ما فعله الشيخ رحمه الله في نوبة غازان من جميع أنواع  
الجهاد ، وسائر أنواع الخير : من إنفاق الأموال . وإطعام الطعام ، ودهن  
الموتى ، وغير ذلك : معروف مشهور .



✓ . -

ثم بعد ذلك بعام ، سنة سبعمائة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد ،  
وبقى الخلق في شدة عظيمة ، وغلب على ظهم أن عسكر مصر قد  
تخلوا عن الشام ، ركب الشيخ ، وسار على البريد إلى الجيش المصرى  
في سبعة أيام . ودخل القاهرة في اليوم الثامن : يوم الاثنين حادى  
عشر جمادى الأولى ، وأطلاب<sup>(١)</sup> المصريين داخله . وقد دخل السلطان  
الملك الناصر . فاجتمع بأركان الدولة ، واستنصرهم وحضهم على  
الجهاد . وتلا عليهم الآيات والأحاديث . وأخبرهم بما أعد الله  
للمجاهدين من الثواب . فاستفاقوا ، وقويت همهم . وأبدؤا له العذر  
في رجوعهم ، مما قاسوا من المطر والبرد منذ عشرين . ونودى بالغزاة .  
وقوى العزم . وعظموه . وأكرموه . وتردد الأعيان إلى زيارته .

واجتمع به في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد . وسمع  
كلامه . وذكر أنهم سألوه بعد انقضاء المجلس فقال : هو رجل حفظة .  
قيل له : فهلا تكلمت معه ؟ فقال : هذا رجل يحب الكلام .  
وأنا أحب السكوت .

ولقد أخبرني الذهبي عن الشيخ رحمه الله أنه أخبره أن ابن دقيق  
العيد قال له بعد سماع كلامه : ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك .

---

(١) كذا بأصله

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور وصل الشيخ  
إلى دمشق على البريد .  
وكتب في هذه الحادثة كتاباً . وصورته هذا :

### صورة كتاب

كتبه شيخ الاسلام ، علامة الزمان ، تقي الدين ، أبو العباس :  
أحمد بن تيمية ، رحمه الله ورضي عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين .  
سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، فانا نحمد إلهكم الله الذي  
لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، ونسأله أن  
يصلى على صفوته من خليقته ، وخيرته من بريته ، محمد عبده ورسوله ،  
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم  
الأحزاب وحده ، ( ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى  
الله المؤمنين القتال . وكان الله قوياً عزيزاً<sup>(١)</sup> ) والله تعالى يحقق لنا تمام

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٢٥)

الكلام بقوله : ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهـل الكتاب من  
صياصـيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسـرون فريقاً ،  
وأورثكم أرضهم وديارهم ، وأموالهم ، وأرضاً لم تطأوها وكان الله على  
كل شـئ قديراً )<sup>(١)</sup>.

فان هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد ،  
الخارج عن شريعة الاسلام . قد جرى فيها شبيهه ماجرى المسلمين مع  
عدوهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعزى التي أنزل الله  
فيها كتابه ، وابتلي بها نبيّه والمؤمنين : ما هو أسوة لمن كان يرجو الله  
واليوم الآخر وذكر الله كثيراً إلى يوم القيامة ، فان نصوص الكتاب  
والسنة ، اللذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، يتناولان عموم الخلق  
بالعموم اللفظي والمعنوي ، أو بالعموم المعنوي . وعهود الله في كتابه وسنة  
رسوله تنال آخر هذه الامة ، كما نالت أولها . وإنما قصّ الله علينا قصص  
من قبلنا من الأمم ، لتكون عبرة لنا . فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس  
أواخر الأمم بأوائلها . فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان المؤمن  
من المتقدمين . ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان

للكافر والمنافق من المتقدمين . كما قال تعالى لما قصَّ قصة يوسف مُفَصَّلَةً ، وأَجْمَلَ ذكر قصص الأنبياء . ثم قال : ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثاً يُفْتَرَى <sup>(١)</sup> ) أى هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة ، كنحو ما يذكر في الحروب ، وفي السير المكذوبة .

وقال تعالى ، لما ذكر قصة فرعون : ( فأخذه الله نكال الآخرة والأولى . إن في ذلك لعبرة لمن يخشى <sup>(٢)</sup> )

وقال في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه ببدر وغيرها ( قد كان لكم آية في فئتين التقتا : فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يروؤنهم مثلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار <sup>(٣)</sup> )

وقال تعالى في محاصرته لبنى النضير ( هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم

(٢) سورة يوسف آية : (١١١)

(٢) سورة النازعات آية ( ٢٦ ، ٢٥ )

(٣) سورة آل عمران آية ( ١٣ )

يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى  
الْمُؤْمِنِينَ . فَاغْتَبَرُوا يَأُولَى الْأَبْصَارِ <sup>(١)</sup>

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين علينا من هذه الأمة ، ومن قبلها  
من الأمم

وذكر في غير موضع : أن سنته في ذلك سنة مطردة . وعادته  
مسنودة

فَقَالَ تَعَالَى : ( اِنَّ لَ يَنْتَهِي الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ  
وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا .  
لَا يُؤْمِنُونَ اِنَّهُمْ اِذَا قُتِلُوا فَكُفُّوا اُخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ  
قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا <sup>(٢)</sup> )

وقال تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا أو لؤوا الأذبار ثم لا يجدون  
وَيْبًا وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ  
تَبْدِيلًا <sup>(٣)</sup> )

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين كدأب

(١) سورة الحشر آية (٢)

(٢) سورة الاحزاب الآيات (٦٠، ٦١، ٦٢)

(٣) سورة الفتح آية (٢٢، ٢٣)

### السكاقرن من المستقدمين (١)

فإنبغى للعقلاء أن يعترفوا بسنة الله وأيامه فى عباده . ودأب الأمم وعاداتهم ، لاسمى فى مثل هذه الحادثة العظيمة التى طبق الخافقين خبرها ، واستطار فى جميع ديار الاسلام شررها . وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه ، وكشرف فيها الكفر عن أنياه وأضراسه ، وكاد فيه عمود الكتاب أن يجتث ويخترم . وحبل الايمان أن ينقطع ويضطلم . وعقر دار المؤمنين أن يحل بها البوار . وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار . وظن المنافقون والذين فى قلوبهم مرض أن ما وعدهم الله ورسوله إلا غرورا . وأن أن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهلهم أبدا وزين ذلك فى قلوبهم وظنوا ظن السوء . وكانو قوما بورا . ونزات فتنة تركت الحليم فيها حيران . وأنزات الرجل الصاحى منزلة السكران . وتركت الرجل اللبيب اكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان . ونزات فى فيها قلوب المعارف والاخوان ، حتى بقى للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان . وميز الله فيها أهل البصائر والايقان . من الذين فى قلوبهم مرض أو نفاق وضعف إيمان . ورفع بها أقواما إلى الدرجات

---

(١) فقال فى سورة آل عمران آية (١١) والانفال آية (٥٤) ( كذب

آل فرعون والذين من قبلهم )



العامة . كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية . وكفر بها عن آخرين  
أهلهم الحاطئة . وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من  
الخدمة الكبرى .

فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد . كما يتفرقون  
أذلك في اليوم الموعود . وفرّ الرجل فيها من أخيه وأمه وأبيه .  
وكان كل امرئ منهم شأن يغنيه . وكان من الناس من أقصى  
عنه النجاة بنفسه ، لا يلوى على ماله ولا ولده ولا عرسه .  
كما أن منهم من فيه قوة على تخليص أهل والمال . وآخر  
فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال . وآخر منزلته منزلة الشفيع  
نطاق . وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع . ولم تنفع المنفعة  
الخاصة من الشكوى إلا الإيثار والعمل الصالح . والبر والتقوى .  
وسميت فيها السرائر . وظهرت الخبايا التي كانت تكتمها الضمائر .  
يتبين أن المهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان  
إليه في المسأل . وذمّ سادته وكبراه من أطاعهم فأضلّوه السبيل .  
كما حمد ربه من صدق في إيمانه فاتخذ مع الرسول سبيلاً . وبأن صدق  
مجات به الآثار النبوية ، من الأخبار بما يكون . وواطأها قلوب  
مدين هم في هذه الأمة مُحَدَّثُونَ . كما تواطأت عليه المبشرات التي

أُرِيَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ . وَتَبَيَّنَ فِيهَا الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الظَّاهِرَةُ عَلَى الدِّينِ .

الَّذِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ①

حَيْثُ مَحْزَبُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ أَحْزَابٌ : حِزْبٌ مُجْتَهِدٌ فِي نَصْرِ الدِّينِ .

وَأَخَرُ خَاذِلٌ لَهُ . وَأَخَرُ خَارِجٌ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ .

وَانْقَسَمَ النَّاسُ مَا بَيْنَ مَا جُورَ وَمَعْذُورَ . وَأَخَرُ قَدْ غَرَّهَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ

وَكَانَ هَذَا الْامْتِحَانُ تَمْيِيزًا مِنَ اللَّهِ وَتَقْسِيمًا . لِيَجْزِيَ الصَّادِقِينَ بِصَدَقِهِمْ

وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا .

وَوُجَّهَ الْاِعْتِبَارُ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الْعَظِيمَةِ : أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . وَشَرَعَ لَهُ الْجِهَادَ

إِبَاحَةً لَهُ أَوَّلًا ، ثُمَّ إِجَابَةً لَهُ ثَانِيًا . لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَصَارَ لَهُ فِيهَا

أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَغَزَا بِنَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَدَّةَ مَقَامِهِ

بِدَارِ الْهَجْرَةِ ، وَهُوَ نَحْوُ عَشْرِ سِنِينَ : بَعْضُهَا وَعَشْرِينَ غَزْوَةً . أَوَّلُهَا بَدْرُ

وَأَخْرَاهَا تَبُوكَ . أُنْزِلَ اللَّهُ فِي أَوَّلِ مَغَازِيهِ سُورَةُ الْأَنْفَالِ ؛ وَفِي آخِرِهَا

سُورَةُ بَرَاءةَ . وَجُمِعَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَصْحُفِ ، لِتَشَابُهِ أَوَّلِ الْأَمْرِ وَآخِرِهِ . كَمَا

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ — لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْقِرَانِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ مِنْ

غَيْرِ فَصَّلٍ بِالْبِسْمَلَةِ .

وكان القتال منها في تسع غزوات .

فأول غزوات القتال : بدر ، وآخرها حنين : والطائف . وأنزل الله فيها ملائيكته كما أخبر به القرآن <sup>(١)</sup> . ولهذا صار الناس يجمعون بينهما في القول ، وإن تباعد ما بين الغزوتين مكاناً وزماناً .

فإن بدرًا كانت في رمضان ، في السنة الثانية من الهجرة ، ما بين المدينة ، ومكة ، شامئ مكة . وغزوة حنين في آخر شوال من السنة الثامنة . وحنين وادٍ قريب من الطائف ، شرقي مكة .

ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائمها بالجعرة . واعتمر عمره جعرانة .

ثم حاصر الطائف فلم يقاتله أهل الطائف زحفًا وصفوفًا وإنما شقوا من وراء جدار

فآخر غزوة كان فيها القتال زحفًا واصطفافًا : هي غزوة حنين

(١) قال تعالى في سورة التوبة ( ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله كيافته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا ذلك جزاء الكافرين ) آيتي (٢٥، ٢٦)

وكانت غزوة بدر أول غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار . وقتل الله وأسر رؤوسهم ، مع قلة المسلمين وضعفهم . فانهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر ، ليس معهم إلا فرسان . وكان يعتقب الاثنان والثلاثة على البعير الواحد <sup>(١)</sup> . وكان عدوهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات . في قوة وعدة وهيئة وخيلاء .

فلما كان من العام المقبل غزا الكفار المدينة <sup>(٢)</sup> . وفيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نحو من ربيع الكفار . وتركوا عيالهم بالمدينة ، لم ينقلوهم إلى موضع آخر . وكانت أولاً الكثرة للمسلمين عليهم ، ثم صارت للكفار . فانهزم عدة عسكر المسلمين إلا نفرًا قليلاً حول النبي صلى الله عليه وسلم . منهم من قُتل ، ومنهم من جرح . وحرصوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى كسروا رباعيته . وشجوا جبينه . وهشموا البيضة على رأسه . وأنزل الله فيها نحواً من شطر سورة آل عمران ، من قوله ( وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِ نَا

---

(١) اعتقبوا البعير : أى ركب كل واحد منهم طائفة من الطريق وإذا

أخذ حظه من الراحة نزل عنه . وركبه الآخر وهكذا

(٢) وهى غزوة أحد

تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ) قَالَ فِيهَا ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ  
يَوْمَ التَّقْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ) وَقَدْ  
عَمَّا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ) ( وَقَالَ فِيهَا ) ( وَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ  
وَعَدَهُ إِذْ تَحْسُبُونَهُمْ يَأْذِنُهُ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَلَازَمْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ  
مَنْ عِنْدَكُمْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْبُثُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ  
يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ) ( وَقَدْ عَمَّا غَنَكُمُ ) ( وَاللَّهُ  
فَصَّلِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) ( وَقَالَ فِيهَا ) ( أَوَلَمْ أَصَابَكُمْ مَصِيبَةٌ قَدْ  
سَدَّتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَيْ هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى  
شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .

وكان الشيطان قد نفق في الدس (١) أن محمداً قد قتل . فمنهم  
من رآه ذلك ، وهرب . ومنهم من نبت ، فقاتل . فقتل الله تعالى  
رسوله محمداً إلا رسولاً قد خات من قبله الرسل أفين مات و  
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فممن يضر الله  
وسيجزي الله الشاكرين )

(١) « نفق في الناس » أى أشاع وروج

وكان هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا في العام الماضي .  
وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي <sup>(١)</sup> بذنوب ظاهرة ، وخطايا واضحة :  
من فساد النيات ، والفخر والخيلاء ، والظلم ، والفواحش والإعراض  
عن حكم الكتاب والسنة ، وعن المحافظة على فرائض الله ، والبغى  
على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة والرؤوم

وكان عدوهم في أول الأمر راضيا منهم بالموادعة والمسالمة ، شارعا  
في الدخول في الاسلام . وكان مبتدئا في الايمان والأمان ، وكانوا هم قد  
أعرضوا عن كثير من أحكام الايمان

فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به  
لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيُنَبِّئُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، وليظهر من عدوهم ما ظهر  
منه من البغى والمكر ، والنكث ، والخروج عن شرائع الاسلام ،  
فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر ، وبعدهم ما يستوجب به الانتقام  
فقد كان في نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر

---

(١) أي وكانت هزيمة المسلمين يوم أحد ، إذ خالفوا أمر رسول الله  
صلى الله عليهم وسلم للرماة أن يلزموا مكانهم مهما كانت الحال مثل هزيمة  
المسلمين أمام التتار في عهد شيخ الاسلام ابن تيمية من العام الماضي قبل  
كتابة هذه الرسالة



الكبير ماله يقترب به ظفره بعدوهم — الذى هو على الحال المذكورة —  
لاوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنيا مالا يوصف .

كما أن نصر الله المسلمين يوم بدر كان رحمة ونعمة ، وهزيمتهم  
مأخذ كان نعمة ورحمة على المؤمنين

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا  
بين خيرآ له . وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرأء فشكر  
له كان خيرآ له . وإن أصابته ضرأء فصبر كان خيرآ له <sup>(١)</sup> »

فلما كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهة بأحد . وكان بعد أحد  
كثير من سنة — وقيل بسنتين — قد ابتلي المسلمون بغزوة الخندق .  
تلك في هذا العام ابتلي المؤمنون بعدوهم ، كنعحو ما ابتلي المسلمون  
بـ النبي صلى الله عليه وسلم عام الخندق ، وهى غزوة الأحزاب التى  
أمر الله فيها سورة الأحزاب . وهى سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة ،  
ففى نصر الله فيها عبده صلى الله عليه وسلم ، وأعز فيها جنده المؤمنين ، وهزم  
لأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده ، بغير قتال ، بل بثبات المؤمنين بأزاء

(١) رواه مسلم فى الزهد عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم « عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ،  
إن أصابته سرأء شكر فكان خيرآ له . وإن أصابته ضرأء صبر فكان خيرآ  
له » ورواه أيضا الامام أحمد

عدوهم .

ذكر فيها خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقوقه ،  
وحرمة أمته ، وحرمة أهل بيته ، لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها  
بغير قتال . كما كان ذلك في غزوتنا هذه ، سواء . وظهر فيها سرُّ تأييد  
الدين ، كما ظهر في غزوة الخندق . وانقسم الناس فيها كانقسامهم

عام الخندق

وذلك أن الله تعالى منذ بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وأعزه بالهجرة  
والنصرة صار الناس ثلاثة أقسام :

(١) قسماً مؤمنين ، وهم الذين آمنوا به ظاهراً وباطناً

(٢) وقسماً كفاراً ، وهم الذين أظهرُوا الكفر به .

(٣) وقسماً منافقين ، وهم الذين آمنوا ظاهراً ، لا باطناً

ولهذا افتتح سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين ، وآيتين في

صفة الكافرين . وثلاث عشر آية في صفة المنافقين .

وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب . كما

دلَّت عليه دلائل الكتاب والسنة . وكما فسره أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه وشعبه .

فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من

النار ، كمنفاق عبد الله بن أبي وغيره بأن يظهر تكذيب الرسول ، أو

حُجُودَ بَعْضٍ مَا جَاءَ بِهِ ، أَوْ بَغْضَهُ ، أَوْ عَدَمَ اعْتِقَادِ وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ ،  
أَوْ الْمَسْرُوعَةَ بِانْخِفَاضِ دِينِهِ ، أَوْ الْمَسَاءَةَ بِظُهُورِ دِينِهِ . وَنَحْوُ ذَلِكَ : مِمَّا  
لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ إِلَّا عَدُوًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَهَذَا الْقَدْرُ كَانَ مَوْجُودًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
بِإِسْرَافِ بَعْدِهِ بَلْ هُوَ بَعْدُهُ أَكْثَرُ مِنْهُ عَلَى عَهْدِهِ ، لَكُنْ مَوْجِبَاتُ  
الْإِيمَانِ عَلَى عَهْدِهِ أَقْوَى . فَإِذَا كَانَتْ مَعَ قُوَّتِهَا كَانَ النِّفَاقُ مَوْجُودًا  
مِنْ جُودِهِ فِيمَا دُونَ ذَلِكَ أَوَّلَى .

وَكَمَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْلَمُ بَعْضَ الْمُنَافِقِينَ ، وَلَا يَعْلَمُ  
بَعْضَهُمْ . كَمَا بَيَّنَّهُ قَوْلُهُ ( وَمِنْ حَوْأَلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ  
يُنَازِلُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِرَدُّوهُ عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ) (١)  
لَكَ خَلَفَاؤُهُ بَعْدَهُ . وَوَرِثَتُهُ قَدْ يَعْلَمُونَ بَعْضَ الْمُنَافِقِينَ وَلَا يَعْلَمُونَ

وَفِي الْمُنْتَزِعِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ عَامَّةِ الطَّوَائِفِ مُنَافِقُونَ كَثِيرُونَ ،  
فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ . وَيُسَمَّوْنَ الزَّانِقَةَ .

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ فِي الظَّاهِرِ ، لَكُنْ ذَلِكَ  
لَا يَمُكِّنُهُمْ ، إِذْ هُمْ دَائِمًا يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ آيَةُ (١٠١)

وهؤلاء يكثرون في المتفلسفة ، من المنجمين ، ونحوهم ، ثم في الأطباء . ثم في الكتاب أقل من ذلك ويوجدون في المتصوفة والمتفقهة ، وفي المقاتلة والأمراء ، وفي العامة أيضاً .

ولكن يوجدون كثيراً في نحل أهل البدع ، لاسيما الرافضة . ففيهم من الزنادقة والمناقين مالميس في أحد من أهل الدحل . ولهذا كانت الحرمية<sup>(١)</sup> ، والباطنية ، والقرامطة ، والاسماعيلية ، والنصيرية ، ونحوهم من المناقين الزنادقة منتسبة إلى الرافضة .

وهؤلاء المناقون في هذه الأوقات لكثير منهم ميل إلى دولة هؤلاء التتار ، لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام . بل يتركونهم وما هم عليه وبعضهم إنما ينفرون عن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا ، واستيلائهم على الأموال ، واجترائهم على الدماء ، والسبي ، لا لأجل الدين . فهذا ضرب النفاق الأكبر .

وأما النفاق الأصغر : فهو النفاق في الأعمال ونحوها . مثل أن يكذب إذا حدث ، ويخلف إذا وعد ، ويخون إذا ائتمن ، أو يفجر إذا خاصم . ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « آية المنافق

(١) منسوبون إلى بابك الخرمي ، نسبة إلى خرمه ، بوزن سكرة . قرية بفارس

ثلاث : إذا حَدَّثَ كَذِبَ . وإذا وعد أَخْلَفَ وإذا ائْتَمَنَ خان «  
وفي رواية صحيحة « وإن صلى ، وصام . وزعم أنه مسلم »

وفي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال « أربيع من كن فيه كان منافقاً خالصاً . ومن كانت فيه خصلة  
منهن كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : إذا حَدَّثَ كَذِبَ ،  
وإذا وعد أَخْلَفَ . وإذا عاهد غدر . وإذا خاصم فجر »

ومن هذا الباب : الإعراضُ عن الجهاد . فانه من خصال المنافقين  
قال النبي صلى الله عليه وسلم « من مات ولم يغزو ولم يُحَدِّثْ نفسه بالغزو  
ست على شعبة من تقا » رواه مسلم .

وقد أنزل الله سورة براءة ، التي تسمى الفاضحة . لأنها فضحت  
المنافقين . أخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس ، قال : « هي الفاضحة .  
نزلت تنزل (ومنها ، ومنها) حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها »  
وعن المقداد بن الأسود قال « هي سورة البحوث . لأنها بحثت  
عن سرائر المنافقين »

وعن قتادة قال « هي المثيرة . لأنها أثارت مخازي المنافقين »  
وعن ابن عباس قال « هي المبعثرة » والبُعْثَرَةُ والإثارة متقاربان  
وعن ابن عمر « أنها المَقْشَقَةُ » لأنها تبرىء من مرض النفاق  
يقال : تَقَشَّقَشَ المريض إذا برأ .

وقال الأصمعي : وكان يقال لسورتي الأَخْلَاصُ <sup>(١)</sup> : المَقْشِقَشَتَانِ  
لأنهما يبرئان من النفاق .

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي النبي صلى الله عليه وسلم : غزوة  
تَبُوكَ ، عام تسع من الهجرة . وقد عزَّ الاسلام ، وظهر . فكشف الله  
فيها أحوال المنافقين ، ووصفهم فيها بِالْجُنِّ ، وترك الجهاد . ووصفهم  
بِالْبُخْلِ عن النَّفَقَةِ في سبيل الله ، والشُّحِّ على المال . وهذان داءان  
عظيمان : الْجُنُّ وَالْبُخْلُ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم « شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ شُحُّ هَالِعٌ ، وَجُبْنٌ  
خَالِعٌ » حديث صحيح <sup>(٢)</sup> ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار .  
كما دلَّ عليه قوله ( وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ  
فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ <sup>(٣)</sup> ) وقال تعالى ( وَمَنْ يُؤْلَهمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا

(١) هما : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . لأن الأولى  
أخلصت توحيد الالهية . والثانية أخلصت توحيد الأسماء والصفات .  
(٢) رواه الامام أحمد عن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه :  
ذكره ابن كثير في قوله تعالى ( إن الانسان خلق هلوعا - الآية ) من  
سورة المعارج .

(٣) سورة آل عمران آية (١٨٠)



مَلِكٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ  
وَبَشِّرِ الْمَصِيرَ <sup>(١)</sup>

وأما وصفهم بالجبين والفرع . فقال تعالى (وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ  
أَنزَلَهُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ . لَوْ يَحْدُونِ مَلَجًا أَوْ  
مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَحْجُمُونَ <sup>(٢)</sup> )

فأخبر سبحانه أنهم ، وإن حلفوا أنهم من المؤمنين ، فاهم منهم .  
كان يفرعون من العدو . فلو يحدون مَلَجًا يلجأون إليه من المعقل  
مغارات التي يفر إليها من يترك الجهاد ، أو مغارات — وهي تجمع  
مغارة . ومغارات . سميت بذلك لأن الداخل يغور فيها ، أي يستتر .  
يغور الماء —

أو مدخلا . وهو الذي يتكلف الدخول إليه ، إما اضيق بابه ،  
غير ذلك . أي مكانا يدخلون إليه . ولو كان الدخول بكلفة  
مستترة . أو آوا عن الجهاد إليه . وهم يجمعون . أي يسرعون إسراعاً  
لا ردهم شيء ، كالفرس الجموح الذي إذا حمل لا يرده اللجام .

(١) سورة الأنفال آية (١٦)

(٢) سورة براءة آتي . (٥٦ ، ٥٧)

وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين في حادثننا . وفيما قبلها  
من الحوادث . وبعدها .

وكذلك قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم ( فاذا أنزلت  
سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض  
ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم ) أى  
قبعداً لهم ( طاعة وقول معروف . فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله  
لكان خيراً لهم <sup>(١)</sup> ) وقال تعالى ( إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله  
ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم  
الصادقون <sup>(٢)</sup> ) فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد .

وقال تعالى ( لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر  
أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستأذنك  
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم  
يترددون <sup>(٣)</sup> )

فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد ،

(١) آيتى ( ٢٠ و ٢١ )

(٢) سورة الحجرات آية ( ١٥ )

(٣) سورة براءة آيتى ( ٤٤ و ٤٥ )

وإنا يستأذنه الذي لا يؤمن ، فكيف بالتارك من غير استئذان ؟ !

ومن تدبر القرآن وجد نظائر هذا متضافرة على هذا المعنى .

وقال في وصفهم بالشح ( وما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ <sup>(١)</sup> )

فهذه حال من أنفق كارها ، فكيف بمن ترك النفقة رأساً ؟ !

وقال ( ومنهم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ <sup>(٢)</sup> )

وقال ( وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ <sup>(٣)</sup> ) .

وقال في السورة ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ الْرُّهْبَانِ لَيَا كُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ

(١) سورة براءة آية (٥٤)

(٢) سورة براءة آية (٥٨)

(٣) سورة براءة آيتي (٧٥ ، ٧٦)

اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا  
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزُكُمْ لَا تَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ  
تَكْنِزُونَ (١).

فانتظمت هذه الآية حال من أخذ المال بغير حقه ، أو منعه عن  
مستحقه من جميع الناس . فان الأحرار هم العلماء ، والرهبان هم العباد .  
وقد أخبر أن كثيرا منهم يأكلون أموال الناس بالباطل ،  
وَيَصُدُّونَ — أى يعرضون ويمنعون .

يُقال : صدَّ عن الحق ، صدوداً . وصدَّ غيره .  
وهذا يندرج فيه ما يؤكل بالباطل : من وقف ، أو عطية على  
الدِّين . كاصلاة ، والنذور التي تُنذر لأهل الدِّين ، ومن الأموال  
المشتركة . كأموال بيت المال ، ونحو ذلك .

فهذا فيمن يأكل المال بالباطل بشبهة دين .  
ثم قال : ( وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ ) فهذا يندرج فيه مَنْ كَنَزَ الْمَالَ عَنِ النَّفَقَةِ الْوَاجِبَةِ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ . والجهاد أحقُّ الأعمال باسم سبيل الله ، سواء كان ملكاً  
أو مُقَدَّمًا ، أو غنيًّا ، أو غير ذلك .

(١) آيتى ( ٣٥ ، ٣٦ ) من التوبة

وإذا دخل في هذا ما كنز من المال الموروث والمكسوب . فما كنز  
من الأموال المشتركة التي يستحقها عموم الأمة — ومستحقها :  
مصلحهم — أولى وأحرى .

## فصل

فاذا تبين بعض معنى المؤمن والمنافق . فاذا قرأ الانسان سورة  
الأحزاب . وعرف من المنقولات في الحديث ، والتفسير ، والفقه ،  
والغازي كيف كانت صفة الواقعة التي نزل بها القرآن . ثم اعتبر هذه  
الحادثة بتلك : وجد مصداق ما ذكرنا . وأن الناس انقسموا في هذه  
الحادثة إلى الأقسام الثلاثة . كما انقسموا في تلك . وتبين له كثير من  
المتشابهات .

افتتح الله السورة<sup>(١)</sup> بقوله ( يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ  
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ) وذكر في أثنائها قوله ( وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ  
لَهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ) . وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ) ثم  
قال : ( وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
خَبِيرًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ) .

فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة — التي هي  
سنته — وبأن يتوكل على الله .

---

(١) أي سورة الأحزاب

فبالأولى تحقق قوله : ( إِيَّاكَ نَعْبُدُ )

وبالثانية تحقق قوله : ( وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ) .

ومثل ذلك قوله : ( فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> ) وقوله : ( عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ) <sup>(٢)</sup> .

وهذا وإن كان مأمورا به في جميع الدين . فإن ذلك في الجهاد

أوكد . لأنه يحتاج إلى أن يُجاهد الكفار والمنافقين . وذلك لا يتم

إلا بتأييد قوى من الله . ولهذا كان الجهاد سنام العمل <sup>(٣)</sup> وانتظم

سنام جميع الأحوال الشريفة .

(١) سورة هود آية (١٢٣)

(٢) سورة هود آية (٨٨)

(٣) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « كنت مع النبي صلى الله

عليه وسلم في سفر . فاصبحت يوما قريبا منه . ونحن نسير . فقلت :

يا رسول الله . أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار . قال : لقد

سألت عن عظيم ، وأنه ليسير على من يسر الله عليه : تعبد الله لا تشرك

به شيئا . وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم

قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم جنة

والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وصلاة الرجل من جوف الليل

ثم تلا ( تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا

وما رزقاهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قره أعين جزاء بما كانوا



ففيه سنام المحبة . كما في قوله : ( فَسَوْفَ يَأْتِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ) <sup>(١)</sup> .

وفيه سنام التوكل وسنام الصبر . فان المجاهد أخرج الناس إلى الصبر والتوكل . ولهذا قال تعالى ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ مَدِينٍ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ كَانُوا يَعْلَمُونَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ) <sup>(٢)</sup> ( وقال من سئ لقومه اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) <sup>(٣)</sup> .

يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى . رسول الله . قال : رأس الأمر الاسلام . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : أحب إليك هذا — وأشار إلى لسانه . قلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : تكلتك أمك . وهل يكب الناس في النار على وجوههم ، قال على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم ؟ »

رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقد تكلم الحافظ المنذرى على سند الحديث في باب الصمت من الغيب والترهيب (١) سورة المائدة آية (٥٤)

(٢) سورة النحل آيتي (٤١، ٤٢) (٣) سورة الأعراف آية (١٢٨)

ولهذا كان الصبرُ واليقينُ — اللذين هما أصلُ التوكل — يُوجبان الإمامة في الدين، كما دلَّ عليه قوله تعالى : ( وجعلناهم أئمةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ )<sup>(١)</sup> .

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التي هي مُحِيطَةٌ بِأَبْوَابِ الْعِلْمِ . كما دلَّ عليه قوله تعالى ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا )<sup>(٢)</sup> وفي الجهاد أيضا : حقيقة الزهد في الحياة الدنيا ، وفي الدار الدنيا وفيه أيضا : حقيقة الاخلاص . فانَّ الكلامَ فيمن جاهد في سبيل الله ، لا في سبيل لراياسة ، ولا في سبيل المال ، ولا في سبيل الحمية ، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ، واتكون كلمةُ الله هي العليا .

وأعظم مراتب الاخلاص : تسليمُ النفسِ والمالِ للمعبود ، كما قال تعالى ( إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ )<sup>(٣)</sup>

والجنةُ اسمٌ للدار التي حَوَتْ كُلَّ نَعِيمٍ . أعلاه النظرُ إلى الله ، إلى مادون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين ، مما قد نعرفه

(١) سورة الم السجدة آية ( ٢٤ )

(٢) سورة العنكبوت آية ( ٦٨ )

(٣) سورة براءة آية ( ١١١ )

وقد لانعرفه . كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم  
 « أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر  
 على قلب بشر »

فقد تبين بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا  
 ثم إنه تعالى قال : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةً اللَّهُ عَلَيْكُمْ  
 إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا )

وكان مختصر القصة :

أن المسلمين تحزب عليهم عامة المشركين الذين حولهم ، وجاءوا  
 جموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين .

فاجتمعت قريش وحلفاؤها من بني أسد ، وأشجع ، وفزارة ،  
 وعمرهم من قبائل نجد

واجتمعت أيضا اليهود من قريظة ، والنضير . فان بني النضير  
 كالنبي صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل ذلك ، كما ذكره الله تعالى  
 في سورة الحشر <sup>(١)</sup> . فجاءوا في الأحزاب إلى قريظة . وهم معاهدون  
 للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومجاورون له ، قريبا من المدينة . فلم يزالوا

(١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم  
 لأول الحشر - الآيات )

حتى نَقَضَتْ قُرَيْظَةَ الْعَهْدَ ، ودخلوا في الأحزاب . فاجتمعت هذه  
الأحزاب العظيمة ، وهم بِقَدَرِ المسلمين مَرَّاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ . <sup>(١)</sup> فرفع النبي  
صلى الله عليه وسلم الدَّرِيَّةَ من النساء . والصبيان في آطام المدينة . وهي  
مثل الجواسيق ، ولم ينقلهم إلى مواضع أُخَرَ ، وجعل ظهرهم إلى سَلْعٍ  
— وهو الجبل القريب من المدينة ، من ناحية الغرب والشَّام —  
وجعل بينه وبين العدو خَنْدَقًا . والعدو قد أحاط بهم من العالِيَةِ  
وَالسَّافِلَةِ . وكان عدوًّا شديدَ العداوة ، لو تَمَكَّنَ من المؤمنين لكانت  
نِكَايَتُهُ فيهم أعظم النكايات

وفي هذه الحادثة تَحَزَّبَ هذا العدو من مُغْلٍ وغيرهم من أنواع  
الْتَرَكِ ، ومن فُرْسٍ وَمُسْتَعْرِبَةٍ ، ونحوهم من أجناس المَرْقَدَةِ ، ومن

(١) كانت قريظة - وهم طائفة من اليهود لهم - حصن شرقي المدينة . ولهم  
عهد من النبي صلى الله عليه وسلم وذمة . وهم قريب من ثمانمائة مقاتل .  
فذهب إليهم حي بن أخطب النضري . فلم يزل بهم حتى نقضوا العهد وما لبثوا  
الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معه من المسلمين  
نحو من ثلاثة آلاف . والأحزاب ، وعلى رأسهم أبو سفيان صخر بن  
حرب ، قريب من عشرة آلاف . وكان الذي حزب الأحزاب من قريش  
وغيرها على رسول الله : سلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن  
الربيع ، من بني النضير الذين كان أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر

نصارى ، من الأرمن وغيرهم . ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين ،  
وهو بين الإقدام والأحجام ، مع قِلَّةٍ مَنْ يَإِزَاهِمُ من المسلمين .  
وَمَقْصُودُهُمُ الاستيلاء على الدار ، وَاصْطِلَامَ أَهْلِهَا . كما نزلَ أولئك  
بِوَاحِي المدينة بازاء المسلمين

ودام الحصار على المسلمين عامَ الْخَنْدَقِ — على ما قيل — بِضْعًا  
عشرين ليلة . وقيل : عشرين ليلة .

وهذا العدو عَبَرَ الْفُرَاتِ سَابِعَ عَشَرَ ربيع الآخر . وكان أولُ  
سِرَافِهِ راجِعًا عَنْ حَلَبَ ، لما رجع مُقَدِّمُهُمُ الْكَبِيرُ قَارِزَانُ بَيْنَ مَعَهُ :  
الْأَثْنَيْنِ حَادِي ، أو ثَانِي عَشَرَ ، جُمَادَى الْأُولَى ، يوم دخل العسكرُ  
مَكْرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَصْرَ الْحُرُوسَةِ . واجتمع بِهِمُ الدَّاعِي ، رَخَاطِبُهُمْ فِي  
هَذِهِ الْقَضِيَّةِ . وكان الله سبحانه وتعالى لما أَلْقَى فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَلْقَى  
الْإِهْتِمَامَ وَالْعَزِيمَ : أَلْقَى فِي قُلُوبِ عَدُوِّهِمُ الرَّوْعَ وَالْانْصِرَافَ .  
وكان عام الْخَنْدَقِ بَرْدٌ شَدِيدٌ ، وَرِيحٌ شَدِيدَةٌ مُنْكَرَةٌ ، بِهَا  
حَرَفَ اللَّهُ الْأَحْزَابَ عَنِ الْمَدِينَةِ . كما قال تعالى : ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا  
وَسُودًا لَمْ تَرَوْهَا )

وهكذا هذا العام أَكْثَرَ اللَّهُ فِيهِ التَّنَجَّ والمطر والبرَدَ ، على خلاف



أكثر العادات . حتى كره أكثر الناس ذلك . وكُنَّا نقول لهم :  
لاتكرهوا ذلك ؛ فان الله فيه حكمة ورحمة .

وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله به العدو . فإنه  
كثر عليهم الثلج والمطر والبرد ، حتى هلك من خيلهم ماشاء الله .  
وهلك أيضا منهم من شاء الله . وظهر فيهم وفي بقية خيلهم من الضعف  
والعجز بسبب البرد والجوع مارأوا أنهم لاطاقة لهم معه بقتال . حتى  
بلغني عن بعض كبار المقدمين في أرض الشام أنه قال : لا يبيض الله  
وجوهنا . عدونا في الثلج إلى شعره ، ونحن قعود لاناخذهم ؟

وحتى علموا أنهم كانوا صيدا للمسلمين ، لو يصطادونهم . اسكن  
في تأخير الله اصطيادهم حكمة عظيمة .

وقال الله في شأن الأحزاب : ( إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ  
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ  
بِاللهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا )

وهكذا هذا العام . جاء العدو من ناحيتي علو الشام ، وهو شمال  
الفرات . وهو قبلي الفرات . فزاغت الأبصار زينا عظيما . وبلغت  
القلوب الحناجر ، اعظم البلاء ، لاسيما لما استفاض الخبر بانصراف



العسكر إلى مصر ، وتقرَّب العدو ، وتوجَّه إلى دمشق . وظن الناس بالله الظنونا .

هذا يظن أنه لا يقف قدامهم أحدهم جند الشام ، حتى يعضطوا أهل الشام .

وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرة ، وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر .

وهذا يظن أن أرض الشام مابقيت تسكن ، ولا بقيت تكون تحت مملكة الاسلام .

وهذا يظن أنهم يأخذونها ، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها ، فلا يقف قدامهم أحد ، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن . ونحوها

وهذا — إذا أحسن ظنه — قال : إنهم يملكونها العام ، كما ملكوها هو لا كو ، سنة سبع وخمسين . ثم قد يخرج العسكر من مصر ويستعقدها منهم ، كما خرج ذلك العام . وهذا ظن خيارهم .

وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية ، وأهل التحديث بالبشرات أمانى كاذبة ، وخرافات لاغية .

وهذا قد استولى عليه الرعب والفرع ، حتى يمر الظن بفؤاده مرَّ السحاب ، ليس له عقل يتفهم ، ولا لسان يتكلم .

وهذا قد تعارضت عنده الأمارات ، وتقابلت عنده الارادات ،  
لا سيما وهو لا يفرق من المبشّرات بين الصادق والكاذب . ولا يميّز  
في التحديث بين الخطيء والصائب . ولا يعرف النصوص الأثرية  
معرفة العلماء ، بل إما أن يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع العبر ، ثم قد  
لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية . ولا يهتدى لدفع ما يتخيل أنه معارض  
لها في بادىء الرؤية .

فلذلك استولت الخيرة على من كان متسما بالاهتداء ، وتراجعت  
به الآراء تراجم الصبيان بالخصباء . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا  
شديدا . ابتلاهم الله بهذا الابتلاء ، الذى يُكفّر به خطيئاتهم ، ويرفع  
به درجاتهم ، وزلزلوا بما يحصل لهم من الرّجفات ، ما استوجبوا به أعلى  
الدرجات .

قال الله تعالى : ( وإذ يقولُ المنافقونَ والذّين في قُلُوبِهِم مَّرَضٌ  
ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا )

وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية .  
والخلافة الرسالية ، وحزب الله المحدثون عنه . حتى حصل لهؤلاء الناس  
برسول الله صلى الله عليه وسلم . كما قال الله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي  
رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ )

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم .

وأما الذين في قلوبهم مرض فقد تكرر ذكرهم في هذه السورة .  
فذكروا هنا . وفي قوله : ( لَنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ وَالْمَرْجِفُونَ فِي الدِّينَةِ ) وفي قوله : ( فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ  
مَرَضٌ ) .

وذكر الله مرض القلب في مواضع . فقال تعالى : ( إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ  
وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ) .

والمرض في القلب كالمرض في الجسد : فكما أن هذا هو إخاله عن  
الصحة والاعتدال ، من غير موت ، فكذلك قد يكون في القلب مرض  
يحيله عن الصحة والاعتدال ، من غير أن يموت القلب ، سواء أفسد  
حساس القلب وإدراكه ، أو أفسد عمله وحركته .

وذلك — كما فسروه — : هو من ضعف الايمان ، إما بضعف علم  
الانبياء واعتقاده ، وإما بضعف عمله وحركته . فيدخل فيه مَنْ ضَعُفَ  
صِدْقُهُ وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْجُبْنُ وَالْفِرْع . فان أدواء القلب من الشهوة  
محرمة والحسد والجبن والبخل وغير ذلك ، كلها أمراض . وكذلك الجهل  
والاشكوك والشبهات التي فيه .

وعلى هذا قوله : ( فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ) هو إرادة الفجور ،

وشهوة الزنا ، كما فسروه به . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « وأى داء أدوى من البخل ؟ <sup>(١)</sup> »

وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ <sup>(٢)</sup> »  
وكان يقول في دعائه « اللهم إني أسئلك من منكرات الأخلاق  
والأهواء والادواء »

وان يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه .

كما ذكروا أن رجلا شكوا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة ،  
فقال : وَصَحِّحْتَ لَمْ تَخَفْ أَحَدًا . أى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك .  
وهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان ، بل لا  
يخفون غيره تعالى . فقال : ( إِنَّمَا ذَاكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا  
تَخَفُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) أى يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَإِنِّي أَنَا فَارْهَبُونَ <sup>(٣)</sup> )

(١) قال في النهاية : أى أى عيب أقبح منه ؟ والصواب « أدوأ » بالهمز  
ولكن هكذا يروى ، إلا أن يجعل من باب « دوى ، يدوى ، دوا ، فهو  
داو » إذا هلك بمرض باطن

(٢) رواه أبو داود والدارقطني عن جابر « في قصة الذي أصابته الشجة  
فاجنب فافتوه بالغسل فاغتسل فمات »

(٣) في سورة البقرة ( يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم

وقال ( فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا <sup>(١)</sup> ) وقال ( إِمْلَأْ يَكُونُ  
لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي <sup>(٢)</sup> ) وقال  
تعالى : ( الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ <sup>(٣)</sup> )  
وقال ( إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ  
وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ <sup>(٤)</sup> ) وقال ( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ  
وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ <sup>(٥)</sup> ) وقال : ( أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا  
أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوْا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ ؟  
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ <sup>(٦)</sup> ) .

فدأت هذه الآية - وهي قوله تعالى : ( إذ يقول المنافقون والذين في  
قلوبهم مرضٌ ) - على أن المرض والنفاق في القلب يوجب الرّيب في  
الأنبياء الصادقة التي توجب كفر الانسان : من الخوف ، حتى يظنوا

وأوفوا بعهدي أوف بعهدي وإياي فارهبون )

- (١) سورة المائدة آية (٤٤)
- (٢) سورة البقرة آية (١٥٠)
- (٣) سورة المائدة آية (٣)
- (٤) سورة التوبة آية (١٨)
- (٥) سورة الاحزاب آية (٣٩)
- (٦) سورة التوبة آية (١٣)

أنها كانت غُروراً<sup>(١)</sup> لهم ، كما وقع في حادثتنا هذه سواء  
ثم قال تعالى (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثربِ لا مقام لكم  
فارجعوا) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عسكرَ بالمسلمين عند سَلْعٍ ،  
وجعل الخندقَ بينه وبين العدو . فقالت طائفة منهم : لا مقام لكم هنا ،  
لكثرة العدو . فارجعوا إلى المدينة

وقيل : لا مقام لكم على دين محمد ، فارجعوا إلى دين الشرك

---

(١) لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم تحزب الأحزاب لغزو المدينة  
استشار أصحابه . فأشار عليه سلمان بحفر الخندق . فبينما هم يحفرون قامت  
عقبة أعتهم جميعاً . فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفأس من سلمان  
وضربها فبرقت بركة . فكبر وكبروا ، ثم الثانية . ثم الثالثة ، ثم سألوا النبي  
صلى الله عليه وسلم عن ذلك النور . فقال : لقد أضاء لي من الأولى  
قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرني جبريل أن  
أمي ظاهرة عليها ، فابشروا . ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء ، كأنها  
أنياب الكلاب . وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها . ومن الثالثة .  
أضاءت القصور الحرم من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرني  
جبريل أن أمي ظاهرة عليها فابشروا . فقال المسلمون : الحمد لله ، موعود  
صديق . ولما طلعت الأحزاب قال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله  
وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً . وقال المنافقون : يخبركم



وقيل : لا مقام لكم على القتال ، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم ؛  
وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال : ما بقيت  
الأولة الاسلانية تقوم ، فينبغي الدخول في دولة التتار . وقال بعض الخاصة :  
ما بقيت أرض الشام تُسكن ، بل ننقل عنها ، إما إلى الحجاز  
واليمن ، وإما إلى مصر . وقال بعضهم : بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء ،  
كما قد استسلم لهم أهل العراق ، والدخول تحت حكمهم  
فهذه المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة . كما قيلت في تلك  
وهكذا قال طائفة من المنافقين ، والذين في قلوبهم مرض ، لأهل دمشق  
خاصة والشام عامة : لا مقام لكم بهذه الأرض  
ونفى المقام بها أبلغ من نفي المقام . وإن كانت قد قرئت بالضم  
أيضا . <sup>(١)</sup> فان من لم يقدر أن يقوم بالمكان ، فكيف يُقيم به ؟ .

أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم ، وأنتم  
تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا . فأنزل الله الآية « ويري أن معتب  
ابن قشير قال : « بعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة . ونحن لا يقدر  
أحدنا أن يذهب إلى الغائط ؟ ما بعدنا إلا غرورا » وفي معتب ونظرانه  
نزلت ( وإذا قالت طائفة منهم - الآية ) . وقيل : القائل ( لا مقام لكم  
فارجعوا ) إلى دينكم : هو عبد الله بن أبي بن سلول  
(١) قال أبو حيان في البحر : قرأ السلي والأعرج واليمان وحفص  
بضم الميم . فاحتمل أن يكون مكانا ، أى لا مكان إقامة . واحتمل أن يكون

قال الله تعالى (وَيَسْتَبِذْنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ) <sup>(١)</sup> النَّبِيُّ . يَقُولُونَ إِنَّ  
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ . وما هي بِعَوْرَةٍ إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا )

كان قومٌ من هؤلاء المذمومين يقولون - والناسُ مع النبي صلى الله عليه  
وسلم عند سَلَمٍ دَاخِلِ الْخَنْدَقِ ، والنساءُ والصبيان في آطام المدينة - :  
يا رسول الله ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ . أى مكشوفة . فليس بينها وبين العدو حائل  
وأصل العورة : الخالى ، الذى يحتاج إلى حفظ وستر ، يقال : أعورَ  
مجلسك إذا ذهب ستره ، أو سقط جداره . ومنه عورة العدو ،

وقال مجاهد والحسن : أى ضائعة يخشى عليها الشَّرَاق . وقال  
قتادة : قالوا : بيوتنا مما يلي العدو ، فلا نأمن على أهلنا ، فائذننا أن  
نذهب إليها ، لحفظ النساء والصبيان

قال الله تعالى ( وما هي بعورة ) لأن الله يحفظها ( إِنْ يَرِيدُونَ إِلَّا  
فِرَارًا ) فهم يقصدون الفرار من الجهاد ، ويحتجون بحجة العائلة

وهكذا أصاب كثيرا من الناس في هذه الغزاة . ساروا يفرون من  
التفر إلى المعاقِلِ والحصون ، وإلى الأماكن البعيدة . كصر ، ويقولون :  
مصدرا ، أى لإقامة . وقرأ أبو جعفر وشيبة وأبو رجاء والحسن وقتادة  
والنخعي وعبد الله بن مسلم وطلحة وباقي السبعة بفتحها . واحتمل أيضا :  
أى لا مكان قيام ، واحتمل المصدر أى لا قيام لكم .

(١) قيل : هو أوس بن قبطى . وقيل : هم بنو حارثة . وقد كانوا  
عاهدوا الله لا يولون الأدبار .

ما مقصودنا إلا حفظ العيال ، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا . وهم يكذبون .  
فقد كان يمكنهم جعلهم في حصن دِمَشْق ، لودنا العدو . كما فعل المسلمون  
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام  
للجهاد . فكيف بمن فرَّ بعد إرسال عياله ؟

قال الله تعالى : ( وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوْهَا  
وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا ) فأخبر أنه لو دُخِلَتْ عليهم المدينة من  
جوانبها ثم طُلِبَتْ منهم الفتنة — وهي الافتنان عن الدين بالكفر ، أو  
النفاق — لأعطوا الفتنة . ولجاءوها من غير توقف

وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المنافق المجرم . ثم طُلب  
منهم موافقته على ما هو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام — وتلك  
فتنة عظيمة — لكانوا معه على ذلك . كما ساعدوا في العام الماضي  
أقوامٌ بأنواع من الفتنة في الدين والدنيا ، ما بين ترك واجبات ، وفعل  
محرمات ، إما في حق الله ، وإما في حق العباد . كترك الصلاة ،  
وشرب الخمر ، وسب السلف ، وسب جنود المسلمين ، والتجسس لهم  
على المسلمين ، ودلالتهم على أموال المسلمين . وحريمهم . وأخذ أموال  
الناس ، وتعذيبهم ، وتقوية دولتهم الملعونة ، وإرجاف قلوب المسلمين  
منهم ، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة

ثم قال تعالى ( وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ

وكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ) وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا ، قديما وحديثا ، في هذه الغزوة

فان في العام الماضي . وفي هذا العام : في أول الأمر ، كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر ، ثم فرّ منهزما ، لما اشتد الأمر ثم قال الله تعالى ( قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ . وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل . فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تاتخرجوا فرارا منه <sup>(١)</sup> » والفرار من القتل كالفرار من الجهاد

وحرف « ان » ينفي الفعل في الزمن المستقبل . والفعل نكرة . والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها .

فاقتضى ذلك : أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة <sup>(٢)</sup> أبدا . وهذا خبر الله الصادق . فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله في خبره

---

(١) رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن عوف ، بلفظ « إذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه . وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » ورواه البخاري عن أسامة بن زيد أيضا .

(٢) وفي نسخة بهامش الأصل « ينفعه »

والتجربة تدلُّ على مثل ما دلَّ عليه القرآن . فان هؤلاء الذين  
فرَّوا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم ، بل خسروا الدين والدنيا ،  
وتفاوتوا في المصائب . والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدين والدنيا  
حتى الموت الذي فرَّوا منه كثر فيهم . وقلَّ في القيمين . فمات مع  
الهرب من شاء الله . والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يمت منهم أحد .  
ولا قتل . بل الموت قلَّ في البلد من حين خرج الفارَّون . وهكذا سنة  
الله قديماً وحديثاً .

ثم قال تعالى ( وإِذَا لَا تُنْتَعَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) يقول : لو كان الفرار  
ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة ، ثم تموتون . فان الموت لا بد منه .  
وقد حكى عن بعض الحكماء أنه قال : فنحن نريد ذلك القليل .  
وهذا جهل منه بمعنى الآية . فإن الله لم يقل : إنهم يتمتعون  
الفرار قليلاً . لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبداً .

ثم ذكر جواباً ثانياً . أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل  
ثم إنه ذكر جواباً ثالثاً . وهو أن الفارَّ يأتيه ما قضى له من المصِّرة  
. يأتي الثابت ما قضى له من المصِّرة . فقال ( قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي  
يُضِيقُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً . وَلَا  
يُجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ) .



ونظيره : قوله فى سياق آيات الجهاد ( أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ  
 الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ) <sup>(١)</sup> وقوله : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
 لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ،  
 أَوْ كَانَوا غُزَاً : أَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَمَاطُوا وَمَا قُتِلُوا . لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ  
 حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) <sup>(٢)</sup>  
 فمضمون الأمر : أن المُنَافِقَ مَحْتُمَةٌ . فكم من حضر الصفوف  
 فَسَلِمَ . وَكَمْ مَنَّ فَرَّ من المُنِيَّةِ فصادفته . كما قال خالد بن الوليد -  
 لَمَّا احْتَضَرَ « لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا صَفًّا . وَإِنْ بِيَدِي بَضْعَاوُ ثَمَانِينَ ،  
 مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ وَطَعْنَةٍ بِرُمْحٍ ، وَرَمِيَّةٍ بِسَهْمٍ . وَهَآنَذَا أَمُوتُ  
 عَلَى فَرَأَشِي كَمَا يَمُوتُ الْعِزُّ . » <sup>(٣)</sup> فَلَا قَرَّتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ »

(١) سورة النساء ( آية ٧٨ )

(٢) سورة آل عمران ( آية ١٥٦ )

(٣) روى ابن الأثير فى أسعد الغابة قال : لما حضرت خالد بن الوليد  
 الوفاة قال « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها . وما فى بدنى موضع شبر إلا  
 وفيه ضربة أو طعنة أو رمية . وها أنا أَمُوتُ عَلَى فَرَأَشٍ كَمَا يَمُوتُ الْعِيرُ . فَلَا  
 نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبَنَاءِ . وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله . وأنا متترس  
 بها » والعير : الحمار . وروى مثل ذلك ابن عساكر ، ثم قال : وقال رجل  
 من حوله : « والله ليسومنى . فقال له : ولكنها سيئة إلى أجل . واستعين



ثم قال تعالى: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا)

قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الحندق فيدخل المدينة. فاذا جاءهم أحد قالوا له: وَيَخُكَّ، اجلس، فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالمعسكر: أن انتنونا بالمدينة، فإننا نتنظركم، يبطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون المعسكر إلا أن لا يجدوا بدا. فيأتون المعسكر ليرى الناس وجوههم. فاذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة. فانصرف بعضهم من عند النبي صلى الله عليه وسلم، فوجد أخاه لأبيه أمه وعنده شواء ونبيذ<sup>(١)</sup>. فقال: أنت ههنا، ورسول الله صلى الله

الله على ذلك. وفي رواية: أنه قال: «لقد طلبت الموت في مظانه، فلم يجد لي إلا أن أموت على فراشي. وما من عمل شيء أرجى عندي بعد إلا الله من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين، وأنا متمرس السماء تهمل على، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار. فعليكم بالجهاد. ثم قال: إذا أنامت فانظروا في سلاحى وفرسى فاجعلوه حدة في سبيل الله».

(١) وفي تفسير ابن جرير «شواء ورغيف ونبيذ» وفي تفسير أبي حيان «سويق ونبيذ» قال ابن السائب: نزلت في عبد الله بن أبي، ومعتب بن قشير (١٩ - العقود الدرية)

عليه وسلم بين الرِّمَّاح والسيوف ؟ فقال : هَلُمَّ إِلَى . فقد أُحِيطَ بِكَ  
وبصاحبك <sup>(١)</sup>

فوصف المثبطين عن الجهاد — وهم صِنْفَان — بأنهم إما أن يكونوا  
في بلد الغزاة ، أو في غيره . فإن كانوا فيه عَوَّقُوهم عن الجهاد بالقول ،  
أو بالعمل ، أو بهما . وإن كانوا في غيره راسلوهم ، أو كاتبوهم : بأن  
يخرجوا إليهم من بلد الغزاة ، ليكونوا معهم بالحصون ، أو بالبُعد . كما  
جرى في هذ الغزاة

فإن أقواماً في العسكر والمدينة وغيرها صاروا يُعَوِّقُونَ مَنْ أَرَادَ الْغَزْو ،  
وأقواماً بعثوا من المعاقلة والحصون وغيرها إلى إخوانهم : هَلُمَّ إِلَيْنَا  
قال الله تعالى فيهم : ( وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ )  
أى بخلاء عليكم باقتال معكم ، والنفقة في سبيل الله وقل مجاهد : بخلاء  
عليكم بالخير والظفر والغنيمة <sup>(٢)</sup>

وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله ، أو شَحَّ عليهم

---

(١) قال ابن جرير : والصواب أن يقال : إن الله وصفهم بالجبر  
والشح . ولم يخص وصفهم من معاني الشح بمعنى دون معنى . فهم  
وصفهم الله به : أشحَّة على المؤمنين بالغنيمة والخير ، والنفقة في سبيل الله  
على أهل مسكنة المسلمين .

بفضل الله: من نصره ورزقه الذي يجريه بفعل غيره . فان اقواما يشحون  
بمعروفهم ، واقواما يشحون بمعروف الله وفضله . وهم الخسادُ

ثم قال تعالى : ( فاذا جاء الخوف رايتم ينظرون ايلك تدور اعينهم  
كالذي يفتش عليه من الموت ) من شدة الرعب الذي في قلوبهم  
يشبهون المغمى عليه وقت النزاع . فانه يخاف ويدهل عقله ،  
ويشخص بصره ، ولا يطرف . فكذلك هؤلاء . لانهم يخافون القتل .  
( فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد )

ويقال في اللغة « صلقوكم » وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي .  
منه « الصالقة » وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة . يقال : صلقه ،  
« سلقه » — وقد قرأ طائفة من السلف بها . اكنها خارجة عن المصحف —  
اذا خاطبه خطابا شديدا قويا . ويقال : خطيب مسلاق . اذا كان  
ايضا في خطبته . اكن الشدة هنا في الشر لا في الخير . كما قال  
« بالسنة حداد » ( أشحة على الخير ) وهذا السلق بالأسنة الحادة .  
وهذا يكون بوجوه . تارة يقول المناقون للمؤمنين : هذا الذي جرى  
ايانا بشؤمكم . فانكم أنتم الذين دعوتهم الناس إلى هذا الدين ،  
وما أنتم عليه ، وخالفتموهم فان هذا مقالة المناقين للمؤمنين من الصحابة  
وتارة يقولون : أنتم الذين أشرتم عايانا بالمقام هنا ، والثبات بهذا

التَّغَرَّ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ ، وَإِلَّا فَلَوْ كُنَّا سَافِرِينَ قَبْلَ هَذَا لَمَا أَصَابَنَا هَذَا  
وَتَارَةً يَقُولُونَ — أَنْتُمْ مَعَ قِلَّتِكُمْ وَضَعْفِكُمْ — تَرِيدُونَ أَنْ تَهْكَسِرُوا  
الْعَدُوَّ ، وَقَدْ غَرَّكُمْ دِينُكُمْ . كَمَا قَالَ تَعَالَى ( إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ  
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ  
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ )

وَتَارَةً يَقُولُونَ : أَنْتُمْ مُجَانِينَ ، لَاعْقِلَ لَكُمْ ، تَرِيدُونَ أَنْ تَهْلِكُوا  
أَنْفُسَكُمْ وَالنَّاسَ مَعَكُمْ

وَتَارَةً يَقُولُونَ : أَنْوَاعًا مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤْذِي الشَّدِيدِ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ  
أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ ، أَيْ حِرَاصٌ عَلَى الْغَنِيمَةِ وَالْمَالِ الَّذِي قَدْ حَصَلَ لَكُمْ  
قَالَ قَتَادَةُ : إِنْ كَانَ وَقْتُ قِسْمَةِ الْغَنِيمَةِ ، بَسَطُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِيكُمْ .  
يَقُولُونَ : أَعْطُونَا ، فَلَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا . فَأَمَّا عِنْدَ الْبَاسِ فَأَجَبْنُ قَوْمٌ  
وَأَخَذَ لَهُمُ الْحَقُّ . وَأَمَّا عِنْدَ الْغَنِيمَةِ فَأَشَحَّ قَوْمٌ

وَقِيلَ : أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ ، أَيْ مُخْلَاءٌ بِهِ ، لَا يَنْفَعُونَ ، لَا يَنْفُسُهُمْ  
وَلَا بَأْسَ لَهُمْ

وَأَصْلُ الشَّحِّ : شِدَّةُ الْحِرْصِ الَّذِي يَتَوَلَّدُ عَنْهُ الْبُخْلُ وَالظُّلْمُ :  
مِنْ مَعَ الْحَقِّ ، وَأَخَذَ الْبَاطِلَ . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِيَّاكُمْ  
وَالشَّحَّ . فَإِنَّ الشَّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . أَمَرَهُمُ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا .

وَأْمُرْهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا . وَأْمُرْهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا (١) »

فهؤلاء أشحاء على إخوانهم ، أى بخلاء عليهم ، وأشحاء على الخير أى حراص عليه . فلا ينفقونه . كما قال ( وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ) ثم قال تعالى ( يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوَالُوهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَهُمْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ) .

فوصفهم بثلاثة أوصاف :

أحدها : أنهم لفرط خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد . وهذه حال الجبان الذى فى قلبه مرض . فان قلبه يُبادر إلى تسديق الخبر الخوف ، وتسكذيب خبر الأمن .

الوصف الثانى : أن الأحزاب إذا جاءوا تمنّوا أن لا يكونوا بينكم ، بل يكونون فى البادية بين الأعراب ، يسألون عن أنباءكم : إيش خبر المدينة ؟ وإيش جرى للناس ؟ .

والوصف الثالث : أن الأحزاب إذا أتوا ، وهم فيكم ، لم يقاتلوا إقليلا .

(١) رواه مسلم عن جابر ، بلفظ « اتقوا الظلم . فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح . فان الشح أهلك من كان قبلكم . حملهم على ان سفكوا دماءهم . واستحلوا محارمهم » ورواه أبو داود وابن حبان . الفاظ قريبة من هذا .



وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة ، كما يعرفونه من أنفسهم ، ويعرفه منهم من خبرهم .  
ثم قال تعالى ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) .  
فأخبر سبحانه أن الذين يُبْتَغُونَ بالعدوِّ ، كما ابْتُلِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلهم فيه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، حيث أصابهم مثل ما أصابه . فليَتَأَسَّوْا به في التَوَكُّلِ والصبر ، ولا يظنون أن هذه رِقْمٌ لصاحبها ، وإهانة له . فانه لو كان كذلك ما ابْتُلِيَ بها خيرُ الخلائق ، بل بها يُنالُ الدَّرَجَاتُ العَالِيَةُ ، وبها يُكْفَرُ الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليومَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا . وإلا فقد يُبْتَغَى بذلك من ليس كذلك . فيكون في حقه عذابًا . كالكفار والمنافقين .

ثم قال تعالى ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ . وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ) .  
قال العلماء : كان الله قد أنزل في سورة البقرة ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ . مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ) فَبَيَّنَّ الله سبحانه — مُنْكَرًا على من حَسِبَ خِلَافَ ذَلِكَ — أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يُبْتَغُوا



مثل هذه الأمم قبلهم « بالبأساء » ، وهى الحاجة والفاقة . و « الضراء » . وهى الوجع والمرض . و « الزلزال » وهى زلزلة العدو .

فلما جاء الأحزابُ عامُ الخندقِ فرأوهم . قالوا : ( هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصَدَّقَ اللهُ ورسوله ) وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال . وأتاهم مثلُ الذين خلوا من قبلهم ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً لحكم الله وأمره .

وهذه حال أقوام فى هذه الغزوة . قالوا ذلك .

وكذلك قوله ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا بِمَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ قَضَى نَحْبِهِ ) أى عَهْدَهُ الذى عاهد الله عليه . فقاتل حتى قُتِلَ ، أو عاش .

« والنَّحْبُ » النَّذْرُ والعَهْدُ . وأصله من النَّحِيب . وهو الصوت .

ومنه : الانتحاب فى البكاء ، وهو الصوت الذى تكلم به فى العهد .

ثم لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق فى اللقاء — ومن صدق فى اللقاء فقد يقتل — صار يُفهم من قوله ( قَضَى نَحْبِهِ ) أنه استشهد ، لا سيما إذا كان النَّحْبُ : نذر الصدق فى جميع المواطن . فانه لا يقضيه إلا بالموت . وقضاء النَّحْبِ هو الوفاء بالعهد . كما قال ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا بِمَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ قَضَى نَحْبِهِ ) أى أكمل الوفاء . وذلك لمن كان عهده مطلقاً : بالموت ، أو القتل .

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه، إذا كان قد وفى البعض، فهو ينتظر تمام العهد.

وأصل القضاء: الإتمام والإكمال.

(ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم وكان الله غفورا رحيمًا).

بين الله سبحانه أنه أتى بالأحزاب ليجزى الصادقين بصدقهم، حيث صدقوا في إيمانهم. كما قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ<sup>(١)</sup>).

فخصر الايمان في المؤمنين المجاهدين، وأخبر أنهم هم الصادقون في قولهم: آمنا. لامن قال، كما قالت الأعراب: «آمنا» والايمان لم يدخل في قلوبهم، بل انقادوا واستسلموا.

وأما المنافقون فهم بين أمرين: إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم.

فهذا حال الناس في الخندق وفي هذه الغزوة وأيضاً فإن الله تعالى ابتلى الناس بهذه الفتنة، ليجزى الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم.

ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين <sup>(١)</sup> فإن منهم من ندم. والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. وقد « فتح الله للتوبة بابا من قبل المغرب عرضة أربعون سنة. لا يغلقه حتى تطلع الشمس من قبله <sup>(٢)</sup> »

وقد ذكر أهل المغازي - منهم ابن اسحق - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الخندق « الآن نغزوهم ، ولا يغزونا » فما غزت قريش ولا غطفان ، ولا اليهود المسلمين بعدها . بل غزاهم المسلمون . ففتحوا خيبر ثم فتحوا مكة

كذلك ، إن شاء الله ، هؤلاء الأحزاب من المغل وأصناف التثرك ومن القرس ، والمستعربة ، والنصارى ، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الاسلام : الآن نغزوهم ولا يغزونا . ويتوب الله على من شاء من المسلمين ، الذين خالط قلوبهم مريض أو نفاق ، بأن ينميوا إلى ربهم

(١) في نسخة : بهامش الأصل « على خلق كثير من هؤلاء المؤمنين »

(٢) روى الترمذي عن صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما ، أو سبعون سنة ، فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض . فلا يغلقه حتى تطلع الشمس من مغربها »

وَيَحْسَنَ ظَنَّهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، وَتَقْوَى عَزِيمَتُهُمْ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ،  
فَقَدْ أَرَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَبْصَارِ . كَمَا قَالَ  
( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا )

فَإِنَّ اللَّهَ صَرَفَ الْأَحْزَابَ عَامَ الْخَنْدَقِ بِمَا أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
رِيحِ الصَّبَا : رِيحٍ شَدِيدَةٍ بَارِدَةٍ . وَبِمَا فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، حَتَّى  
شَتَّتْ شَمْلَهُمْ ، وَلَمْ يَنَالُوا خَيْرًا . إِذْ كَانَ هَمُّهُمْ فَتْحَ الْمَدِينَةِ وَالْإِسْتِيلَاءِ  
عَلَى الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ ، كَمَا كَانَ هَمُّ هَذَا الْعَدُوِّ فَتْحَ الشَّامِ وَالْإِسْتِيلَاءِ  
عَلَى مَنْ بَهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَردَّ اللَّهُ بِغَيْظِهِمْ ، حَيْثُ أَصَابَهُمْ مِنَ الثَّلْجِ  
الْعَظِيمِ ، وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ ، وَالرَّيْحِ الْعَاصِفِ ، وَالْجُوعِ الْمُرْجِعِ ، مَا اللَّهُ  
بِهِ عَلِيمٌ

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَكْرَهُ تِلْكَ الثَّلُوجَ وَالْأَمْطَارَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي وَقَعَتْ  
فِي هَذَا الْعَامِ ، حَتَّى طَلَبُوا الْإِسْتِصْحَاءَ غَيْرَ مَرَّةٍ . وَكُنَّا نَقُولُ لَهُمْ : هَذَا فِيهِ  
خَيْرٌ عَظِيمٌ . وَفِيهِ لَلَّهِ حِكْمَةٌ وَسِرٌّ فَلَا تَكْرَهُهُ . فَكَانَ مِنْ  
حِكْمَتِهِ : أَنَّهُ فِيمَا قِيلَ : أَصَابَ قَارَانَ وَجُنُودَهُ ، حَتَّى أَهْلَكَهُمْ ، وَهُوَ  
كَانَ فِيمَا قِيلَ : سَبَبَ رَحِيلَهُمْ . وَابْتُلِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ لِيَتَبَيَّنَ مِنْ يَصْبِرَ عَلَى

أمر الله وحُكْمِهِ مَنْ يَفِرُّ عَنْ طَاعَتِهِ وَجِهَادِ عَدُوهِ .

وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام وأراضي حلب :  
يوم الاثنين ، حادى عشر جمادى الأولى ، يوم دخلت مصر عقيب  
العسكر ، واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين . وألقى الله في قلوبهم من  
الاهتمام بالجهاد ما ألقاه . فلما ثبت الله قلوب المسلمين حُفِرَ العدو ، جزاء  
منه ، وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها ، وإن لم يقع  
الفعل ، وإن تباعدت الديار

المغال

وذکر أن الله فرّق بين قلوب هؤلاء المغل والسكرج وألقى بينهم  
نباغضا وتعاديا ، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قريش وعطفان ،  
وبين اليهود . كما ذكر ذلك أهل المغازي . فإنه لم يتسع هذا المكان  
لأن نصف فيه قصة الخندق . بل من طاعها علم صحة ذلك ، كما  
ذكره أهل المغازي . مثل عروة بن الزبير ، والزُّهري ، وموسى بن  
عُقبة ، وسعيد بن يحيى الأموي ، ومحمد بن عائذ ، ومحمد بن اسحق ،  
والواقدي ، وغيرهم

ثم تبقى بالشام منهم بقايا ، سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم ،  
مضافا إلى عسكر حماة وحلب ، وما هنالك . ونبات المسلمون بأزاهم .  
وكانوا أكثر من المسلمين بكثير ، لكن في ضعف شديد . تنمّر به إلى حماة



وَأَذَلَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . فَلَمْ يَقْدَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَطْ . وَصَارَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ  
يُرِيدُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ . فَلَمْ يُوَافِقْهُ غَيْرُهُ ، فَجَرَّتْ مُنَاوَشَاتُ صَغَارٍ ، كَمَا قَدْ  
كَانَ يَجْرَى فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ . حَيْثُ قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ لَمَّا اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ ، هُوَ وَنَفَرٌ قَلِيلٌ  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

كَذَلِكَ صَارَ يَتَقَرَّبُ بَعْضُ الْعَدُوِّ فَيَكْسِرُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، مَعَ  
كَوْنِ الْعَدُوِّ الْمُتَقَرَّبِ أَضْعَافَ مَنْ قَدْ سَرَى إِلَيْهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَمِمَّنْ  
مَرَّةً إِلَّا وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ مُسْتَظْهِرِينَ عَلَيْهِمْ . وَسَاقَ الْمُسْلِمُونَ خَلْفَهُمْ  
فِي آخِرِ النَّوْبَاتِ ، فَلَمْ يَدْرِكُوهُمْ إِلَّا عِنْدَ عُيُورِ الْفُرَاتِ . وَبَعْضُهُمْ فِي  
جَزِيرَةٍ فِيهَا . فَرَأَوْا أَوَائِلَ الْمُسْلِمِينَ فَهَرَبُوا مِنْهُمْ ، وَخَالَطُوهُمْ . وَأَصَابَ  
الْمُسْلِمُونَ بَعْضَهُمْ . وَقِيلَ : إِنَّهُ غَرِقَ بَعْضُهُمْ .

وَكَانَ عُبُورُهُمْ وَخُلُوءُ الشَّامِ مِنْهُمْ فِي أَوَائِلِ رَجَبٍ ، بَعْدَ أَنْ جَرَى  
مَا بَيْنَ عُبُورِ قَازَانَ أَوَّلًا وَهَذَا الْعُبُورِ : رَجَفَاتٌ وَوَقَعَاتٌ صَغِيرَةٌ ، وَعَزَمْنَا  
عَلَى الذَّهَابِ إِلَى حِمَاةٍ غَيْرِ مَرَّةٍ ، لِأَجْلِ الْغَزَاةِ ، لَمَّا بَلَّغْنَا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَرِيدُونَ  
غَزْوَ الَّذِينَ بَقُوا . وَثَبَّتَ بَازَاهُمُ الْمَقْدَّمُ الَّذِي بِحِمَاةٍ ، وَمِنْ مَعَهُمُ مِنَ الْعَسْكَرِ .  
وَمِنْ أَتَاهُ مِنْ دِمَشْقَ ، وَعَزَمُوا عَلَى لِقَائِهِمْ ، وَنَالُوا أَجْرًا عَظِيمًا . وَقَدْ قِيلَ :  
إِنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ لِحَامَاتٍ ، إِمَّا ثَلَاثَةً ، أَوْ أَرْبَعَةً .

وَكَانَ مِنَ الْمَقْدَرِ : أَنَّهُ إِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ وَصَدَّقَ الْمُؤْمِنُونَ اللَّهُ يُلْقَى فِي



قلوب عدوهم الرعب فيهم من . اسكن أصابعهم من السابغات . الشمل مثل  
« تيزين » و « الفوعة » و « معرة مصرين »<sup>(١)</sup> وغيرها . لم يكملوا  
ملته في العام الماضي .

وقيل : إن كتبنا من تلك البلاد كان فيهم ميل إليهم . سبب  
الرفس . وأن عند بعضهم قرابين منهم . اسكن هؤلاء غدا . ومن  
أعان ظلالا بلى به . والله تعالى يقول : ( كذلك أثبت بعض الضالين بعضا  
فما كانوا يكسبون )

وقد ظاهرهم على المسلمين : الذين كرهوا من أهل الكتاب . من  
أهل « مسس » و « الافرنج » . فمنهم من آمن بالله أن يسلطهم من سيدهم .  
وهي الحصون . وينال القرون : السيامي . ويقذف قلوبهم الرعب  
وقد فتح الله تلك البلاد وبغزوهم إن شاء الله تعالى . فيفتح أرض  
الماق وغيرها ، وتعلم كلمة الله ويظهر دينه . فإن هذه الحادثة كان فيها

---

(١) « تيزين » بكسر التاء ثم ياء ثم زاي مكسورة وبعدها ياء  
ساكنة : قرية كبيرة من نواحي حلب و « الفوعة » بضم الفاء وبعدها  
او ثم عن مفتوحة : من قرى حلب . و « معرة مصرين » بفتح الميم ثم  
العين . وفتح الميم من « مصرين » جمع « مصر » والمصر بالفتح : حلب  
الفاة بأحرف الأصابع . وهي بايدة وكورة بنواحي حلب من أعمالها

أمور عظيمة جازت حدَّ انقياس . وخرجت عن سنن العادة . وظهر لكل ذى عقل من تأييد الله لهذا الدين ، وعنايته بهذه الأمة ، وحفظه للأرض التى بارك فيها للعالمين بعد أن كاد الاسلام أن . . . . . (١) وكرّ العدو كرة فلم يلو عن ، وخذل الناصرون فلم يلووا على . وتخيّر السائرون فلم يدروا من ، ولا إلى ، وانقطعت الأسباب الظاهرة . وأهطعت الأحزاب القاهرة ، وانصرفت الفئة الناصرة ، وتخاذلت القلوب المتناصرة ، وثبتت الفئة الناصرة ، وأيقنت بالنصر القلوب الطاهرة واستنجزت من الله وعده العصاية المنصورة الظاهرة ، ففتح الله أبواب سمواته لجنوده القاهرة ، وأظهر على الحق آياته الباهرة ، وأقام عمود الكتاب بعد ميله . وثبت لواء الدين بقوته وحوله ، وأرغم معارِط الكفر أهل الكفر والنفاق . وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق .

فإنَّ الله يَتِمُّ هذه النعمة بجمع قلوب أهل الايمان على جهاد أهل الطغيان ، ويجعل هذه المنَّة الجسيمة مبدأ لكل منحة كريمة ، وأساساً لإقامة الدعوة النبوية القويمة ، ويشفى صدور المؤمنين من أعاديهم ، ويمكنهم من

---

(١) فى الأصل بياض بين حرف « أن » ولفظة « وكر » ولعل ما بينهما لفظة « يضعف » ، أو ما فى معناها ، قدسها عنها الناسخ والله أعلم . كتبه أبو اسماعيل يوسف حسين عفا الله عنه اه من هامش الأصل

دانيهم وقاصيهم ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله  
وصحبه وسلم تسليما

• • •

قال المؤلف رحمه الله :

كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده ، لما رجعت  
من مصر في جمادى الآخرة ، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد ، ثم لما  
تبيت تلك الطائفة اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم ، وقصد الذهاب إلى  
إخواننا بحجة ، وتحريض الأمراء على ذلك ، حتى جاءنا الخبر بانصراف  
المتبقين منهم ، فكملة في رجب . والله أعلم  
والحمد لله وحده . وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه  
وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

٧٢ قلت : وفي أول شهر رمضان من سنة اثنتين وسبع مائة كانت وقعة  
« شَقَّحَب » المشهورة . وحصل للناس شدة عظيمة . وظهر فيها من  
كرامات الشيخ وإجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة إيمانه ، وشدة  
صنعه للإسلام ، وفرط شجاعته ، ونهاية كرمه ، وغير ذلك من  
صفاته : ما يفوق النعت ، ويتجاوز الوصف .  
ولقد قرأت بخط بعض أصحابه — وقد ذكر هذه الواقعة ، وكثرة  
من حضرها من جيوش المسلمين — قال :

واتممت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبيه ، وسماع كلامه ونصيحته ، واتعظوا بمواعظه ، وسأله بعضهم مسائل في أمر الدين . ولم يبق من ملوك الشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة ، واعتقد خيره وصلاحه ، ونصحه لله ولرسوله والمؤمنين .

قال : ثم ساق الله سبحانه جيش الاسلام العرمرم المصري ، صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر ، ووُلاة الأمر ، وزعماء الجيش وعظماء المملكة ، والأمراء المصريين عن آخرهم ، بجيوش الاسلام : سوفاً حثيثاً للقاء التتار الخذواين . فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان . وأر باب الحل والعقد ، وأعيان الأمراء عن آخرهم . وكان بمرج الصفر<sup>(١)</sup> قبلي دمشق المحروسة . وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات مسافة . ودار بين الشيخ المذكور وبينهم ما بين الشاميين . وبينه . وكان بينهم ومعهم كأحد أعيانهم . واتفق من اجتماعهم ما لم يتفق لأحد قبله من أبناء جنسه ، حيث اجتمعوا بجمعتهم في مكان واحد ، في يوم واحد ، على أمر جامع لهم وله ، مهجة عظيم يحتاجون فيه إلى سماع كلامه . هذا توفيق عظيم كان من الله

---

(١) المرج — بفتح الميم وسكون الراء ثم جيم : الأرض الوادعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب . والصفر بضم الصاد ثم تشديد الفاء . وله ذكر في فتوح خالد بن الوليد لدمشق . كان فيه موقعة عظيمة مع الروم .

تعالى له ، لم يتفق مثله .

وبقى الشيخ المذكور — رضى الله عنه — هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً بظهوره وجهاده ولأمة حربه ، يوصى الناس باتات وَيَعِدُّهُمْ بالنصر ، وَيُبَشِّرُهُم بالغنيمة ، والفوز باحدى الحسنين ، إلى أن صدق الله وعده ، وأعزَّ جنده ، وهزم التتار وحده ، ونصر المؤمنين . وغيره الجمعُ وولوا الدُّبُرَ ، وكانت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الكفار هي السفلى . وقُطِعَ دابرُ القوم الكفار . والحمد لله رب العالمين .

ودخل جيش الاسلام المنصور إلى دمشق المحروسة . والشيخ في صحبه شاكيا في سلاحه ، داخلا معهم ، عالية كلمته ، قائمة حُجَّتِهِ ، ظاهرة ولايته ، مقبولة شفاعته ، مجابة دعوته ، ملتزمة بركته ، مكرما معصيا . ذاساطن وكلمة نافذة . وهو مع ذلك يقول المداحين له : أنا رجل مدد لا رجل دولة .

### [ شجاعة الشيخ وبأسه عند قتال الكفار ]

واقعد أخبرني حاجب من الحجاب الشاميين ، أمير من أمراءهم ، ذو بن متين ، وصدق لهجة معروف في الدولة . قال :

قال لى الشيخ — يوم اللقاء ، ونحن بمرج الصُّفَرِّ ، وقد تراءى الجيش — : يا فلان ، أوقفنى <sup>(١)</sup> موقف الموت

(١) بالاصل «يا فلان ، الدين أوقفنى» والظاهر أن كلمة «الدين» زائدة

قال : فسقته إلى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم  
من تحت الغبار المنعقد عليهم .

ثم قلت له : ياسيدى ، هذا موقف الموت ، وهذا العدو ، قد أقبل  
تحت هذه الغبرة المنعقدة . فدونك وما تريد .

قال : فرفع طرفه إلى السماء ، وأشخص بصره ، وحرك شفاهه  
طويلا . ثم انبعث وأقدم على القتال . وأما أنا فخيّل إلى أنه دعا عليهم  
وأن دعاءه استجيب منه فى تلك الساعة .

قال : ثم حال القتال بيننا والاتحام ، وما عدت رأيته ، حتى فتح  
الله ونصر ، وانحاز التتار إلى جبل صغير ، عصموا نفوسهم به من سيوف  
المسلمين تلك الساعة . وكان آخر النهار .

قال : وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما ، تحريضا على  
القتال ، وتحويفا للناس من الفرار .

فقلت : ياسيدى ، لك البشارة بالنصر . فانه قد فتح الله  
ونصر ، وهام التتار محصورون بهذا السفح . وفى غد ، إن شاء الله تعالى ،  
يؤخذون عن آخرهم .

قال : فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ودعا لى فى ذلك الموضع  
دعاء وجدت بركته فى ذلك الوقت وبعده .



### هذا كلام الأمير الحاجب

قال : ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة في الحال والقال والجاه ،  
والمتحقيق في العلم . والعرفان ، حتى حرك الله سبحانه عزَمات نفوس  
ولادة الأمر لقتال أهل جبل كسروان . وهم الذين بغوا وخرجوا على  
الامام ، وأخافوا السُّبُل ، وعارضوا المارِّين بهم من الجيش بكل سوء  
فتمام الشيخ في ذلك آنم قيام . وكتب إلى أطراف الشام في الحثِّ  
على قتال المذكورين . وأنها غزاة في سبيل الله .

ثم تجهَّز هو بمن معه لغزوهم بالجبل ، صحبةً ولى الأمر نائب  
المملكة المعظمة ، أعزَّ الله نصره . والجيوش الشامية المنصورة . وما زال مع  
ولى الأمر في حصارهم وقتالهم ، حتى فتح الله الجبل ، وأجلى أهله . وكان  
من الصعب الجبال ، وأشقها ساحة . وكانت الملوك المتقدمة لا تقدم على  
حصاره ، مع علمها بما عليه أهله من البغي والخروج على الامام والعصيان ،  
والسب لا لصعوبة المسالك ، ومشقة النزول عليهم .

وكذلك لما حاصروهم بيئدرا بالجيش ، رحل عنهم ، ولم ينل منهم  
مئلا ، لذلك السبب ، واعيره . وذلك عقيب فتح قلعة الروم ، ففتح الله  
على يدي ولى الأمر ، نائب الشام المحروس . أعز الله نصره

وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ . لسبيين  
على ما يقوله الناس :

أحدهما : اكون أهل هذا الجبل بُغاةً رافضة سبابةً  
نعمين قتالهم .

والثاني : لأن جبل الصالحية لما استولت الرافضة عليه - في حال  
استيلاء الطاغية قازان - أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل ، وسبى أهله  
وقتلهم ، وتحريق مساكنهم ، انتقاماً منهم لكونهم سنية . وسماهم ذاك  
المشير : نواصب . فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول ،  
وتلك الإشارة .

قلوا : فكوفي الرافضة بمثل ذلك ، بإشارة كبير من كبراء أهل السنة  
وزناً بوزن ، جزاءً على يدٍ وليّ الأمر ، وجيوش الاسلام  
والمشير المذكور : هو الشيخ المشار إليه

ولما فتح الجبل ، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة  
عكفَ خاصُّ الناس وعامُّهم على الشيخ بالزيارة والتسليم عليه ، والتهنئة  
بسلامته ، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل ، وصورة قتال  
أهله ، وعمّا وقع بينهم وبين الجيوش من المراسلات وغيرها . فحكي  
الشيخ ذلك .

[ بحث للشيخ مع أحد الرافضة في عصمة غير الأنبياء ]

وحكى أيضا أنه تجادل مع كبير من كبراء أهل جبل كسروان ، له اطلاع على مذهب الرافضة .

قال : وكان الجدل والبحث في عصمة الامام وعدم عصمته ، وفي أن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه معصوم من الصغائر والكبائر ، في كل قول وفعل . وهذه دعوى الجيلي وأن الشيخ حاجه في أن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء عليهم السلام .

قال : وإني قلت له : إن عليا وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما اختلفا في مسائل وقعت ، وفتاوى أفتى بها كل منهما ، وأن تلك الفتاوى والمسائل عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فصوّب فيها قول ابن مسعود رضى الله عنه .

هذا معنى كلام الشيخ في حديثه عن المجادلة مع الرافضى الجيلي ، وإن اختلفت العبارة . انتهى ما ذكره .

\*\*\*

وكان توجه الشيخ تقي الدين رضى الله عنه إلى الكروانيين في مسهل ذي الحجة من سنة أربع وسبع مائة . وصحبته الأمير قراقوش .  
وتوجه نائب السلطنة ، الأمير جمال الدين الأفرم ، بمن تأخر من

عسكر دمشق إليهم ، أغزوهم واستئصاهم في ثلثي شهر المحرم من سنة خمس  
وسبعمائة . وكان قد توجه قبله العسكر ، طائفة بعد طائفة في ذى الحجة  
وفي يوم الخميس سابع عشر وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق ،  
بعد أن نصرهم الله تعالى على حزب الضلال من الروافض والتصيرية  
وأصحاب العقائد الفاسدة ، وأبادهم الله من تلك الأرض . والحمد لله  
رب العالمين .

### [ رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر ]

ثم إن الشيخ رحمه الله - بعد وقعة جبل كسروان - أرسل رسالة  
إلى السلطان الملك الناصر ، يذكر فيها ما أنعم الله على السلطان وعلى أهل  
الاسلام ، بسبب فتوح الجبل المذكور . وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعى أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين ، ومن أيد الله  
في دولته الدين ، أو عز بها عباده المؤمنين ، وقع فيها الكفار والمناقضين  
والخوارج المارقين ، نصره الله ونصر به الاسلام ، وأصلح له وبه أمور  
الخاص والعام ، وأحيى به معالم الايمان ، وأقام به شرائع القرآن ،  
وذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فانا نحمدك إياكم الله الذى

لا إله إلا هو ، وهو الحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير . ونسأله أن  
يصلى على خاتم النبيين ، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه  
وعلى آله وسلم تسليما .

أما بعد . فقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم  
لأحزاب وحده . وأنعم الله على السلطان ، وعلى المؤمنين في دولته نعمًا  
لم تُعهد في القرون الخالية . وجُدِّد الإسلام في أيامه تجديدًا بانته فضيلته  
على الدول الماضية . وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق ، أفضل  
الأولين والآخرين ، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رءوس المؤمنين  
والله تعالى يُوزِعهُ والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ،  
وَيُثَمِّمُهَا بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين .

وذلك : أن السلطان — أثمَّ الله نعمته — حصل للأمة بِيَمْنٍ  
ولايته وحسن نيته ، وصحة إسلامه وعقيدته ، وبركة إيمانه ومعرفته ،  
وفضل همته ، وشجاعته ، وحمرة تعظيمه للدين وشرعته ، ونتيجة اتباعه  
كتاب الله وحكمته ، ما هو شبهه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين  
وما كان يقصده أ كابر الأئمة العاديين : من جهاد أعداء الله المارقين  
من الدين ، وهم صنفان :

أهل الفجور والطفیان ، وذوو الغیِّ والعدوان ، الخارجون عن

شرائع الايمان ، طلبا للعلو في الأرض والفساد ، وتركاً لسبيل الهدى  
والرشاد . وهؤلاء هم التتار ، ومحوم من كل خارج عن شرائع الاسلام  
وإن تمسك بالشهادتين ، أو ببعض سياسة الاسلام

والصنف الثاني : أهل البدع المارقون ، وذوو الضلال المنافقون ،  
الخارجون عن السنة والجماعة ، المارقون للشرعة والطاعة . مثل هؤلاء  
الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبل ، والجرد ، والكسروان .  
فإن ما من الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام ، هو من عزائم  
الأمر التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الاسلام .

وذلك : أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين  
فإن اعتقادهم : أن أبا بكر وعمر وعثمان ، وأهل بدر ، وبيعة الرضوان  
وجمهور المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان ، وأئمة الاسلام  
وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ، ومشايخ الاسلام وعبّادهم ،  
وملوك المسلمين وأجنادهم ، وعوام المسلمين وأفرادهم . كل هؤلاء عندهم  
كفار مُرتدّون . أكفر من اليهود والنصارى . لأنهم مرتدون عندهم  
ولمرتد شر من الكافر الأصلي . ولهذا السبب يُقدّمون الفرنج والتتار  
على أهل القرآن والايمان .

وهذا لما قدم التتار إلى البلاد ، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى



من الفساد ، وأرسلوا إلى أهل قبرص فلما كوا بعض الساحل ، وحملوا راية الصليب ، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصى عدده إلا الله ، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما يبيعون فيه المسلمين والخيول والسلاح على أهل قبرص ، وفرحوا بمجيء انتصارهم وسائر أهل هذا المذهب الماعون ، مثل أهل جزين . وما حوالها . وجبل عامل ونواحيه .

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم . ولما نصر الله الإسلام النشصرة العظمى عند قدوم السلطان ، كان بينهم شبيه بالعزاء .

كل هذا ، وأعظم منه ، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكيسخان إلى بلاد الإسلام ، وفي استيلاء هولاكو على بغداد ، وفي قدومه إلى حلب ، وفي نهب الصالحية ، وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله .

لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد . ومن استحل الفجاء<sup>(١)</sup> فهو كافر . ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر . ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر . ومن أحب أبا بكر أو عمر ، أو عثمان ،

(١) في القاموس : « الفجاء » كزمان . هذا الذي يشرب . سمي به لما يرتفع على رأسه من الزبد

أو ترضي عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر . ومن لم يؤمن  
بمنتظرهم فهو عندهم كافر .

وهذا المنتظر صبي عمره سنتان أو ثلاث ، أو خمس . يزعمون أنه  
دخل السرداب بسامراً من أكثر من أربع مائة سنة . وهو يعلم كل  
شيء . وهو حجة الله على أهل الأرض . فمن لم يؤمن به فهو عندهم  
كافر . وهو شيء لا حقيقة له . ولم يكن هذا في الوجود قط .

وعندهم من قال : إن الله يُرى في الآخرة فهو كافر . ومن قال : إن الله  
نكح بالقرآن حقيقة فهو كافر . ومن قال : إن الله فوق السموات فهو كافر  
ومن آمن بالقضاء والقدر وقال : إن الله يهدي من يشاء ويُضلُّ من  
من يشاء ، وأن الله يُقلب قلوب عباده ، وأن الله خالق كل شيء ، فهو  
عندهم كافر . وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر  
بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، فهو عندهم كافر .

هذا هو المذهب الذي تُلَقِّنُهُ لهم أئمتهم . مثل بني العود . فانهم  
شيوخ أهل هذا الجبل . وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين .  
ويفتقونهم بهذه الأمور .

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود  
وغيره . وفيها هذا وأعظم منه . وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمرهم  
لكنهم مع هذا يُظهرون التَّعَمُّدَ والنِّفاقَ . ويتقربون ببذل الأموال إلى

من يفلها منهم . وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية . فانما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ، ويدلون من البرطيل لمن يقصدهم  
والمكان الذى لهم فى غاية الصعوبة . ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله . ولهذا كثر فسادهم . فقتلوا من النفوس ، وأخذوا من الأموال ،  
مالا يعلمه إلا الله .

وقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم فى أمر لا يضبط شره ، كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة ، ويفعلون من الفساد ما لا يحصىه إلا رب العباد . كانوا فى قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات ، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيئونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين .  
فإذا أن يقتلوه أو يسلبوه . وقليل منهم من يقاتل منهم بالحيلة .

فأعان الله ويسر ، بحسن نية السلطان وهمته ، فى إقامة شرائع الاسلام ، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية ، كما أمر الله ورسوله ، بعد أن كشفت أحوالهم ، وأزيلت عنهم ، وبذل لهم من العدل والانصاف ما لم يكونوا يطمعون به ، وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قتال الحرورية<sup>(١)</sup> .

---

(١) الحرورية : هم الخوارج الذى خرجوا على بن أبى طالب

المارقين ، الذين تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بقتالهم ونعت  
 حالهم ، من وجوه متعددة . أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه :  
 من حديث علي بن أبي طالب ، وأبي سعيد الخدري . وسهل بن  
 حنيف ، وأبي ذر الغفاري . ورافع بن عمرو ، وغيرهم من أصحاب النبي  
 صلى الله عليه وسلم .

قال فيهم . « يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ  
 مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ  
 حَنَاجِرَهُمْ ، يَمْزُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْزُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ . لَئِنْ  
 أَدْرَكْنَاهُمْ لَا قَتَلْنَاهُمْ قَتْلَ عَادٍ . لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ مَا ذَالَهُمْ عَلَى لِسَانِ  
 مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَكَلُّوا عَنِ الْعَمَلِ . يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ . وَيَدْعُونَ  
 أَهْلَ الْأَوْتَانِ . يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ ، شَرُّ قَتْلَى  
 تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ . خَيْرُ قَتْلَى مِنْ قَتْلَوْهُ »

وأول ما خرج هؤلاء ، زمن أمير المؤمنين على رضي الله عنه . وكان  
 لهم من الصلاة ، والصيام ، والقراءة ، والعبادة ، والزَّهَادَةِ مَا لَمْ يَكُنْ  
 لِعُمُومِ الصَّحَابَةِ . لَكِنْ كَانُوا خَارِجِينَ عَنِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

منسوبون إلى قرية « حروراء » بفتحين وسكون الواو وراء أخرى  
 وألف مدودة - قرية بظاهر الكوفة - كان بها أول تحكيمهم واجتماعهم  
 حين خالفوا على رضي الله عنه

وسلم ، وعن جماعة المسلمين . وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبد الله بن خَبَّاب <sup>(١)</sup> وأغاروا على دواب المسلمين .

وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصياما . ولم نجد في جيلهم مصحفا ولا فيهم قارئاً للقرآن . وإنما عندهم عقائدهم التي خائفوا فيها الكتاب والسنة . وأباحوا بها دماء المسلمين . وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى .

فإذا كان على بن أبي طالب قد أباح أسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج ، مع أنه قتلهم جميعهم ، لأن هؤلاء أحق بأخذ أموالهم . وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم على بن أبي طالب يوم الجمل « أنه لا يقتل مدبرهم ولا يُجْزى على جريحهم ، ولا يُغنى لهم مالا ولا يسبى لهم ذرية » لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ . وهؤلاء ليس

(١) هو عبد الله بن خباب بن الارت - بفتح الحاء وتشديد الباء وفتح الهمز والراء المهملة وتشديد الناء . له رؤية ولأبيه صحبة

قال في أسد الغابة : كان طائفة من الخوارج أقبلوا من البصرة إلى إخوانهم من أهل الكوفة ، فلقوا عبد الله بن خباب ومعه امرأته . فقالوا له : من أنت ؟ قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فأثنى خيرا عليهم ، فدبحوه ، فسال دمه في الماء ، وقتلوا المرأة وهي حامل متم منه ، فقالت : أنا امرأة ، ألا تتقون الله ؟ فبقروا بطنها ، وذلك سنة سبع وثلاثين ، وكان من سادات المسلمين



لهم تأويل سائغ . ومثل أوامرك إنما يكونون خارجين عن طاعة الامام .  
وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته . وهم  
شر من التتار من وجوه متعددة . لكن التتر أكثر وأقوى .  
فلذلك يظهر كثرة شرهم .

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم ، كما كان في زمن قازان  
وهو لاكو ، وغيرها . فانهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا  
من أموالهم . وأرضهم في بيت المال

وقد قال كثير من السلف : إن الرافضة لاحق لهم من النفي . لأن  
الله إنما جعل النفي للهاجرين والأنصار ، ( والذين جاءوا من بعدهم يقولون  
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين  
آمَنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ) فمن لم يكن قلبه سليما لهم ، ولسانه  
مستغفرا لهم ، لم يكن من هؤلاء

وقطعت أشجارهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما حاصر بني النضير  
قطع أصحابه نخلمهم وحرّقه . فقال اليهود : هذا فساد . وأنت يا محمد  
تنهى عن الفساد . فأنزل الله ( ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة  
على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين )

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر ، وتخريب العامر ، عند الحاجة  
إليه . فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك .



فان القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها ، وأيسوا  
من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار . وإلا كانوا يختفون حيث  
لا يمكن العلم بهم . وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم . لأن التركان إنما  
قصدهم الرعى ، وقد صار لهم مرعى ، وسائر الفلاحين لا يتركو عمارة  
أرضهم ويحيئون إليه .

فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة الساطن بهيمته وعزمه  
بمره ، وإخلاء الجبل منهم ، وإخراجهم من ديارهم .

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله ( هو الذي أخرج الذين كفروا  
من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر . ما ظننتم أن يخرجوا  
وقد ظننتم أنهم مانعتهم حصونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا  
ونذف في قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين  
ويعتبروا يا أولي الأبصار . ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في  
الدينار ولهم في الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن  
ينشق الله فإن الله شديد العقاب . ما قطعتم من لينة أو تركتموها  
فمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين <sup>(١)</sup> )

وأيضاً فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز  
واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان ، ويعز به أهل الإيمان .

## فصل

تمام هذا الفتح وبركته تَقَدَّم مراسيم السلطان بحسب مادَّة أهل  
الفساد ، وإقامة الشريعة في البلاد . فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ  
والإخوان في قرى كثيرة مَنْ يَقْتَدُونَ بهم وينتصرون لهم . وفي قلوبهم  
غِلٌّ عظيم . وإبطان معاداة شديدة ، لا يؤمنون معها على ما يمكنهم .  
ولو أنه مباطنة العدو . فإذا أمسك رءوسهم الذين يُضِلُّونهم — مثل بنى  
العوُد — زال بذلك من الشر ما لا يعلمه إلا الله .

ويتقدم إلى قراهم . وهى قرى متعددة بأعمال دمشق ، وصَفَد :  
وطرابلس ، وحماة ، وحمص ، وحلب بأن يُقام فيهم شرائع الاسلام ،  
والجمعة ، والجماعة ، وقراءة القرآن ، ويكون لهم خطباء ومؤذنون ، كسائر  
قرى المسلمين ، وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية . وتنشر فيهم المعالم الاسلامية ،  
ويعاقب من عُرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الاسلام .

فإن هؤلاء الحاربيين وأمثالهم قالوا : نحن قوم جبال . وهؤلاء  
كانوا يعلموننا ويقولون لنا : أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين .  
ومن قتل منكم فهو شهيد .

وفي هؤلاء خلق كثير لا يقرؤون بصلاة ، ولا صيام ، ولا حج

ولا عمرة ، ولا يُحَرِّمُونَ المِيتَةَ ، والدم ، ولحم الخنزير ، ولا يؤمنون  
بالجنة والنار . من جنس الاسماعيلية ، والنَّصِيرِيَّة والحاكِمِيَّة ، والباطِنِيَّة ،  
وهم كفاراً كُفِرَ من اليهود والنصارى بأجماع المسلمين .

فتتقدمُ المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الاسلام : من الجمعة ، والجماعة ،  
وقراءة القرآن ، وتبليغ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في قُرَى هؤلاء  
من أعظم المصالح الاسلامية . وأبلغ الجهاد في سبيل الله .  
وذلك سبب لاتقاع من يُباطن العدو من هؤلاء ، ودخولهم  
في طاعة الله ورسوله ، وطاعة أولى الأمر من المسلمين

وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء .  
فان ما فعلوه بالمسلمين في أرض « سِيَس » نوع من غدرهم الذي  
بما ينصر الله المسلمين عليهم . وفي ذلك لله حكمة عظيمة . ونصرة للاسلام  
حسيمة .

قال ابن عباس « ما نقض قوم العهد إلا أذيل عليهم العدو » .  
ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الايمان ،  
والعدو من الخذلان ، ما ينصر الله به المؤمنين ، ويُذَلُّ به الكفار والمنافقين  
والله هو المسئول أن يُتِمَّ نعمته على سلطان الإسلام خاصة ،  
وعلى عباده المؤمنين عامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .  
والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم  
تسليماً كثيراً .

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين . ومن أيد الله في دولته الدين . ومع الكفار  
والمنافقين أيد الله به الاسلام . ونشر عدله في الأنام .

[ موقف من مواقف الشيخ ]

في

[ إبطال حيل أهل الطرد الدجالين ]

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة — سنة خمس  
وسبعمائة — اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر .  
وحضر الشيخ تقي الدين . وطلبوا أن يسلم إليهم حالهم . وأن الشيخ تقي  
الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم . وأرادوا أن يظهروا شيئاً مما يفعلونه .  
فانتدب لهم الشيخ . وتكلم باتباع الشريعة . وأنه لا يسع أحداً الخروج  
عنها بقول ولا فعل . وذكر أن لهم جيلاً يتَحَيَّون بها في دخول النار ،  
وإخراج الزبد من الخلق

وقال لهم . من أراد دخول النار فليغسل جسده في الحمام ، ثم

يَدَّالِكِهِ بِالْحَلِّ . ثُمَّ يَدْخُلُ . وَلَوْ دَخَلَ لَا يُلْتَفَتُ إِلَى ذَلِكَ . بَلْ هُوَ  
نَوْعٌ مِنْ فَعْلِ الدَّجَالِ عِنْدَنَا  
وكَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا

وَقَالَ الشَّيْخُ صَالِحُ الشَّيْخِ الْمُنْبِيعِ : نَحْنُ أَحْوَالُنَا تَنْفُقُ عِنْدَ التَّتَارِ .  
مَا تَنْفُقُ قُدَّامَ الشَّرْعِ .

وَانْفَصَلَ الْمَجْلِسُ عَلَى أَنَّهُمْ يَخْلَعُونَ أَطْوَاقَ الْحَدِيدِ ، وَعَلَى أَنَّ مِنْ  
خَرَجَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ

وَحَفِظَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْحَاضِرُونَ مِنَ الْأَمْرَاءِ ، وَالْأَكْبَرِ ، وَأَعْيَانِ الدَّوْلَةِ  
وَكَتَبَ الشَّيْخُ عَقِيبَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ جُزْءًا فِي حَالِ الْأَحْمَدِيَّةِ ،  
وَمُبْدِئِهِمْ ، وَأَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ . وَذَكَرَ شَيْخَهُمْ . وَمَا فِي طَرِيقِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ  
وَالشَّرِّ ، وَأَوْضَحَ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ

[ مَحَنَةُ الشَّيْخِ وَقِيَامُ الْمُبْتَدِعِينَ عَلَيْهِ لِتَأْلِيفِهِ الْحَمْوِيَّةِ ] إِنْصَفَاءً

٧٩٨

وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ فِي تَرْجُمَةِ الشَّيْخِ :

وَلَمَّا صَنَفَ الْمَسْأَلَةَ الْحَمْوِيَّةَ فِي الْصِّفَاتِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ  
تَحَزَّبُوا لَهُ . وَآلَ بِهِمُ الْأَمْرَ إِلَى أَنْ طَافُوا بِهِ عَلَى قَصْبَةِ مِنْ جِهَةِ الْقَاضِي  
الْحَنْفِيِّ . وَنَوْدَى عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يُسْتَفْتَى  
ثُمَّ قَامَ بِنَصْرِهِ طَائِفَةٌ آخَرُونَ . وَسَلَّمُ اللَّهِ

٧٥

فلما كان سنة خمس وسبعائة جاء الأمر من مصر بأن يسئل عن معتقده  
فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم  
فقال : أنا كنت سئلتُ عن معتقد أهل السنة ، فأجبتُ عنه في جزء  
من سنين ، وطلبه من داره ، فأحضر ، وقرأه  
فنارعه في موضعين ، أو ثلاثة منه . وطال المجلس . فقاموا واجتمعوا  
مرتين أيضا لقتمة الجزء . وفاقوه  
ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد . وبعضهم قال  
ذلك كرها

وكان المصريون قد سعوا في أمر الشيخ وملاؤا الامير ركن  
الدين الجاشنكير الذي نسلطن عليه  
فطأب إلى مصر على البريد .

فتأني يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقاعة مصر وانتصب ابن  
عدَّ لان له خصما . وادَّعى عليه عند ابن مخلوف القاضي المالكي . أن هذا  
يقول : إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت ، وأنه تعالى على العرش بذاته ،  
وأن الله يشار إليه الاشارة الحسية  
وقال : أطلب عقوبته على ذلك .

فقال القاضي : ماتقول يا فقيه ؟

فحمد الله وأثنى عليه



فقليل له : أسرع ، ما أحضرناك لتخطب

فقال : أوْمنعُ الثناء على الله ؟

فقال القاضي : أجب . فقد حمدت الله

فسكت . فألح عليه

فقال : من الحكم في ؟

فأشار له إلى القاضي ابن مخلوف

فقال : أنت خصمي . كيف تحكم في ؟ وغضب وانزعج ، وأسكت

القاضي

فأقيم الشيخ وأخواه ، وسجنوا بالجب بقلعة الجبل

وجرت أمور طويلة .

وكتب إلى الشام كتاب سلطاني بالخط عليه . فقرأه بالجامع .

ونال الناس له . ثم بقي سنة ونصفا ، وأخرج ، وكتب لهم ألفاظا اقترحوها

عليه . وهدد وتوعد بالقتل إن لم يكتبها

وأقام بمصر يقرأ العلم ويجمع عنده خاق ، إلى أن تكلم في الاتحادية

الماناين بوحدة الوجود . وهم ابن سبعين وابن عربي والقونوي ، وأشباهم

فتحزب عليه صوفية وفقراء . وسعوا فيه . وأنه تكلم في صفوة الأولياء ..

فعمل له محفل . ثم أخرجه على البريد

ثم رده على مرحلة من مصر ، ورأوا مصلحتهم في اعتقاله . فسجنوه

في حبس القضاة سنة ونصفا

فجعل أصحابه يدخلون إليه في السر، ثم تظاهروا. فأخرجته الدولة على البريد إلى الاسكندرية: وحبس بـرج منها، وشُنّع بانه قتل. وأنه غرق، غير مرة

فلما عاد السلطان — أيده الله تعالى — من الكرك، وأباد أضداده، بادرباستحضار الشيخ إلى القاهرة، مكرّما. واجتمع به وحادثه، وسار به بحضرة القضاة والكبار، وزاد في إكرامه

ثم نزل وسكن في دار. واجتمع بعد ذلك بالسلطان. ولم يكن بعد السلطان يجتمع به، فلما قدم السلطان لكشف العدو عن الرّحبة جاء الشيخ إلى دمشق سنة اثنتي عشرة وسبعمائة. ثم جرت أمور ومحن. انتهى كلامه

### [ محنة الشيخ بدمشق ]

وقال الشيخ علم الدين: وفي شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقى الدين بن تيمية وكان الشروع فيها من أول الشهر. وظهرت يوم الخامس منه واستمرت إلى آخر الشهر

وملخصها: أنه كان كتب جوابا سُئل عنه من حماة في الصفات. فذكر فيه مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتسكمين، وكان قبل

ذلك بقايل أنكر أمر المنجدين ، واجتمع بسيف الدين جاعان في ذلك  
في حال نيافته بدمشق وقيامه ، فقام نائب السلطنة ، وامثال أمراء ، وقبائل  
قوله ، والتمس منه كثرة الاجتماع به

فحصل بسبب ذلك ضيق الجماعة ، مع ما كان عندهم قبل ذلك  
من راهية الشيخ وتألمهم لظهوره . وقد أورد الحسن  
فانصاف شيء إلى أشياء . ولم يجدوا مساماة إلى السلام فيه إهداء .  
بعدم إقباله على الدنيا ، وترك المراحة على المناصب ، وكثرة علمه .  
وحودة أجوبته وفتاويه ، وما يظهر فيها من نراة العلم . وحودة الفهم  
فعمدوا إلى الكلام في العقيدة <sup>(١)</sup> لسلامهم يرجعون مذهب

(١) سبحان الله . ما أشبه الليلة بالبارحة : كنا يوم ما في دمشق ، في مجلس  
الباشا . فطلب الذين خرجت عناهم القرعة في النظام . وكان أمر السلطان :  
أن من كان منهم طالب علم ، يجاوب عما يسئل عنه ، يسمح له . فاستبهرت البوابة  
إلى طالب نجيب من الحنابلة ، فسألوه ، فأجاب حالا  
فقال : سمعت منهم - يقال له محمد المير - : لا إشك في معرفته . ولكن  
أوه عن عقيدته .

فقال له الطالب : سل عما تريد  
فقال : ما تقول في قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى )  
فقال : أقول : استواء يليق بجلاله  
فقال الباشا : حسن . وكان من أهل العلم والدين  
فأبلس ذلك المتعنت ، وانقمع

المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف ، ويعتقدونه الصواب .  
فأخذوا الجواب الذي كتبته ، وعملوا عليه أوراقا في ( ٥٠٠ ) ثم سعوا  
السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء ، واحداً واحداً . وأغروا خواطرمهم ،  
وحرفوا الكلام ، وكذبوا الكذب الفاحش ، وجعلوه يقول بالتجسيم -  
حاشاه من ذلك - وأنه قد أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه . وأن العوام  
قد فسدت عقائدهم بذلك . ولم يقع من ذلك شيء . والعياذ بالله  
وسعوا في ذلك سعياً شديداً ، في أيام كثيرة المطر والوحل والبرد ،  
وسعوا في ذلك سعياً شديداً

افقهم جلال الدين الحنفي ، قاضي الحنفية يومئذ ، على ذلك .  
ومشي معهم إلى دار الحديث الأشرفية . وطلب حضوره ، وأرسل إليه  
فلم يحضر .

وأرسل إليه في الجواب : إن العقائد ليس أمرها إليك ، وإن  
السلطان إنما ولاك لتحكم بين الناس ، وإن إنكار المنكرات ليس مما  
يختص به القاضي .

فوصلت إليه هذه الرسالة فأغروا خاطره ، وشوشوا قلبه ، وقالوا :

لم يحضر . ورد عليك

والباشا المذكور : هو المرحوم محمد رشدي الشرواني . والطالب  
الشيخ عبدالسلام الشطبي . زاده الله توفيقاً وإيماناً . اهـ هكذا وجدت  
منقولاً على الحاشية

فأمر بالنداء على بطلان عقيدته في البلدة  
 فأجاب إلى ذلك . فنودي في بعض البلد  
 ثم بادر سيف الدين جاغان ، وأرسل طائفة . فضرب المنادي وجماعة  
 ممن حوله ، وأخرق بهم . فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة  
 ثم طلب سيف الدين جاغان مَنْ قام في ذلك وسعى فيه ، فدارت  
 الرسل والأعوان عليهم في البلد ، قاخنفوا ، واحتتمى مُقَدَّمهم ببدر الدين  
 الأتابكي ، ودخل عليه في داره . وسأل منه أن يجيره من ذلك . فترقق  
 في أمره ، إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان  
 ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر . وكان  
 تفسيره في قوله تعالى ( وَإِنَّكَ أَعْلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ <sup>(١)</sup> ) وذكر الحلم ، وما  
 ينبغي استعماله

وكان ميعاداً جليلاً

ثم إنه اجتمع بالقاضي إمام الدين الشافعي ، وواعده لقراءة جزئه  
 الذي أجاب فيه . وهو المعروف : بالحملوية .

فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر ، من بكرة النهار إلى نحو  
 الثلث من ليلة الأحد ، ميعاداً طويلاً مستمرا . وقرئت فيه جميع العقيدة  
 وبين مراده من مواضع أشكلت . ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم .

(١) سورة ن والقلم آية (٤)

ولا ممن حضر المجلس ، بحيث انفصل عنهم ، والقاضى يقول : كل من تكلم فى الشيخ يُعزَّر . . وانفصل عنهم عن طيبة .

وخرج والناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره .

فوصل إلى داره فى ملاّ كثير من الناس ، وعندهم استبشار وسرور به . وهو فى ذلك كله ثابت الجأش ، قوى القلب ، واثق بالنصر الالهى لا يلتفت إلى نصر مخلوق ، ولا يُعوّل عليه

وكان سعيهم فى حقه أتمّ السعي ، لم يبقوا ممكنا من الاجتماع بمن يرتجون منه أدنى نصر لهم ، وتكلموا فى حقه بأنواع الاذى ، وبأمور يستحى الانسان من الله سبحانه أن يحكيها ، فضلا عن أن يَحْتَلِقها ، ويُلَفِّقها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

والذين سمعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد ، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع . وكذلك مَنْ ساعدهم بقول ، أو شنيع ، أو إغراء أو إرسال رسالة ، أو إفتاء ، أو شهادة ، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به ، أو شتم ، أو غيبة ، أو تشويش باطن . فانه وقع من ذلك شىء كثير من جماعة كثيرة

ورأى جماعة من الصالحين والاّخيار فى هذه الواقعة وعقبيها للشيخ مرأى حسنة جميلة ، لو ضبطت كانت مجلدا تاما . انتهى ما ذكره



## [ إحصار الشيخ بمجلس نائب السلطنة ]

### [ ومناقشته في العقيدة ]

ثم بعد هذه الواقعة بمدة كثيرة - وذلك يوم الاثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة - طلب القضاة والفقهاء ، وطلب الشيخ تقي الدين إلى القصر ، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم . فاجتمعوا عنده . وسأل الشيخ تقي الدين وحده عن عقيدته

وقال له : هذا المجلس عقد لك ، وقد ورد مرسوم السلطان : أن أسالك عن اعتقادك

فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية . وقال : هذه كتبتها من نحو سبع سنين ، قبل مجيء التتار إلى الشام . فقرئت في المجلس ، وبحث فيها ، وبقي مواضع أخرت إلى مجلس آخر .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور . وحضر المخالفون ، ومعهم الشيخ صفي الدين الهندي ، واتفقوا على أنه يتولى المناظرة مع الشيخ تقي الدين . فتكلم معه .

ثم إنهم رجعوا عنه ، واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزملي كافي .  
فناظر الشيخ وبحث معه . وطال الكلام ، وخرجوا من هناك والأمر  
قد انفصل .

وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعز به أهل السنة .

وانصرف الشيخ تقي الدين إلى منزله .

واختلفت نقول الخالفين للمجلس ، وحرّفوه ، ووضعوا مقالة الشيخ  
على غير موضعها ، وشنع ابن الوكيل وأصحابه بأن الشيخ قد رجع عن  
عقيدته ، فآله المستعان

واسى حمل نائب السلطنة على هذا الفعل : ككتاب ورد عليه من

مصر في هذا المعنى

وكان القائم في ذلك بمصر : القاضي ابن مخلوف المالكي . والشيخ

نصر المنيجي والقروي ، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير

ثم بعد ذلك عزّر بعض القضاة بدمشق شخصاً يلوذ بالشيخ تقي  
الدين ، وطلب جماعة ، ثم أطلقوا ، ووقع هرج في البلد . وكان الأمير  
نائب السلطنة قد خرج للصيد وعاب نحو جمعة ثم حضر .

وكان الحافظ جمال الدين المزي يقرأ صحيح البخاري ، لأجل  
الاستسقاء . فقرأ يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب في أثناء ذلك  
فضلاً في الرد على الجهمية ، وأن الله فوق العرش ، من كتاب أفعال

العباد ، تأليف البخارى ، تحت الدر

فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا : نحن المقصودون  
بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضى القضاة الشافعى  
فطلبه ورسم بحبسه .

فبلغ ذلك الشيخ تقى الدين ، فتألم له ، وأخرجه من الحبس بيده  
وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء . وتخاصم هو والقاصى هناك . وأثنى  
على الشيخ جمال الدين . وغضب القاضى . وانزعج  
وقال : أين لم يردّ إلى حبسى عزلت نفسى . فأرضاه ملك الأمراء  
أن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه . فاعتقله بالقوصية أياماً .

وذكر الشيخ تقى الدين للنائب ما وقع فى غيبته فى حق بعض  
أصحابه من الأذى . فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل . وأمر  
فتمودى فى البلد : إنه من تكلم فى العقائد حل دمه وماله ، ونهب داره  
وحانوته . وقصد بذلك تسكين الفتن والشر .

وفى يوم الثلاثاء سابع شعبان عقد للشيخ تقى الدين مجلس ثالث بالقصر  
ورضى الجماعة بالعميدة

وفى هذا اليوم عزل قاضى القضاة نجم الدين بن صفورى نفسه عن  
الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزملى كافى لأحب حكايته

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان ورد كتاب السلطان إلى  
القاضي باعادته إلى الحكم . وفيه :

إنا كنّا رسمنا بعقد مجلس للشيوخ تقى الدين . وقد بلغنا ما عقده  
من المجالس ، وأنه على مذهب السلف . وما قصدنا بذلك إلا براءة ساحته

\*\*\*

### [ ملخص ما حصل للشيخ في تلك المجالس ]

وقد ذكر الشيخ رحمه الله صورة ما جرى في هذه المجالس ملخصاً  
وعلق في ذلك شيئاً مختصراً فقال :

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ولا ظهير ولا معين . وأشهد أن  
محمد عبده ورسوله الذي أرسله إلى الخلق أجمعين . صلى الله عليه وعلى  
آله وسلم وعلى سائر عباد الله الصالحين .

أما بعد . فقد سئلتُ غير مرة ، أن أكتب ما حصرني ذكره  
مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة ، في أمر الاعتقاد بمقتضى  
ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد الماسعى  
إليه قوم من الجهمية ، والاتحادية ، والرافضة ، وغيرهم : من ذوى

الاحفاد . فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة : قضاة المذاهب الأربعة ، وغيرهم من نوابهم والمفتين . والمشايخ : ممن له حرمة وبه اعتداد . وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد . وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعائة .

فقال لي : هذا المجلس عقد لك . فقد ورد مرسوم السلطان : أن أسألك عن اعتقادك ، وعمّا كتبت به إلى الديار المصرية ، من الكتب التي تدعو بها الناس إلى الاعتقاد

وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء وتباحثون في ذلك فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ، ولا عن هو أكبر مني ، لا يؤخذ عن الله ورسوله . وما أجمع عليه سلف الأمة . فما كان في القرآن ومنبأ اعتقاده . وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، مثل صحيح بخاري ومسلم .

وأما الكتب ، فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداء أدعوه به إلى شيء من ذلك . والكنني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم .

وكان قد بلغني أنه زور عليّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير استاذ دار السلطان ، يتضمن ذكر عقيدة محرّفة . ولم أعلم بحقيقته . لكن علمت أن هذا مكذوب . وكان يردُّ عليّ من مصر وغيرها من يسألني

مسائل في الاعتقاد أو غيره ، فأجيبه بالكتاب والسنة . وما كان عليه  
سلف الأمة

فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك .

فقلت : اكتبوا .

فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب

وكتبت له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات ، والقدر ، ومسائل

الايمان ، والوعيد ، والإمامة . والتفضيل

وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة : الايمان بما وصف الله به نفسه ،

وبما وصفه به رسوله . من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا

تمثيل . وأن القرآن كلام الله ، غير مخلوق . منه بدأ وإليه يعود .

والإيمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها . وأنه ما

شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . وأنه أمر بالطاعة ورضيها وأحبها .

ونهى عن المعصية وكرها . والعبد فاعل حقيقة . والله خالق فعله . وأن

الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص . وأن لا نكفر أحداً من أهل

القبلة بالذنوب . ولا نخلد في النار من أهل الايمان أحداً ، وأن الخلفاء

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي



رضى الله عنهم . وأن مرتبتهم في الفضل كمرتبتهم في الخلافة . ومن  
قدم عليا على عثمان . فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .  
وذكرت هذا ونحوه . فاني الآن قد بعد عهدي . ولم أحفظ لفظ  
أمليته إذ ذاك .

ثم قلت للأمر والحاضرين : أنا أعلم أن أقواما يكذبون عليّ ، كما  
قد كذبوا عليّ غير مرة . وإن أملت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون :  
كنتم بعضه ، أو داهن ودأري . فإنا أحضّر عقيدة مكتوبة من نحو سبع  
سنين ، قبل مجيء التتر إلى الشام

قلت ، قبل حضورها كلاما قد بعد عهدي به . وغضبت غضباً  
شديداً ، لكنني أذكر أنني قلت :

أنا أعلم أن أقوماً كذبوا عليّ . وقالوا للسلطان أشياء . وتكلمت  
بكلام احتجت إليه . مثل أن قلت :

من قام بالإسلام في أوقات الحاجة غيري ؟ ومن الذي أوضح  
دوائله ، وبيّنه ، وجاهد أعداءه ، وأقامه لما مال ، حين تخلى عنه كل  
أحد ، فلا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ، وقت مظها  
لحجته ، مجاهداً عنه ، مرغبا فيه ؟

فاذا كان هؤلاء يطعمون في الكلام فيّ ، فكيف يصنعون بغيري ؟

ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه أن ينصفه  
وأنا قد أعفو عن حقى ، وقد لأعفو . بل قد أطلب الانصاف منه .  
وأن يُحضِر هؤلاء الذين يكذبون ليحقيقوا على اقترائهم  
وقلت كلاماً أطول من هذا ، من هذا الجنس . لكن بعد  
عهدي به .

فأشار الأمير إلى كاتب الدَّرَج : محي الدين ، أن يكتب ذلك .  
وقلت أيضاً : كل من خالفنى فى شىء مما كتبتة فأنا أعلم  
بمذهبه منه

وما أدرى ، هل قلت هذا قبل حضورها ، أو بعدها ؟  
لكننى قلت أيضاً : بعد حضورها وقراءتها : ماذا كرت فيها فصلاً  
إلا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة . وكل جملة فيها خلاف لطائفة  
من الطوائف .

ثم أرسلت من أحضرها ، ومعها كرارىس بخطى من المنزل .  
فحضرت العقيدة الواسطية .

وقلت لهم : هذه كان سبب كتابتها : أنه قدم من أرض واسط  
بعض قضاة نواحيها : شيخ يقال له رضى الدين الواسطى . قدم علينا  
حاجباً . وكان من أهل الخير والدين . وشكنا ما الناس فيه بتلك البلاد

وفي دولة التتر من غلبة الجبل والظلم ، ودروس الدين والعلم . وسألتني أن  
أكتب له عقيدة تكون عمدة له ، ولأهل بيته

فاستعفيت من ذلك . وقلت : قد كتب الناس عقائد متعددة

نخذ بعض عقائد أئمة السنة

فألح في السؤال . وقال : ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت .

فكتبت له هذه العقيدة . وأنا قاعد بعد العصر

وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرها

فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا — لرفع الريبة — وأعطاه الكاتبه

الشيخ كمال الدين

فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا ، والجماعة الحاضرون يسمعونها .

ويورد المورد منهم ما شاء . ويعارض فيما شاء . والأمير أيضا : يسأل

عن مواضع فيها

وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف

والهوى : ما قد علم الناس بعضه . وبعضه سبب الاعتقاد ، وبعضه

بغير ذلك .

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس .

فانه كثير لا يفيض

لكن أكتب ملخص ما حضرني من ذلك مع بعد العهد بذلك

ومع أنه كان يجرى رفع أصوات وَلَعَطٍ لا يَنْضِبُ . فكان مما  
اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها « ومن الإيمان بالله : الإيمان  
بما وصف به نفسه . ووصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : من  
غير تحريف ولا تعطيل . ولا تكيف ولا تمثيل »

فقال : ما المراد بالتحريف والتعطيل ؟

ومقصوده : أن هذا ينفي التأويل الذي يثبتته أهل التأويل ، الذي  
هو صرف اللفظ عن ظاهره ، إما وجوبا وإما جوازا .  
فقلت : تحريفُ الكلام عن موضعه ، كما ذمه الله في كتابه ، وهو  
إزالة اللفظ عما دلَّ عليه من المعنى . مثل تأويل بعض الجهمية لقوله  
تعالى ( وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ) أى جرّحه بأظاير الحكمة تجريحا  
ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم : من الجهمية والرافضة  
والقدرية ، وغيرهم . فسكت ، وفي نفسه ما فيها .

وذكرت في غير هذا المجلس : أنى عدات عن لفظ « التأويل »  
إلى لفظ « التحريف » لأن التحريف اسم جاء القرآن بدمه . وأنا تحريّتُ  
في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة . فنفيتُ ماذمهُ الله من التحريف ،  
ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفى ولا إثبات . لأنه لفظ له عدة معانٍ ،  
كما بينته في موضعه من القواعد<sup>(١)</sup> فان معنى لفظ « التأويل »

(١) قواعد التفسير لشيخ الاسلام ابن تيمية طبعته بالشام

في كتاب الله غير معنى لفظ « التأويل » في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه ، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف <sup>(١)</sup> . ولأن من المعاني التي قد تسمى تأويلا : ما هو

(١) قال العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله في مختصر الصواعق المرسلة في بيان حقيقة التأويل :

هو تفعيل من آل يؤول إلى كذا ، إذا صار إليه . فالتأويل : التصيير وأولته تأويلا : إذا صيرته إليه . وتأول هو مطاوع أولته . وقال الجوهرى : التأويل : تفسير ما يؤول إليه الشيء . ثم تسمى العاقبة تأويلا . لأن الأمر يصير إليها . قال الله تعالى ( فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلا ) ، وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا . لأن الأمر ينتهى إليها . ومنه قوله تعالى ( هل ينظرون إلا التأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ) فجاء تأويله : بجىء . نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد والجنة والنار . ويسمى تعبير الرؤيا تأويلا بالاعتبار بن . وتسمى العلة الغائية والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلا . لأنها بان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذى لم يعرف الرأى غرضه منه . ومنه قول الخضر لموسى ( سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ) فالتأويل المراد منه في كتاب الله : حقيقة المعنى الذى يؤول اللفظ إليه . وهى الحقيقة الموجودة في الخارج . وتأويل الوعد والوعيد : هو نفس الموعد والمتوعد به . وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله : هو نفس



صحيح منقول عن بعض السلف . فلم أنف ما تقوم الحجة على صحته  
إذ ما قامت الحجة على صحته ، وهو منقول عن السلف ، فليس من التحريف  
وقلت له أيضا : ذكرت في النفي « التمثيل » ولم أذكر « التشبيه »

ما هو سبحانه موصوف به من الصفات : وتأويل الأمر : هو نفس  
الأفعال المأمور بها . قالت عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . يتأول القرآن »  
فهذا التأويل هو فعل المأمور به . هذا التأويل في كلام الله ورسوله . وأما  
في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث : فمرادهم به معنى  
التفسير والبيان . ومنه قول ابن جرير وغيره : القول في تأويل قوله تعالى  
كذا وكذا . ومنه قول الامام أحمد في الرد على الجهمية فيما تأولوه من  
القرآن على غير تأويله . فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها . وهو تفسير  
مرادهم بها ، وهو تأويلها عنده . فهذا التأويل يرجع الى فهم المؤمن ويحصل  
في الذهن . والاول يعود إلى وقوع حقيقته في الخارج . وأما المعتزلة  
والجهمية وغيرهم من المتكلمين فمرادهم بالتأويل : صرف اللفظ عن ظاهره  
وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من الأصوليين والفقهاء . ولذلك  
يقولون : التأويل على خلاف الأصل . والتأويل يحتاج إلى دليل . وهذا  
التأويل هو الذي صنفوا في تسويغه وإبطاله من الجانبين . فمن صنف  
في إبطاله على رأى المتكلمين : القاضي أبو يعلى والشيخ موفق الدين  
ابن قدامة . وقد حكى غير واحد اجماع السلف على عدم القول به - إلى  
أن قال -- : وبالجمله فالتأويل الذي يوافق ما دلث عليه النصوص وجاءت  
به السنة : هو التأويل الصحيح . وغيره هو الفاسد . ثم ذكر أنواع  
التأويل الباطل في كلام نفيس . فارجع اليه .



لأن « التمثيل » نفاه الله بنص كتابه حيث قال ( أَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ )  
وقال ( هَلْ تَعْلَمُ لَهُ مِثْمِيًّا ) فكان أحب إلى من لفظه ليس في كتاب  
الله ، ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن كان قد يُعنى  
بنفيه معنى صحيح ، كما قد يعنى به معنى فاسد

ولما ذكرت « أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يُحرِّفون  
الكلم عن مواضعه ، ولا يُأحدون في أسماء الله وآياته » .  
جعل بعض الحاضرين يَمْتَعِزُ من ذلك ، لاستِشعاره ما في ذلك  
من الرد لما هو عليه ، ولكن لم يتوجه له ما يقوله .

وأراد أن بدور على بالأُسئلة التي أعلمها ، فلم يتمكن اعلمه بالجواب  
ولما ذكرت آية الكرسي ، أظن سأل الأمير عن قولنا « لا يَقْرَبُهُ  
شيطان حتى يُصبح » .

فذكرت له حديث أبي هريرة رضى الله عنه في الذي كان يسرق  
صدقة الفطر . وذكرت أن البخاري رواه في صحيحه (١)

---

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال « وكلني رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان : فأتاني آت ، فجعل يحثو من الطعام .  
فأخذته . فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إني  
محتاج وعلى دين وعيال وفي حاجة شديدة . فخليت عنه . فأصبحت .  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم . يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟

وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويُطَنَّبون في هذا  
ويُعَرَّضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك

فقلت : قولي « من غير تسكييف ، ولا تمثيل » ينفي كل باطل  
وإنما أخذت هذين الاسمين . لأن « التسكييف » مأثور نفيه عن  
السلف . كما قال ربيعة ، ومالك ، وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها  
العلماء بالقبول « الاستواء معلوم ، والتكليف مجهول ، والايمانُ  
به واجب ، والسؤال عنه بدعة »

فاتفق هؤلاء السلف على أن التكليف غير معلوم لنا . فنفيتم ذلك ،

قال قلت : يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالا . فرحمته نخلت سبيله . قال :  
أما انه قد كذبتك وسيعود . فعرفت أنه سيعود . لقول رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : انه سيعود ، فرصدته . فجاء يحثو من الطعام - وذكر الحديث  
إلى أن قال : فأخذته يعني في الثالثة . فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم . وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود .  
قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : ما هن ؟ قاله : إذا أويت  
إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ) حتى تختتم  
الآية . فانك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح :  
نخلت سبيله . فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فعل  
أسيرك البارحة ؟ قلت : زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها نخلت سبيله .  
قال ما هي : قال لي إذا أويت إلى فراشك - الحديث - إلى أن قال صلى الله  
عليه وسلم : صدقك وهو كذوب »

اتباعاً لسلف الأمة ، وهو أيضاً منفيٌ بالنص . فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته . وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله . كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل . والمعنى . والفرق بين علمنا بمعنى الكلام . وبين علمنا بتأويله .

وكذلك « التمثيل » ينفي بالنص والاجماع القديم ، مع دلالة العقل على نفيه . ونفي التكييف . إذ كُنْهُ الباري تعالى غير معلوم للبشر . وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف . وهو : « إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، مع نفي الكيفية ، والتشبيه عنها ، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يُحْتَدَى فيه حذوه ، وَيُتَّبَعُ فيه مثاله . فاذا كان إثبات الذات إثبات وجود ، لا إثبات تكييف . فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف »

فقال أحد كبراء المخالفين : فحينئذ يجوز أن يقال : هو جسم ، لا كالأجسام ؟ .

فقلت له ، أنا وبعض الفضلاء الحاضرين : إنما قيل : إنه يوصف الله بما يوصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم . وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم ، حتى يلزم هذا السؤال . وأخذ بعض القضاة الحاضرين والمعروفين بالديانة يريد إظهار أن

ينفى عنا ما يقوله ، فجعل يزيد في المبالغة في نفى التشبيه والتجسيم .  
فقلت : فد ذكر فيها في غير موضع « من غير تحريف ، ولا تعطيل .  
ومن غير تكييف ولا تمثيل »

وقلت في صدرها : « ومن الإيمان بالله : الإيمان بما وصف الله  
به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، من  
غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل »  
ثم قات : « وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي  
تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك »

إلى أن قلت : « إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التي يخبر فيها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يخبر به . فان الفرقة الناجية أهل السنة  
والجماعة يؤمنون بذلك ، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه ، من غير  
تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق  
الأمة . كما أن الأمة هي الوسط في الأمم . فهم وسط في باب صفات  
الله بين أهل التعطيل الجهمية ، وأهل التشيل المشبهة » .

ولما رأى هذا الحاكم العدل تماثلهم وتعصّبهم . ورأى قلة المعاون  
منهم والناصر ، وخافهم قال : أنت قد صنفت اعتقاد الإمام أحمد  
فنقول : هذا اعتقاد أحمد ؟

يعنى والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه . فان هذا  
مذهب متبوع .

وغرضه بذلك : قطع مخاصمة الخصوم .

فقلت : ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ، ليس للامام  
أحمد اختصاص بهذا . والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذى جاء به  
النبي صلى الله عليه وسلم . ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يحى به  
الرسول صلى الله عليه وسلم لم تقبله . وهذه عقيدة محمد صلى الله عليه  
وسلم .

وقلت مرات : قد أمهلت كل من خافنى فى شىء منها ثلاث  
سنين . فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة التى أتى عليها  
النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « خير القرون القرن الذى  
بعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم <sup>(١)</sup> » يخالف ما ذكرته  
فأنا أرجع عن ذلك . وعلى أن آتى بنقول جميع الطوائف من القرون  
الثلاثة توافق ما ذكرته : من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنبلية  
والأشعرية ، والصوفية ، وأهل الحديث ، وغيرهم .

(١) رواه الامام احمد والبخارى ومسلم والترمذى عن ابن مسعود بلفظ  
« خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم . ثم الذين يلونهم . ثم يحى اقوام  
تسقى شهادة احدهم يمينه . ويمينه شهادة »



وَقُلْتُ أَيْضًا ، فِي غَيْرِ هَذَا الْجُلُوسِ : الْأَمَامُ أَحْمَدُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،  
لَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ السَّنَةِ وَنُصُوصِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ  
مِمَّا انْتَهَى إِلَى غَيْرِهِ ، وَابْتُلِيَ بِالْحِنَةِ وَالرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ أَكْثَرَ  
مِنْ غَيْرِهِ كَانَ كَلَامُهُ وَعَمَلُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ . فَصَارَ إِمَامًا  
فِي السَّنَةِ أَظْهَرَ مِنْ غَيْرِهِ . وَإِلَّا فَالْأَمْرُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُ شَيْوخِ الْمَغَارِبَةِ الْعُلَمَاءِ  
الصُّلَحَاءِ ، قَالَ : الْمَذْهَبُ لِمَالِكٍ وَالشَّافِعِيُّ ، وَالظُّهْرِيُّ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ  
يَعْنِي أَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ  
لِبَعْضِهِمْ مِنْ زِيَادَةِ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ ، وَإِظْهَارِ الْحَقِّ ، وَدَفْعِ الْبَاطِلِ  
مَا لَيْسَ لِبَعْضٍ

وَلَمَّا جَاءَ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ ،  
وَسَعْدَيْكَ . فَيُنَادِي بِصَوْتٍ : إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَبْعَثَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ  
الْحَدِيثُ » (١) .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجِّ فِي بَابِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَتَرَى  
النَّاسَ سَكَرَى) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا آدَمُ . فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ . فَيُنَادِي  
بِصَوْتٍ . إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ . قَالَ : يَا رَبِّ ،  
وَمَا بَعَثَ النَّارَ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ - أَرَاهُ قَالَ : تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ -  
فَيَنْتَظِرُ تَضَعُ الْحَوَامِلُ حَمْلَهَا . وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ . وَتَرَى النَّاسَ سَكَرَى وَمَاهٍ



سألهم الأمير : هل هذا الحديث صحيح ؟

فقلت : نعم ، هو في الصحيحين . ولم يخالفوا في ذلك . واحتاج

المنازع إلى الإقرار به

وطلب الأمير الكلام في مسألة الحرف والصوت . لأن ذلك

طلب منه

فقلت : هذا الذي يَحْكِيهِ كثير من الناس عن الإمام أحمد

وأصحابه : أن صوت القارئين ومِدَادَ المصاحف : قديم أزلي — : كذب

مُفْتَرًى . لم يقل ذلك أحمد ، ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كُرَّاساً كان قد أُخْضِرَ مع العقيدة . وفيه ما ذكره

---

إسكاري ولكن عذاب الله شديد . فشق ذلك على الناس ، حتى تغيرت وجوههم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يأجوج ومأجوج : تسعمائة وتسعة

و تسعين ، ومنهم واحد ، ثم أتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور

الأيض . أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن

تكونوا ربع أهل الجنة . فكبرنا ، ثم قال : ثلث أهل الجنة . فكبرنا

ثم قال : شطر أهل الجنة فكبرنا » ورواه البخاري أيضا في الرقاق في باب

إن زلزلة الساعة شيء عظيم

الشيخ أبو بكر الخلال في كتاب السُّنة عن الإمام أحمد<sup>(١)</sup> . وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد ، وكلام أئمة زمانه في : « أن من قال : لفظي بالقرآن مخلوق . فهو جهمي . ومن قال . غير مخلوق . فهو مبتدع »

قلت : فكيف بمن يقول لفظي قديم ؟ فكيف بمن يقول : صوتي غير مخلوق ؟ فكيف بمن يقول : صوتي قديم ؟  
وأحضرت جواب مسألة كنت سئلت قديما عنها . فيمن حلف بالطلاق في مسأله الحرف والصوت ، ومسألة الظاهر في العرش<sup>(٢)</sup> وقلت :  
هذا جوابي

---

(١) كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد طبعه جلالة الملك الصالح السلفي عبد العزيز آل سعود في مكة المكرمة . وجعله وقفاً لوجه الله .  
نشر المذهب السلفي وخدمة للدين ، كما طبع غيره من الكتب النفيسة ،  
بجزاه الله خير الجزاء

(٢) في كتاب التسعينية المطبوع في الجزء الخامس من الفتاوى (ص ١٢٣) وقلت في جواب الفتيا الدمشقية . وقد سئلت فيها عن رجل حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت وأن الرحمن على العرش استوى على ما يفيد ظاهره . ويفهمه الناس من ظاهره الخ .  
وكتاب التسعينية هذا فيه بسط لتلك الحوادث التي يحكيها الشيخ هنا ورد على المعترضين عليه من تسعين وجها . وهو كتاب قيم جداً

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة .  
من كان بعضهم حاضراً في المجلس . فما وصل إليهم الجواب أسكنهم .  
وكانوا قد ظنوا أني إن أجبت بما في ظنهم أن أهل السنة تقوله .  
حصل مقصودهم من الشناعة . وإن أجبت بما يقولونه هم . حصل  
مقصودهم من الموافقة .

فلم أجيبوا بالفرقان الذي عليه أهل السنة . وليس هو ما يقولونه  
، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة ، إذ يقول به بعض الجهال ؛ بهتوا لذلك  
وفيه : « إن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس القرآن إسما لمجرد  
الحروف ، ولا لمجرد المعاني »

ولما جاءت مسألة القرآن ، فقلت : « ومن الإيمان به : الإيمان بأن  
القرآن كلام الله غير مخلوق . منه بدأ وإليه يعود » . نازع بعضهم في  
إليه منه بدأ وإليه يعود . وطلبوا تفسير ذلك

فقلت : أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف ، مثل ما نقله  
ابن دينار قال : « أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون : الله الخالق  
والسواء مخلوق ، إلا القرآن ، فاه كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه  
يعود » وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي صلى الله عليه  
وسلم والصحابة والتابعين .

وأما معناه : فان قوله « منه بدأ » أى هو المتكلم به ، وهو الذى أنزله من لدنه ، ليس هو كما تقولوه الجهمية : إنه خلق فى الهواء أو غيره ، أو بدأ من عند غيره

وأما « إليه يعود » فانه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور ، فلا يبقى فى الصدور منه كلمة ، ولا فى المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين ، وسكت المنازعون .

وخطبت بعضهم فى غير هذا المجلس ، بأن أريته العقيدة التى جمعها الإمام القادر بالله ، التى فيها . « إن القرآن كلام الله . خرج منه » فتوقف فى هذا اللفظ

فقلت . هكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم « وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه <sup>(١)</sup> » يعنى القرآن

---

(١) روى الترمذى فى أبواب فضل القرآن قال : حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو الضر أخبرنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن ريد ابن أرطاة عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله لعبده فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما . وأن البرليذر على رأس العبد مادام فى صلاته . وما تقرب العباد إلى الله عز وجل بمثل ما خرج منه » قال أبو الضر : يعنى القرآن . هذا حديث غريب لانعرفه إلا من

وقال خُبَّاب بن الأَرْت « يَاهَنْتَاه . تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ

فَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ » ؟ !

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه — مَا قَرَأَ عَلَيْهِ قُرْآنٌ مُسَيِّمَةٌ

كَذَابٌ — فَقَالَ « إِنْ هَذَا كَلَامٌ يُخْرِجُ مِنْ إِلٍّ » يَعْنِي رَبٍّ .

ومما فيها : « وَمَنْ الْإِيمَانُ بِهِ : الْإِيمَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مَنْزِلٌ ، غَيْرُ

مُوقٍ ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ . وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً . وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

لَمْ يَنْزِلْهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةٌ . لَا كَلَامُ

بَشَرٍ . وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ ، بَلْ

لَا فَرَأَى النَّاسَ الْقُرْآنَ ، أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ ، لَمْ يُخْرِجْ بِذَلِكَ عَنْ

أَنَّهُ يَكُونُ كَلَامُ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُعَادَفُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدَأً ،

لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلَّغًا ، مُؤَدِّيًا »

فإنَّ بعضَ بعضهم من كونه إنبات كلام الله حقيقة . بعد تسليمه

أنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً . ثُمَّ إِنَّهُ سَلَّمَ ذَلِكَ لِمَا بُيِّنَ لَهُ أَنَّ الْجَزَاءَ بِصَحِّ

بِهِ ، وَهَذَا لَا يَصَحُّ نَفْيِهِ . وَلَمَّا بُيِّنَ لَهُ أَنَّ أَقْوَالَ الْمُتَقَدِّمِينَ الْمَأْثُورَةَ

هَذَا الْوَجْهَ . وَبَكَرِ بْنِ خَنْسٍ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَتَرَكَنِي آخِرُ أَمْرِهِ اهـ .

والحديث رده الإمام أحمد أيضا . وفي نسخة : بكر بن خنيس وليث بن

أبي سليم . وكلاهما مطعون فيه . وذَكَرَهُ فِي جَامِعِ الْفَوَائِدِ ، وَقَالَ « قَالَ

أَوْ النَّضَرُ : يَعْنِي الْقُرْآنَ ، مِنْهُ بَدَأَ الْأَمْرُ بِهِ وَإِلَيْهِ يَعُودُ الْحُكْمُ فِيهِ »

عنهم ، وشعر الشعراء المضاف إليهم ، هو كلامهم حقيقة . فلا يكون  
نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك .

ولما ذكر فيها : «أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً ،  
لا إلى من قاله سُبُلغاً مؤدياً» . استحسنا هذا الكلام وعظموه . وأخذ  
أحد كبراء الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام ، وأنه أزال عنه الشبهات ،  
ويذكر أشياء من هذا النمط .

ولما جاء ذكر ما ذكر من الايمان بأيوم الآخر ، وتفصيله ونظمه  
استحسنوا ذلك وعظموه

وكذلك لما جاء ذكر الايمان بالقَدَرِ ، وأنه على درجتين ، إلى غير  
ذلك مما فيه من القواعد الخالصة

وكذلك لما جاء الكلام في الفاسق المَلِيّ ، وفي الايمان

السكر اعترضوا على ذلك بما سأذكره

وكان مجموع ما اعترض به المنازعون المعاندون -- بعد انقضاء قراءته  
جميعها . والبحث فيها -- : أربعة أسئلة :

السؤال الأول : قولنا : «ومن أصول الفرقة الناجية : أن الايمان

والدين : قول ، وعمل ، يزيد وينقص . قول القلب واللسان .

وعمل القلب واللسان والجوارح .»



قالوا : إذا قيل : إن هذا من أصول الفرقة الناجية ، خرج عن  
الفرقة الناجية من لم يقل بذلك ، مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون :  
إن الإيمان هو التصديق ، ومن يقول : إن الإيمان هو التصديق والاقرار .  
وهذا لم يكونوا ناجين ، لزم أن يكونوا هالكين .

وأما الأسئلة الثلاثة ، وهي التي كانت عمدتهم ، فأوردوها على  
فيلسوفهم : «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله : الايمان بما أخبر الله به  
في كتابه . وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه سائر الأمة :  
أنه سبحانه فوق سمواته ، وأنه على عرشه ، على شيء خلقه . هو  
معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، كما جمع بين ذلك في قوله : ( هو  
على خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش  
هو ما يلدج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج  
فيها . وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير )<sup>(١)</sup>

«وليس معنى قوله ( وهو معكم ) أنه مختلط بالخلق . فإن هذا لا يوجب  
الله ، وهو خلاف ما أجمع عليه سائر الأمة وخلاف ما فطر الله عليه  
الحق ، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته . وهو موضوع في  
السماء . وهو مع المسافرين وغير المسافرين أينما كان . وهو سبحانه فوق

العرش ، رقيب على خلقه ، مُهَيَّمٌ عَلَيْهِمْ ، مُطَّلَعٌ عَلَيْهِمْ . إلى غير ذلك  
من معاني ربوبيته »

« وكل هذا الكلام الذي ذكره الله : من أنه فوق العرش ، وأنه  
معنا : حق على حقيقته . لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يُصان عن  
الظنون الكاذبة »

والسؤال الأول قال بعضهم : نُقِرَّ بِاللَّفْظِ الْوَارِدِ ، مِثْلَ حَدِيثِ  
الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . حَدِيثِ الْأُمِّ عَالٍ <sup>(١)</sup> « وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ »

---

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي : بَابِ فِي الْجَهَنَّمَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّازُ  
حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي تَوْرٍ عَنْ سَمَّاكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ الْأَحْنَفِ  
ابْنِ قَيْسٍ عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَالَ « كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عَصَا  
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا . فَقَالَ :  
مَا تَسْمُونَ هَذِهِ ؟ قَالُوا : السَّحَابُ قَالَ : وَالْمَازِنُ قَالُوا وَالْمَازِنُ . قَالَ : وَالْعَنَارُ  
قَالُوا : وَالْعَنَانُ قَالَ أَبُو دَاوُدَ : لَمْ أَقْرَأِ الْعَنَانَ جِيداً . قَالَ : هَلْ تَدْرُونَ مَا بَعْدَ  
مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ قَالُوا : لَا نَدْرِي . قَالَ : إِنْ بَعْدَ مَا بَيْنَهُمَا ، إِمَّا  
وَاحِدَةٌ ، أَوْ اثْنَتَانِ ، أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً . ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كُنْثَاكَ . حَتَّى  
عَدَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ . ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ سَقْفِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ  
إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ . أَوْ عَالٌ ، بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكْبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ  
سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ . ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ

ولا نقول : فوق السموات ، ولا نقول : على العرش  
 وقالوا أيضاً : نقول (الرحمن على العرش استوى) ولا نقول : الله على  
 العرش استوى . ولا نقول : مستور .  
 وأعادوا هذا المعنى مراراً - أي إن اللفظ الذي ورد ، يقال اللفظ بعينه ،  
 ولا يبدل بلفظ يرادفه ، ولا يفهم له معنى أصلاً . ولا يقال : إنه يدل  
 على صفة لله أصلاً .  
 وأنبسط الكلام في هذا المجلس الثاني ، كما سنذكره إن شاء  
 الله تعالى .

والسؤال الثاني : قالوا : التشبيه بالقمر : فيه تشبيه كون الله في السماء  
 بكون القمر في السماء .

السؤال الثالث : قالوا : قولك : « حق على حقيقته » الحقيقة هي المعنى  
 لغوى . ولا يفهم من الحقيقة إلا استواء الأجسام وفوقيتها . ولم تضع  
 العرب ذلك إلا لها ، فإثبات الحقيقة : هو محض التجسيم ، ونفى التجسيم  
 مع هذا تناقض ، أو مصانعة ؟

والسماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك « ثم رواه أبو داود من طريقين  
 آخرين . وقال المنذرى : وأخرجه الترمذى وابن ماجه . وقال  
 الترمذى : حسن غريب . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك  
 بن قرقه اهـ

قال في عون المعبود : وفي إسناد الوليد بن أبي ثور ، لا يحتاج بحديثه .



ه لا يحب أن يدخل فيها السؤال . التائب . وذو الحسنات الماحية ، والمغفورة  
وبغير ذلك . فهذا أولى . بل موجب هذا الكلام : أن من اعتقد ذلك  
نحو في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يَكُون ناجيا . وقد لا يكون  
ناجيا . كما قال « من حسنت نجا » <sup>(١)</sup>

وأما السؤال الثاني : فأجبتهم . أولا : بأن كل لفظ قلته . فهو مأثور  
عن النبي صلى الله عليه وسلم . مثل لفظ « فوق السموات » ولفظ « على  
العرش » و « فوق العرش » .

وقلت : اكتبوا الجواب . فأخذ السكاب في كتابته .  
ثم قل بعض الجماعة : قد طال ائجلس اليوم . فيؤخر هذا إلى مجلس آخر  
فتمكتبون أنتم الجواب . وتحضرونه في ذلك ائجلس .  
بأشار بعض الموافقين : بأن ينسخ الكلام بكتابة الجواب . مثلا  
بشتر استئنههم واعتراضهم .

وكان الخصوم كان لهم غرض في تأخير كتابة الجواب . ليساعدوا  
لأنفسهم . ويطلبوا . ويحضر من غلب من أصحابهم . ويأملوا  
العتيدة فيما بينهم ، ليتمكنوا من الطعن والاعتراض .

(١) رواه الامام احمد والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ورمز له السيوطي في الجامع بعلامة الضعيف

فحصل الاتفاق على أن يكون تمام الكلام يوم الجمعة .  
وقمنا على ذلك .

وقد أظهر الله من قيام الحجة وبيان الحججة ما أعزَّ الله به السنة  
والجماعة ، وأرغم به أهل البدعة والضلالة ، ، وفي نفوس كثير من الناس  
أمور لما يحدث في المجلس الثاني .

وأخذوا في تلك الأيام يتأملونها ، ويتأملون ما أجيب به في مسائل  
تتعلق بالاعتقاد . مثل المسئلة الجووية في الاستواء والصفات الخبرية  
وغيرها .

## فصل

فلم كان في المجلس الثاني ، يوم الجمعة ، بعد الصلاة ، ثانی عشر  
رجب — وقد أحضروا أكبر شيوخهم<sup>(١)</sup> ممن لم يكن حاضراً ذلك اليوم —  
وبحثوا فيما بينهم ، واتفقوا وتواطأوا ، وحضروا بقوة واستعداد ، غير  
ما كانوا عليه . لأن المجلس الأول أتاهاهم بغتة ، وإن كان أيضاً بغتة  
للمخاطب الذي هو المسئول والجيب والمناظر .

---

(١) بهامش الاصل : أظنه الصفي الهندي . كذا في المنقول عنه .



فلما اجتمعنا — وقد أحضرت ما كتبت من الجواب على أسئلتهم المتقدمة التي طلب تأخيرها إلى هذا اليوم — حمدت الله بخطبة الحاجة ، خطبة ابن مسعود رضي الله عنه <sup>(١)</sup> .

ثم قلت : إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف ، ونهانا عن الفرقة والاختلاف ، وقال نافي التمرن ( واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ) <sup>(٢)</sup> وقال ( إن الذين فَرَّقُوا دينهم وكانوا شيعا ست منهم في شيء ) <sup>(٣)</sup> وقال ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ) <sup>(٤)</sup> .  
 وربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تختلف .  
 التفرق والاختلاف . وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين . وهو منفق عليه بين السلف . فان وافق الجماعة فالحمد لله ، وإلا فمن خافني بعد ذلك .  
 كشفت له الأسرار . وهتكت الأستار ، وبيّنت لمذاهب الفاسدة ، التي أفست المال والدول . وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه

(١) رواه الترمذي عن ابن مسعود قال « علمنا النبي صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة ، والتشهد في الحاجة . وذكر تشهد الصلاة والتشهد في الحاجة : إن الحمد لله ونستعينه ونستعينه ونستعينه ونستعينه . والله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ... الخ » . رواه الترمذي . حسن صحيح .

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٣)

(٣) سورة الانعام آية (١٥٩)

(٤) سورة آل عمران آية (١٠٥)

من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس . فان للسلام كلاما ، وللحرب كلاما .  
وقلت : لا شك أن الناس يتنازعون ، فيقول هذا : أنا حنبلي  
ويقول هذا : أنا أشعري . ويجرى بينهم تفرق واختلاف ، على أمور  
لا يعرفون حقيقتها

وأنا قد أحضرت ما بين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت  
كتاب تبين كذب المفترى فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري .  
تأليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر .  
وقلت : لم يصنف في أخبار الأشعري الحمودة كتاب مثل هذا .  
وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتاب الإبانة

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة ، سأل الأمير عن معنى المعتزلة ؟  
فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملقى .  
وهو أول اختلاف حدث في الأمة ، هل هو كافر ، أو مؤمن ؟ فقاتل  
الخوارج : إنه كافر . وقالت الجماعة : إنه مؤمن .

فقات طائفة : نقول : هو فاسق ، لا كافر ، ولا مؤمن . نُنْزِلُهُ  
منزلة بين منزلتين ، وَخَلَدُوهُ فِي النَّارِ ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري  
وأصحابه ، فسَمُّوْا معتزلة

فقال الشيخ الكبير ، بحبه ورد<sup>(١)</sup> : ليس كما قات ، ولكن

---

(١) كذا في الأصل ولعله : بجلبة ورد

أول مسألة اختلف فيها المسلمون : مسألة الكلام ، وُسِّمى المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها : عمرو بن عبَّيد ، ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل .

هكذا قال : وذكر نحواً من هذا .

فغضبت عليه ، وقلت : أخطأت . وهذا كذب مخالف للاجماع . وقلت له : لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ، ولا أصبت في الجواب .

ثم قلت : الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون ، وبعدها في أواخر المائة الثانية . وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير ، في زمن عمرو بن عبَّيد بعد موت الحسن البصري ، في أوائل المائة الثانية . ولم يكن أوئلك قد تكلموا في مسألة الكلام ، ولا تنازعوا فيها . وإنما أول دعوتهم : تكلمهم في مسائل الأحكام ، والأسماء ، والوعيد .

فقال : هذا ذكره الشهرستاني في كتاب الملل والنحل .

فقلت : الشهرستاني ذكر ذلك في اسم المتكلمين : لم يسموا متكلمين ، لم يذكره في اسم المعتزلة ، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة . وأنكر الحاضرون عليه .

وقال : غلطت

وقلت في ضمن كلامي : أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام

وأول من ابتدعها . وما كان سبب ابتداعها .

وأيضاً : فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين .

فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء : إنه متكلم . ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس يختلفوا في مسألة الكلام .

وقلت أنا وغيري : إنما هو واصل بن عطاء .

قلت : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد ، وإنما كان

قريبه .

وقد روى أن واصلًا تكلم مرة بكلام . فقال عمرو بن عبيد : لو

بعث نبي ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة ، حتى

قيل : أنه كان ألشع ، فكان يحترز عن الرء ، حتى قيل له : أمر الأمير

أن يحفر بئرٌ في قارة الطريق . فقال : أوعز القائد ، أن يقلب

قليب في الجادة

قال الشيخ المتقدم فيهم : لا ريب أن الإمام أحمد إمام

عظيم القدر ، ومن أكبر أئمة الاسلام ، لكن قد انتسب إليه أناس

ابتدعوا أشياء

فقلت : أما هذا فحق ، وليس هذا من خصائص أحمد ، بل ما من

إمام إلا وقد انتسب إليه أقوام ، هو منهم رىء . قد انتسب إلى مالك

أنس . مالك يرى . منهم . والنسب إلى الشافعي أنس . هو منهم يرى .  
 والنسب إلى أبي حنيفة أنس . هو يرى . منهم . وقد انتسب إلى  
 مذهب علي عليه السلام أنس هو يرى . منهم . وانتسب إلى عيسى عليه  
 السلام أنس ، هو يرى . منهم . وقد انتسب إلى علي بن أبي طالب  
 رضي الله عنه أنس ، هو يرى . منهم . وانيه صلى الله عليه وسلم قد  
 انتسب إليه من الفرامطة ، والمطنية وغيرهم ، من أصناف المأخدة  
 والمفتين من هو يرى . منهم .

ودكر في كلامه : أنه انتسب إلى أحمد أنس من الخشوية  
 والمشيبة . ونحو هذا الكلام .

قلت : المشيبة والمحسنة في غير أصحاب أحمد أكثر منهم فيهم ،  
 هؤلاء أصناف الأكراد . وكلهم شافعية ، وفيهم من التشبيه والتجسيم  
 لا يوجد في صنف آخر . وأهل جيلان . فيهم شافعية وحنبلية  
 قلت : وأما الحنبلية المحضة . فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم .  
 وكان من تمام الجواب : أن الكرامية المجسمة كلهم حنفية .  
 وتكلمت على لفظ الخشوية ، ما أدري جوابا عن سؤال الأمير ، أو  
 غيره ، أو عن غير جواب .

فقلت . هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة . فإنهم يسمون الجماعة  
والسواد الأعظم : الحشوة . كما تسميهم الرافضة : الجمهور

وحشوة الناس : هم عموم الناس وجمهورهم . وهم غير الأعيان المتميزين

يقولون : هذا من حشوة الناس . كما يقال : هذا من جمهورهم

وأول من تكلم بهذا : عمرو بن عبد . وفن : كان عبد الله بن عمر

حشويا . فمعتزلة سمو الجماعة حشويا . كما تسميهم الرافضة : الجمهور .

ونست : — لا نرى في الخلس لأول ، أو الثاني — : أول من فن :

عبد الله بن عبد الله . هشام بن الحكم الرافضي

وقلت لهذا الشيخ : من في أصحاب الإمام أحمد من الأعيان حشوي

بالمعنى الذي نريد : الأعمى ، أبو داود ، المروزي ، الخلاأل ، أبو بكر بن

عبد الله بن عبد الله . أبو الحسن التميمي ، ابن حامد القاضي ، أبو يعلى ،

أبو حمزة ، ابن عقيل ؟

و نمت صوتي وقلت : سمعهم . قل لي : من هم ، من هم ؟

يكذب ابن الخطيب <sup>(١)</sup> وافترائه على الناس في مذاهبهم تمطل

الشرعية ، وتندرس معالم الدين ؟ كما نقل هو وغيره عنهم . أنهم يقولون :

إن القرآن القديم هو أصوات القارئین ، ومداد الكتّابین . وأن الصوت

(١) هو الفخر الرازي



والمداد قديم أزلى ؟ من قال هذا ؟ وفى أى كتاب وجد هذا عنهم ؟  
قل لى .

وكما نقل عنهم : أن الله لا يُرَى فى الآخرة ، باللزوم الذى ادّعاه ،  
والمقدمة التى نقلها عنهم ؟

وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ : من أنه كبير الجماعة وشيخهم  
وأنت فيه من العقل والدين ، ما يستحق أن يعامل بموجبه .

وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه ، فانه لم يكن حاضرا فى المجلس  
الأول ، وإنما أحضره فى الثانى ، انتصارا به .

وحدثنى الثقة عنه بعد خروجه من المجلس ، أنه اجتمع به ، وقال له :  
أسرني عن هذا المجلس ؟

فقال : ما لفلان ذنب ، ولا لى ، فان الأمير سأل عن شىء . فأجابه  
عده . فظننته سأل عن شىء آخر .

وقال : قلت لهم : ما لكم على الرجل اعتراض ، فانه نصرَ ترك التأويل ،  
وأنتم تنصرون قول التأويل ، وهما قولان للأشعرى .

وقال : أنا أختار قول ترك التأويل . وأخرج وصيته التى أوصى بها .  
وفىها : قول ترك التأويل .

قال الحاكي لى : فقلت له : بلغنى عنك أنك قلت ، فى آخر المجلس ،  
لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة : « لا تكتبوا عنى نفيا ولا إثباتا .  
فلم ذلك ؟

فقال : لوجهين ، أحدهما : أنى لم أحضر قراءة جميع العقيدة فى المجلس  
الأول . والثانى : لأن أصحابى طلبونى لينتصروا بى ، فما كان يليق أن  
أظهر مخالفتهم ، فسكتُ عن الطائفتين

وأمرتُ غير مرة أن تعادَ قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ ؛  
فراى بعض الجماعة أن ذلك يطول ، وأنه لا يُقرأ عليه إلا الموضع الذى  
لهم عليه سؤال ، وأعظمه : نطق « الحقيقة » فقرأوه عليه

وذكر هو بحثا حسنا ، يتملق بدلالة اللفظ ، فحسنته ومدحته عليه  
وقلت : لا ريب أن الله حىٌ حقيقةً ، سميع حقيقةً ، بصير حقيقةً  
وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفائية ، من جميع الطوائف . وله  
نازع بعض أهل البدع فى بعض ذلك ، فلا ريب أن الله موجود ،  
والخلق موجود . ولفظ « الوجود » سواء كان مقولا عليهما بطريق  
الاشتراك اللفظى فقط ، أو بطريق التواطىء ، المتضمن للاشتراك لفظا  
ومعنى ، أو بالتشكيك ، الذى هو نوع من التواطىء ، فعلى كل قول :  
فالله موجود حقيقة . والخلق موجود حقيقة . ولا يلزم من إطلاق الاسم

على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذورٌ

ولم أرجح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر ، لأن  
رضى يحصل على كل مقصود .

وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف ، وأن  
أين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرته وأن أعيان المذاهب  
الأربعة ، والأشعري ، وأكابر أصحابه على ما ذكرته

فانه قبل المجلس الثاني ، اجتمع بي من أكابر الشافعية ، والمنتسبين  
إلى الأشعرية ، والحنفية ، وغيرهم ؛ ممن عظم خوفهم من هذا المجلس ،  
وخافوا انتصار الخصوم فيه ، وخافوا على نفوسهم أيضاً من تفرق الكلمة  
، أظهرت الحجة التي ينتصر بها ما ذكرته ، أولم يكن من أئمة أصحابهم  
من يوافقها - : لصارت فرقة ، ولصعب عليهم أن يُظهروا في المجالس العامة  
البروج عن أقوال طوائفهم ، لما في ذلك من تمكن أعدائهم من  
إيضاحهم . فاذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك ، وقامت الحجة  
عنده ، وبأن أنه مذهب الساف ؛ أمكنهم إظهار القول به ، مع ما يعتقدونه  
في الباطن من أنه الحق

حتى قال لي بعض الأكابر من الحنفية ، وقد اجتمع بي :

لوقلت : هذا مذهب أحمد بن حنبل ، وثبتت على ذلك ؛ لا تقطع  
النزاع .

ومقصوده : أنه يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع ،  
ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة .

فقلت : لا والله ، ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاص ، وإنما هذا  
اعتقاد سلف الأمة ، وأئمة أهل الحديث .

وقلت أيضا : هذا اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل  
لفظ ذكرته ، فأنا أذكر به آية أو حديثا ، أو إجماعا سلفيا ، وأذكر  
من ينقل الإجماع عن السلف ، من جميع طوائف المسلمين : أتباع الفقهاء  
الأربعة ، والمتكلمين ، وأهل الحديث ، والصوفية .

وقلت لمن خاطبني من أكابر الشافعية : لأبين أن ما ذكرته هو  
قول السلف ، وقول أئمة أصحاب الشافعي ، وأذكر قول الأشعري ، وأئمة  
أصحابه التي ترد على هؤلاء الخصوم . ولينتصرن كل شافعي ، وكل  
من قال بقول الأشعري الموافق لمذهب السلف . وأبين أن القول  
الحكي عنه في تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له في كلامه .  
وإنما هو قول طائفة من أصحابه . فلا شعرية قولان ، ليس للأشعري  
قولان .

فلما ذكرت في المجلس أن جميع أسماء الله التي يسمي بها المخلوق  
كلفظ « الوجود » الذي هو مقولٌ بالحقيقة على الواجب والممكن ، على  
الأقوال الثلاثة ، تنازع كبيران : هل هو مقولٌ بالاشتراك ، أو بالتواطىء ؟  
فقال أحدهما : هو متواطىء . وقال الآخر : هو مشترك . لئلا يلزم  
التعريب .

وقال هذا : قد ذكر نضر الدين : أن هذا النزاع مبني على أن وجوده  
هل هو عين ماهيته ، أم لا ؟

فمن قال : إن وجود كل شيء عين ماهيته ، قال : إنه مقول  
بالاشتراك ، ومن قال : إن وجوده قدر زائد على ماهيته ، قال : إنه  
مقول بالتواطىء .

فأخذ الأول يرجح قول من يقول : إن الوجود زائد على أن الماهية .  
فنصر أنه مقول بالتواطىء .

فقال الثاني : ليس مذهب الأشعرى وأهل السنة : أن وجوده  
عين ماهيته .

فأنكر الأول ذلك

فقلت : أما متكلموا أهل السنة ، فعندهم : أن وجود كل شيء  
عين ماهيته . وأما القول الآخر : فهو قول المعتزلة : أن وجود كل شيء

قدر زائد على ماهيته ، وكل منهما أصاب من وجه ، فان الصواب .  
أن هذه الأسماء مقولة بالتواطىء ، كما قد قررته في غير هذا الموضع

وأجبت عن شبهة التركيب بالجواين المعروفين

وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ليس  
عينها . فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب . فانا وإن قلنا : إن وجود  
الشيء عين ماهيته ، لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى  
نظيره الاشتراك اللفظي فقط ، كما في جميع أسماء الأجناس . فان  
اسم « السواد » مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطىء . وليس  
عين هذا السواد هو عين هذا السواد ، إذ الاسم دال على القدر المشترك  
بينهما ، وهو المطلق الكلّي ، لكنه لا يوجد مطلقا كليّا بشرط  
الاطلاق إلا في الذهن ، ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين  
الأعيان الموجودة في الخارج ، فانه على ذلك تنتمي الأسماء  
المتواطئة ، وهي جمهور الأسماء الموجودة في اللغات . وهى أسماء  
الأجناس اللغوية ، وهو الأسم المطلق على الشيء وعلى كل ما أشبهه ،  
سواء كان اسم عين ، أو اسم صفة ، جامدا ، أو مشتقا ، وسواء كان  
جنسا منطقيا ، أو فقهيّا ، أو لم يكن . بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه  
الأصناف والأجناس والأنواع ، ونحو ذلك . وكلها أسماء متواطئة : وأعيان



مسمياتها في الخارج متميزة .

وطلب بعضهم إعادة قراءة الأحاديث المذكورة في العقيدة ، يطعن في بعضها

فعرفت مقصوده .

فقلت : كأنك استعددت للطعن في حديث الأوعال . حديث العباس ابن عبد المطلب ، وكانوا قد تعنتوا حتى ظفروا بما تكلم به زكي الدين عبد العظيم ، من قول البخاري في تاريخه : عبد الله بن عميرة ، لا يعرف له سماع من الأحنف <sup>(١)</sup>

---

(١) الحديث رواه أبو داود في الباب الثامن عشر من كتاب السنة قال : حدثنا محمد بن الصباح البزاز ، نالويد بن أبي ثور عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب قال : « كنت في البطحاء في عصاة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ت سحابة - الحديث »

قال في عون المعبود : قال المنذرى : ورواه الترمذى وابن ماجه . وقال الترمذى : حسن غريب . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ، فوقفه . هذا آخر كلامه . وفي إسناده الوليد بن أبي ثور لا يحتاج بحديثه . اهـ ثم روى أبو داود عن أحمد بن أبي سريج . انا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ومحمد بن سعيد قالوا : أنا عمرو بن أبي قيس عن سماك — بإسناده ومعهناه - حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن

فقلت . هذا الحديث — مع أنه رواه أهل السنن . كآبي داود ،  
والترمذى ، وابن ماجه ، وغيرهم — فهو مروى من طريقين مشهورين .  
فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر .

فقال : أليس مداه على ابن عميره . وقد قال البخارى : لا يعرف  
له سماع من الأحنف ؟

فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذى  
اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup>

سماك باسناده ومعناه . قال فى عون المعبود : أحمد بن أبى سريج هو أحمد  
ابن الصباح بن أبى سريج - بحجم مصغر - الرازى . وثقه النسائى . وهذا سند  
قوى جيد الاسناد . وكذا إسناد أحمد بن حفص قوى أيضا . وقال الحافظ  
ابن القيم فى تعليقاته على سنن أبى داود : وأما رد الحديث الوليد بن  
أبى ثور فقايد . فان الوليد لم ينفرد به . بل تابعه عليه ابراهيم بن طهمان كلاهما  
عن سماك . ومن طريقه رواه أبو داود . ورواه أيضا عمرو بن أبى قيس  
عن سماك اه . ورواه ابن ماجه من حديث الوليد بن أبى ثور عن سماك .  
وأى ذنب للوليد فى هذا ؟ وأى تعلق عليه ؟ وإنما ذنبه روايته ما يخالف الجهمية .  
وهى علمه المؤثرة عند القوم انتهى كلامه مختصرا . قلت : وحديث ابراهيم  
بن طهمان أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات . والله اعلم اه من عون  
المعبود ( ج ٤ ص ٣٦٩ ) ورواه الامام أحمد فى المسند ( ج ١ ص ٢٠٦ )  
(١) قال الامام محمد بن اسحاق بن خزيمة فى كتاب التوحيد الطبعة المنيرية

قلت : والاثبات مقدم على النفي ، والبخارى إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف ، لم ينف معرفة الناس بهذا ، فاذا عرف غيره — كإمام الأئمة ابن خزيمة — الإسناد ، كانت معرفته وإثباته مقدما على نفي غيره ، وعدم معرفته ، ووافق الجماعة على ذلك .

وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح مالا يليق أن أحكيه .  
وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة ، ولكن لها تعلق بما أوجب به في مسائل ، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة .  
فأحضر بعض أكابرهم كتاب الأسماء والصفات ، للبيهقي فقال : هذا فيه تأويل الوجه عن السلف .

فقلت : لعلك تعنى قوله تعالى : ( فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> ) ؟  
فقال : نعم . قد قال مجاهد والشافعي : يعنى قِبْلَةَ اللَّهِ .

(ص ١٥) : لست أحتج في شيء من صفات خالق عز وجل إلا بما هو مسطور في الكتاب ، أو منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم بالأسانيد الثابتة الصحيحة . وهذا الحديث رواه ابن خزيمة في باب ذكر استواء خالقنا العلى الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه (ص ٦٨) حدثنا أحمد ابن نصر قال أخبرنا الدشتكى عبد الرحمن بن عبد الله الرازى قال حدثنا عمرو بن أبى قيس عن سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس الحديث -

(١) سورة البقرة آية (١١٥)

فقلت : نعم . هذا صحيح عن مجاهد ، والشافعي وغيرهما . وهذا حق ، وليست هذه الآية من آيات الصفات ، وَمَنْ عَدَّهَا فِي الصِّفَاتِ فَقَدْ غَلَطَ ، كما فعل طائفة ، فان سياق الكلام يدل على المراد ، حيث قال : ( وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ ) والمشرق والمغرب : الجهات . والوجه : هو الجهة — يقال : أَىَّ وَجْهٍ تريد ؟ — أَىَّ أَىَّ جهة . وأنا أريد هذا الوجه . أَىَّ هذه الجهة — كما قال تعالى : ( وَإِكُلْ وَجْهَهُ هُوَ مُوَلِّئُهَا ) ، ولهذا قال : ( فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجْهُ اللَّهِ ) — أَىَّ تستقبلوا وتتوجهوا . والله أعلم

\* \* \*

هذا آخر ماعلقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة ، بحضرة نائب السلطان والقضاة ، والفقهاء ، وغيرهم ، بالقصر .

### ١٧٥ [ كتاب السلطان بارسال الشيخ إلى مصر ]

وفي يوم الاثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعمئة وصل كتاب السلطان بالكشف عما كان وقع للشيخ تقي الدين ، في ولاية سيف الدين جاغان ، وفي ولاية القاضي إمام الدين وباحضاره وإحضار القاضي نجم الدين بن صصرى إلى الديار المصرية .

فطلب نائب السلطنة الشيخ وجماعة من الفقهاء ، وسألهم عن تلك الواقعة ، وقرىء عليهم المرسوم .

فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية ، وكتبه عنهم صاحب الديوان محي الدين ، والقاضي نجم الدين إلى مصر على البريد ، وخرج مع الشيخ خلق كثير ، وبكوا ، وخافوا عليه من أعدائه . وأخبرت : أن نائب السلطنة كان قد أشار على الشيخ بترك التوجه إلى مصر ، وأنه يكاتب في ذلك . فامتنع الشيخ من ذلك ، ولم يقبل وذكر أن في توجهه إلى مصر مصالح كثيرة .

\* \* \*

وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ ، قال : ولما توجه الشيخ في اليوم الذي توجه فيه من دمشق المحروسة ، كان يوما مشهودا ، غريب المثل ، في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قريب للجسورة — فيما بين دمشق والكسوة — التي هي أول منزلة منها ، وهم ما بين باكٍ وحزين ، ومتعجب ومتنزه ، ومزاحم متغال فيه . ودخل الشيخ مدينة غزة يوم السبت ، وعمل في جامعها مجلسا عظيما .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي

إلى القاهرة .

وفي ثلثي يوم بعد صلاة الجمعة ، جمع القضاة ، وأكابر الدولة  
ماتقلعة لحفل . وأراد الشيخ أن يتكلم ، فلم يُمكن من البحث والكلام  
على عادته ، وانتدب له الشمس ابن عدلان خصما ، احتسابا . وادّعى عليه  
القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول :  
إن الله فوق العرش حقيقة ، وإن الله يتكلم بحرف وصوت ،  
وسأل جوابه .

فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه  
فقليل له : أجب . ما جئنا بك لتخطب .

فقال : ومن الحاكم في ؟

فقليل له : القاضي المالكي

قال : كيف يحكم في وهو خصمي ؟

ونضب غضبا شديدا ، وانزعج

فأقيم مرثما عليه . وحبس في برج أياما

ثم نقل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجُب هو وأخوه :

شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحمن

ثم إن نائب السلطنة — سيف الدين سلارا — بعد أكثر من سنة



وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبع مائة حضر القضاة الثلاثة :  
الشافعي ، والمالكي ، والحنفي . ومن الفقهاء : الباجي ، والجزري ،  
والخراوي . وتكلم في إخراج الشيخ من الحبس .  
فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور ، ويلزم بالرجوع عن بعض  
المقيدة .

فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه في ذلك . فلم يجب إلى الحضور .  
وتكرر الرسول إليه في ذلك مرات . وصمم على عدم الحضور  
فطال عنهم المجلس ، وانصرفوا عن غير شيء .

### \* [ إرسال الشيخ كتابا من سجنه الى دمشق ]

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة ست وسبع مائة ،  
أخبر نائب السلطنة بدمشق ، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقي الدين  
من الجب ، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه . وأثنى عليه ، وقال : ما  
رأيت مثله ، ولا أشجع منه .

وذكر ما هو عليه في السجن : من التوجه إلى الله تعالى ، وأنه لم  
يقبل شيئا من الكسوة السلطانية ، ولا من الادرار السلطاني ، ولا  
تدنس بشيء من ذلك .

وفي هذا الشهر أيضا — شهر ذى الحجة — في يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طلب أخو الشيخ تقي الدين : شرف الدين عبد الله ، وزين الدين عبد الرحمن - إلى مجلس نائب السلطنة سلاطه ، وحضر القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي ، وجرى بينهم كلام كثير ، وأعيدا إلى موضعهما ، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضي المالكي ، وظهر عليه في النقل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادعى فيها الاجماع . وكان الكلام في مسألة العرش ، وفي مسألة الكلام . وفي مسألة النزول .

وفي يوم الجمعة ثاني اليوم المذكور أحضّر الشيخ شرف الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة ، وحضر ابن عدلان ، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره ، وبحث معه ، وظهر عليه .

وفي اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين في دار الأوحدي بالقلعة ، بُكرَة الجمعة ، وتفرقا قبل الصلاة . وطال بينهما الكلام

### [ اخراج ابن مهنا الشيخ من الجب ]

وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى مصر ، وحضر بنفسه إلى الجب .

فأخرج الشيخ تقي الدين بعد أن استأذن في ذلك . فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقاهرة . وحضر بعض الفقهاء . وحصل بينهم بحث كثير . وفرقت صلاة الجمعة بينهم . ثم اجتمعوا إلى المغرب . ولم ينفصل الأمر .

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموع النهار . وحضر جماعة أكثر من الأولين : حضر نجم الدين بن الرفعة ، وعلاء الدين الباجي ، ونفرض الدين ابن بنت أبي سعد ، وعز الدين النمراوى ، وشمس الدين بن عدلان ، وجماعة من الفقهاء . ولم يحضر القضاة . وطلبوا . فاعتذر بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، وقبل عذرهم نائب السلطنة . ولم يكلفهم الحضور ، بعد أن رسم السلطان بحضورهم وانفصل المجلس على خير .

وبات الشيخ عند نائب السلطنة .

وكتب كتابا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر يتضمن خروجه ، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة . وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة مقام الشيخ في الحب ثمانية عشر شهرا .

ففرح خلق كثير بخروجه ، وسروا بذلك سرورا عظيما ، وحزن آخرون وغضبوا

\* وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبد القوي بقصيدة .  
منها :

فاصبر ، فقى الصبر ما يفنيك عن حيل  
وكلُّ صعب إذا صابرته هانا  
ولست تعدم من خطب رُميت به  
إحدى اثنتين ، فأيقن ذلك إيقانا :

تمحيص ذنب ، لتلقى الله خالصة      أو امتحانا به تزداد قربانا  
يا سعد ، إنا نرجو أن تكون لنا      سعدا ، ومرعاك للوراد سعدانا  
وأن يضرَّ بك الرحمن طائفة      ولت ، وينفع من بالود والانا  
يا أهل تيمية العالين مرتبة      ومنصبا فرع الافلاك تبياننا  
جواهر الكون أنتم ، غير أنكم      في معشر أشربوا في العقل نقصانا  
لا يعرفون لكم فضلا ، ولو عقلوا      لصيروا لكم الأجفان أوطانا  
يا من حوى من علوم الخلق ما قصرت      عنه الأوائل مذ كانوا إلى الآنا  
إن تبثلي بلثام الناس يرفعهم      دهر عليك لأهل الفضل قدخانا<sup>(١)</sup>

(١) بهامش الأصل : قوله « يرفعهم دهر ، الخ » في كلامه نظر . ففي الصحيح  
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال « قال الله تعالى : يؤذني ابن  
آدم ، يسب الدهر . وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » وفي رواية « لا تسبوا  
الدهر فان الله هو الدهر » اهكذا في المنقول عنه .

إني لأقسم ، والاسلام معتقدي ، وإني من ذوى الايمان : أيماننا :  
لم ألق قبلك إنساناً أُسرِبَهُ فلا برحت لعين المجد إنساناً  
في آيات كثيرة غير هذه ، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه .

\*\*\*

وفي يوم الجمعة صلى الشيخ في جامع الحاكم . وجلس . فاجتمع  
إليه خلق عظيم . وسأله بعضهم أن يتكلم بشيء يسمعون منه . فلم يجيبهم  
إلى ذلك بل كان يتبسم ، وينظر يَمَنَةً وَيَسْرَةً  
فقال له رجل : قال الله في كتابه الكريم ( وإذا أخذ الله ميثاق  
الذين أوتوا الكتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ )

فنهض الشيخ قائماً . وابتدأ بخطبة الحاجة : خطبة ابن مسعود  
رضي الله عنه ، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقرأ  
( بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك  
يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين  
أعنت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين )

وتكلم على تفسير قوله تعالى ( إياك نعبد وإياك نستعين ) وفي معنى  
العبادة ، والاستعانة إلى أن أذن مؤذن العصر .

\*\*\*

وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمئة  
عقد للشيخ مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة . واجتمع فيه القضاة  
وغيرهم .

وكان مما جرى في المجلس - فيما بلغني - أنه قيل للشيخ : نستغفر الله  
العظيم ، ونتوب إليه

فقال الشيخ : كلنا نستغفر الله العظيم ، ونتوب إليه  
والتفت إلى رجل منهم . فقال له : استغفر الله العظيم وتُبْ إليه  
فقال : أستغفر الله العظيم وأتوب إليه . وكذلك قال لآخر ، ولآخر  
وكلهم يقول كذلك

فقيل للشيخ : تب إلى الله عز وجل من كذا وكذا - وذُكر له كلام  
فقال : إن كنت قلت كلاما يستوجب التوبة فأنا تائب منه .  
فقال له قائل : هذه ليست توبة

فرد عليه الشيخ ، وجهله

ووقع كلام يطول ذكره

ووصل كتاب الشيخ مؤرخا بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر .  
يذكر فيه أنه عقد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة ، بعد خروج  
مهنّا في يوم الخميس سادس الشهر ، وأنه حصل فيه خير ، وأن في  
إقامته مصالح وفوائد .



## [ كتاب الشيخ إلى والدته وإلى غيرها ]

وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ، بعثها من مصر إلى والدته ،  
وإلى أخيه لأمه : بذر الدين ، وإلى غيرها  
منها كتاب إلى والدته يقول فيه :

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة ، أقر الله عينها بنعمه ،  
ونسبغ عليها جزيل كرمه ، وجعلها من خيار إمانه وخدمه  
سلام عليكم ، ورحمة الله وبركاته

فإننا نحمد إيلكم الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على  
كل شيء قدير . ونسأله أن يوصلني على خاتم النبیین ، وإمام المتقين ، محمد  
عده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما .

كتابي إيلكم عن نعم من الله عظيمة ، ومنن كريمة ، وآلاء جسيمة  
نشكر الله عليها ، ونسأله المزيد من فضله . ونعم الله كلما جاءت في أموري  
وأدياري ، وأياديه جلّت عن التعداد

وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد ، إنما هو لأمر ضروري  
متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا . ولسنا والله مختارين للبعد عنكم  
ولو حملتنا الطيور لسرنا إيلكم ، ولكن الغائب عذره معي ، وأنتم لو اطلعتم  
( ١٧ — العقود الدرية )

على باطن الأمور ، فانكم - والله الحمد - ماتختارون الساعة إلا ذلك ، ولم  
نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم ،  
وادعوا لنا بالخير ، فنسأل الله العظيم أن يخير لنا ولكم والمسلمين .  
ما فيه الخير ، في خير وعافية

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة ، والهداية والبركة ، ما لم  
يكن يخطر بالبال ، ولا يدور في الخيال ، ونحن في كل وقت مهمومون  
بالسفر ، مستخIRON الله سبحانه وتعالى . فلا يظن الظَّانُّ أَنَّا نُؤَثِّرُ  
على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط . بل ولا نُؤَثِّرُ من أمور الدين ، ما يكون  
قربكم أرجح منه ، ولكن ثمَّ أمور كبار ، نخاف الضرر الخاص والعام  
من إهمالها . والشاهد يرى ما لا يرى الغائب .

والمطلوب ، كثرة الدعاء بالخير ، فان الله يعلم ، ولا نعلم ، ويقدر  
ولا نقدر ، وهو عَلاَمُ الغيوب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من  
سعادة ابن آدم استخارته الله ، ورضاه بما يقسم الله له ، ومن شقاوة ابن  
آدم ترك استخارته الله ، وسخطه بما يقسم الله له <sup>(١)</sup> » والتاجر يكون

---

(١) رواه الترمذى عن سعد بن أبي وقاص . وقال الترمذى . حديث غريب  
لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبى حميد . وليس بالقوى عند أهل الحديث .  
ورواه الامام أحمد و . بو يعلى بلفظ « من سعادة ابن آدم استخارته الله عز  
وجل » والحاكم وزاد « ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله » وقال :  
انه صحيح الاسناد .

مسافرا فيخاف ضياع بعض ماله ، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه  
وواحد فيه أمرٌ عجيبٌ عن الوصف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والسلام عليكم . ورحمة الله وبركاته ، كثيراً ، كثيراً . وعلى سائر من  
في البيت من الكبار والصغار ، وسائر الجيران . والأهل والأصحاب  
أحداً ، واحداً .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله ونعمته وسلم تسليماً

\*\*\*

## ١ كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق

ومنها كتاب ، قال فيه : بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على نبيه  
صلى الله عليه وسلم

أما بعد . فإن الله - وله الحمد - قد أكرم عليّ من نعمه العظيمة ومنه  
الهداية ، وآلائه الكريمة ، ما هو مستوجب لعظم الشكر ، والثبات على  
إطاعة ، واعتماد حسن الصبر ، على فعل المأمور والعبد مأمور بالصبر في السراء  
وعظم من الصبر في الصراء قال تعالى (وَلَمَّا أَتَيْنَا أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً .  
مَنْ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا قَهُورٌ . وَإِنِّي أَذِقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ ،  
سَمَّهٖ لَيَقُولَنَّ : ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي . إِنَّهُ لَفَرِحَ بُخُورٌ . إِلَّا الَّذِينَ

صَبَرُوا ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أَوَّلُكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ <sup>(١)</sup> )  
وتعلمون ، أن الله سبحانه من في هذه القضية من المَنَّ التي فيها من  
أسباب نصر دينه . وعلو كلمته ، ونصر جنده ، وعزّة أوليائه ،  
وقوّة أهل السنة والجماعة ، وذلّ أهل البدعة والفرقة . وتقرير ما قرّر  
عندكم من السنة ، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى والنصر .  
والدلائل ، وظهور الحق ، لأمم لا يحصى عددهم إلا الله تعالى ، وإقبال  
الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة ، وغير ذلك من المَنَّ ، ما لا بد معه  
من عظيم الشكر ، ومن الصبر ، وإن كان صبراً في سرّاء

وتعلمون أن من القواعد العظيمة ، التي هي من جماع الدّين :  
تأليف القلوب : واجتمع الكلمة ، وصالح ذات البين ، فإن الله تعالى  
يقول : ( فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ <sup>(٢)</sup> ) ) ويقول : ( وَاعْتَصِمُوا  
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا <sup>(٣)</sup> ) ) ويقول : ( وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(١) سورة هود الآيات (٩ ، ١٠ ، ١١)

(٢) سورة الأنفال الآية الأولى

(٣) سورة آل عمران آية (١٠٣)

وأول ما جاءهم من أوتاهم ما جاءهم من الميثاق، وأول ما جاءهم من الميثاق (١)  
وأما مثل ذلك من الميثاق من التي تأتي بالجملة والاختلاف . . .  
من الفرقة والاختلاف .

وأهل هذا الأصل : هم أهل الجماعة . كما أن الجماعة هي . هم  
أهل الفرقة .

و جماع السنة طاعة الرسول . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم  
الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه من أني هـ . . .  
و من السنة ثلاثاً : أن يسلموا . ولا يشركوا بالله شيئاً . وأن يحسنوا  
مع الله جميعاً . ولا يفرقوا . وأن يحسنوا معي . ولا يشركوا بالله شيئاً .  
و من السنة من حديث زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " خير الله أمرا  
سبع . . . . .  
و من جماع هذه إلى من هو أئمة هذه . ثلاث الأئمة  
سأله عن جماع العمل لله . و هذا كله . . . . .  
سأله عن جماع العمل لله . و هذا كله . . . . . (٢)

(١) سورة المائدة الآية (١٠٥)

(٢) في لسان الحافظ . . . . .

وقوله « لا يغفل » أى لا يحقد عليهن . فلا يبغض هذه الخصال قاب  
المسلم ، بل يحبهن ، ويرضاهن .

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل : ما يتعلق بى ، فتعلمون — رضى  
الله عنكم — أى لأحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين — فضلا  
عن أصحابنا — بشىء أصلا ، لا باطنا ولا ظاهرا ، ولا عندى عتب على  
أحد منهم . ولا لوم أصلا ، بل لهم عندى من الكرامة ، والاجلال  
والحمة ، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان ، كل بحسبه . ولا يخلو  
أرجل . إما أن يكون مجتهدا مصيبا ، أو محطئا ، أو مذنبا . فالأول :  
مأجور مشكور . والثانى مع أجره على الاجتهاد : فمحمود عنه ، مغفور  
له . والثالث : فالله يغفر لنا وله ، ولسائر المؤمنين .

فنتطوى بساط الكلام المخالف لهذا الأصل

عن أبى سعيد الخدرى . ثم قال : رواه البزار بإسناد حسن . ورواه ابن  
حنبل فى صحيحه من حديث زيد بن ثابت ، وبأى فى باب سماع الحديث إن  
شاء الله . وقد روى هذا الحديث أيضا عن ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ،  
والعمام بن بشير ، وجبير بن مطعم ، وأبى الدرداء ، وأبى قرصافة  
جندب بن خيثمة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وبغض أسانيدهم  
صحیح .



كقول القائل : فلان قصر ، فلان ماعمل ، فلان أودى الشيخ بسببه .  
فلان كان سبب هذه القضية ، فلان كان يتكلم في كيد فلان . ونحو هذه  
الكلمات ، التي فيها مذمة لبعض الأصحاب ، والاخوان . فإني لا أسمع  
من آذاهم ، من هذا الباب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بل مثل هذا يعود على قائله باللام ، إلا أن يكون له من حسنة  
ومن يغفر الله له إن شاء . وقد عفا الله عما سلف .

وتعلمون أيضا : أن ما يجري من نوع تغليظ ، أو تخشين على بعض  
الأصحاب والاخوان : ما كان يجري بدمشق ، ومما جرى الآن بمصر ،  
فليس ذلك غضاضة ولا نقضا في حق صاحبه ، ولا حصل بسبب ذلك  
تغير منا ، ولا بعض . بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين ،  
أرفع قدرا ، وأنبه ذكرا ، وأحب وأعظم ، وإنما هذه الأمور هي من  
مصالح المؤمنين ، التي يصلح الله بها بعضهم ببعض . فإن المؤمن للمؤمن  
كالإدين ، تفصل إحداها الأخرى . وقد لا ينقاع الوسخ إلا بنوع من  
الحشونة ، لكن ذلك يوجب من النظافة ، والنعمومة ، ما محمد معه  
ذلك التخشين .

وتعلمون : أنا جميعا ، متعاونون على البر والتقوى ، واجب علينا

نصر بعضنا بعضا ، أعظم مما كان ، وأشد . فمن رام أن يؤذى بعض  
الأصحاب ، أو الاخوان ، لما قد يظنه من نوع تخشين — عومل به  
بدمشق ، أو بمصر الساعة ، أو غير ذلك — فهو الغالط .

وكذلك ، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون  
والتناصر ، فقد ظن ظنَّ سوء ( وان الظن لا يُغنى من الحق  
شيئا ) وما غاب عنا أحد من الجماعة ، أو قدم إلينا الساعة ، أو قبل الساعة ،  
إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت ، وأجل ، وأرفع .

وتعلمون — رضى الله عنكم — أن ما دون هذه القضية من  
الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء ، واختلاف الأهواء وتنوع أحوال  
أهل الإيمان ، وما لا بد منه — من نزغات الشيطان — ما لا يتصور  
أن يعرَى عنه نوع الإنسان . وقد قال تعالى : ( وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ  
ظَلُومًا جَاهِلًا ) . لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ  
وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١) ) بل  
أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك — تنميتها بالأدنى على الأعلى ، وبالأقصى  
على الأدنى — فأقول :

تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة  
والأغاليط المظنونة ، والأهواء الفاسدة ، وأن ذلك أمر يحل عن

الوصف . وكل ما قيل : من كذب وزور ، فهو في حقنا خيرٌ ونعمة .  
قال تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكَ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تحسبوه شرّاً  
لكم ، بل هو خيرٌ لكم . لـكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الأثم ،  
والذي تولى كبرُهم له عذاب عظيم )

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه ، ما ردّ به إفك الكاذب  
وبهتانه .

فلا أحب أن يُقتصر من أحد بسبب كذبه علىّ ، أو ظلمه وعدوانه ،  
فاني قد أحلت كل مسلم . وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد  
كل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسه .

والدين كذبوا وظلموا فهم في حل من جنتي .

وأما ما يتعلق بحقوق الله ، فإن تابوا أتاب الله عليهم ، وإلا فحكم الله نافذ  
فيهم ، فلو كان الرجل مشكوراً على سوء عمله ، اكنتم أشكر كل من  
كان سبباً في هذه القضية ، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة ،  
اكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه ، وأياديه التي لا يقضى  
المؤمن قضاء إلا كان خيراً له .

وأهل القصد الصالح يشكرون على قصدهم ، وأهل العمل الصالح  
يشكرون على عملهم ، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم .

وأنتم تعلمون هذا من خلقى . والأمر أزيد مما كان وأؤكد ، لكن حقوق  
الناس بعضهم مع بعض ، وحقوق الله عليهم ، هم فيها تحت حكم الله .  
وأنتم تعلمون أن الصديق الأكبر في قضية الأفك ، التي أنزل  
الله فيها القرآن ، حلف لا يصل مسطح بن أثاثه ، لأنه كان  
من الخائضين في الأفك . فأنزل الله تعالى : ( ولا يأتل أولو الفضل  
منكم والسعة أن يؤتوا أولى القُرْبى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله  
وليَعْفُوا وليصْفَحُوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ والله غفور رحيم )<sup>(١)</sup> . فلما  
نزلت قال أبو بكر : بلى ، والله إني لأحب أن يغفر الله لى . فأعاد إلى  
مسطح النفقة التي كان ينفق<sup>(٢)</sup> »

مع ما ذكر من العفو والاحسان ، وأمثاله ، وأضعافه ، والجهاد على  
ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة أمر لا يد منه ( فسوف يأتى  
الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين ،  
يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه  
من يشاء ، والله واسع عليم . إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا  
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم راكعون . ومن يتول الله

---

(١) سورة النور آية ( ٢٢ )

(٢) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله

عنها في حديث الافك الطويل

ورسوله ، والذين آمنوا ، فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ <sup>(١)</sup>

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .  
وقد بعث الشيخ رحمه الله الى أقاربه وأصحابه بدمشق كتباً غير هذه .

**[ شكوى الصوفية الشيخ إلى السلطان وأمره بحبسه ]**

ولم يزل بمصر يُعلم الناس ، ويفتيهم ، ويذكر بالله ويدعو إليه ،  
ويتكلم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة  
إلى العصر ، إلى أن ضاق منه وانحصر ، واجتمع خلق كثير من أهل  
الخوانق والرُّبُط والزوايا . وانفقوا على أن يشكوا الشيخ إلى السلطان  
فطلع منهم خلق إلى القلعة . وكان منهم خلق تحت القلعة ، فكانت  
لهم ضجّة شديدة ، حتى قال السلطان : ما هؤلاء ؟

ف قيل له . هؤلاء كلهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقي الدين بن تيمية ،  
يشكون منه ، ويقولون : إنه يسب مشايخهم ، ويضع من قدرهم عند الناس ،  
واستغاثوا منه وأجلبوا عليه . ودخلوا على الأمراء في أمره ، ولم ينفوا ممكناً  
وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له : إن الناس قد جمعوا  
لك جمعا كثيراً

فيقول : حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأمر من يعقد له مجلسا بدار العدل .

فَعقد له مجلس يوم الثلاثاء في العشر الأول من شوال ، من سنة سبع وسبع مائة . وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته ، وقوة قلبه ، وصدق توكله ، وبيان حجته ، ما يتجاوز الوصف . وكان وقتا مشهودا ، ومجلسا عظيما .

وقال له كبير من المخالفين : من أين لك هذا ؟

فقال له الشيخ : من أين لا تعلمه .

وذَكَرَ بعض من حضر ذلك المجلس : أن الناس لما تفرقوا منه فام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه .

قال : فجاء وجئت معه إلى موضع — ذكره — في دار العدل .

قال . فلما جلسنا استأق الشيخ على ظهره ، وكان هناك حَجَرٌ لأجل تثقيب الحَصِيرِ ، فأخذه ووضعهُ تحت رأسه ، فاضطجع قليلا . ثم جالس وقال له إنسان : ياسيدي قد أكثر الناس عليك .

فدل إنهم إلا كالذباب . ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه .

قال : وفام ، وقمنا معه . حتى خرجنا . فأُتِيَ بحصان ، فركبه ويختل بدؤابته . فلم أر أحدا أقوى قلبا ، ولا أشد بأسا منه .



قال : فلما أ كثروا الشكاية منه والملام ، وأوسعوا من أجله الكلام .  
رُسم بتسفيره إلى بلاد الشام .

فخرج للسفر ليلة الخميس ثاني عشر الشهر إلى جهة الشام . ثم رُدَّ في  
يوم الخميس المذكور . وحُبس بسجن الحاكم بحارة الديلم ، في ليلة الجمعة  
تاسع عشر شوال .

قال : ولما دخل الحبس وجد المحاييس مشغولين بأنواع من اللعب ،  
يلتهون بها عما هم فيه ، كالشطرنج والنرد ، وبحو ذلك من تضييع الصلوات .  
فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الانكار ، وأمرهم بملزمة الصلاة ، والتوجه  
إلى الله بالأعمال الصالحة ، والتسبيح . والاسئغفار . والدعاء ، وعلمهم من  
السنة ما يحتاجون إليه : ورغبتهم في أعمال الخير . وحضهم على ذلك .  
حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرا من الزوايا  
والرُّبَط . والخوانق والمدارس . وصار خلق من المحاييس إذا أُطْلِقُوا  
يختارون الإقامة عنده . وكثر المترددون إليه ، حتى كان السجن  
يمتلئ منهم .

فلما كثر اجتماع الناس به . وترددهم إليه ساء ذلك أعداءه ،  
وحصرت صدورهم . فسأنوا نقله إلى الاسكندرية ، وظنوا أن قلوب  
أهلها عن محبته عريّة . وأرادوا أن يبعد عنهم خبره . أوامهم يقتلونه  
فمينقطع أثره

فأرسل به إلى ثغر الاسكندرية ، في ليلة يسفر صباحها عن يوم  
الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمئة

\*\*\*

( مذكره البرزالي في حبس الشيخ بالاسكندرية )

وذكر الشيخ البرزالي وغيره : أن في شهر شوال من سنة سبع  
وسبعمئة . شكوا شيخ الصوفية بالقاهرة — كريم الدين الابلبي ، وابن  
عطاء ، وجماعة نحو الخمسمئة — من الشيخ تقى الدين ، وكلامه في ابن  
عرنى وغيره : إلى الدولة

فرد الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي

وعقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شيء منها ،  
لكنه قال : لا يستغاث إلا بالله . حتى لا يستغاث بالنبي صلى الله  
وسلم استغاثه — بمعنى العبادة — ولكنه يتوسل به ، ويتشفع به إلى الله  
فبعض الحاضرين قال : ليس في هذا شيء

ورأى قاضي القضاة : بدر الدين ، أن هذا فيه قلة أدب

فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة في  
ذلك . فقال القاضي : قد قلت له ما يقال لمثله .

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهي : الإقامة بدمشق ، أو الاسكندرية  
بشروط ، أو الحبس . فاختار الحبس .

فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزما ما شرط . فأجابهم  
فاركبوهم خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال .  
ثم أرسل خلفه من الغد بريدا آخر فردّه . وحضر عند قاضي  
القضاة بحضور جماعة من الفقهاء

فقال بعضهم له : ما ترضى الدولة إلا بالحبس

وقال قاضي القضاة : وفيه مصلحة له

واستتاب شمس الدين التونسي المالكى وأذن له أن يحكم عليه . فتخير .

فقال الشيخ : أنا أمضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة .

فقال نور الدين المأذون له في الحكم : فيكون في موضع يصلح لمثله

فقبل له : ما ترضى الدولة إلا بسمى الحبس . فأرسل إلى حبس

التنسي ، وأجلس في الموضع الذي أجلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت

الاعز ، لما حبس ، وأذن أن يكون عنده من يخدمه .

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجى ووجاهته في الدولة

واستمر الشيخ في الحبس يستفتى ويقصده الناس ويوزرونه ، وتأثبه

بالمشكلة من الأمراء وأعيان الناس .

قال علم الدين : وفي ليلة الأربعاء ، العشرين من شوال من سنة

ثمان وسبعمائة . طاب أخوا الشيخ تقي الدين . فوجد زين الدين وعنده

جماعة . فرسم عليهم . ولم يوجد شرف الدين ، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين . فانه حمل إلى المكان الذى فيه الشيخ . وهو قاعة الترسيم بالقاهرة . ثم إنه أخرج فى خامس صفر سنة تسع وسبعمائة .

قال : وفى الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا ، وهى ليلة الجمعة توجه الشيخ تقى الدين من القاهرة إلى الاسكندرية ، مع أمير مقد ولم يمكن أحد من جماعته من السفر معه .

ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام ، فحصل التألم لاصحابه ومحبيه ، وضائق الصدور وبضائع الدعاء له

وبلغنا : أن دخوله الاسكندرية كان يوم الأحد . دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان . ونقل ليلاً إلى برج فى شرق المدينة . ثم وصلت الأخبار : أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك . وصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه . ويتحدثون معه . وكان الموضع الذى هو فيه فسيحاً متسعاً .

[ كتاب الشيخ شرف الدين

إلى أخيه بدر الدين ]

وقد رأيت كتاباً بخط الشيخ شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين

بعد توجه الشيخ إلى الاسكندرية . يقول فيه :

من أخيه عبد الله بن تيمية .

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الامام العالم الجليل الكبير  
 بار الدين ، والى الله عليه آلاءه وأتبعها ، وأسبغ عليه نعمه ونوعها ،  
 ومنحه مننه وأثمنها . وآيده بالتموة والتأييد . لاقامة الحق على القريب  
 والععيد . غير مقتصر ولا وان . ولا ممتد ولا متوان . بارأى السيد ،  
 المعزم الوكيل . وجمعنا وإياه فى هذه الدار على طاعته . وفى دار القرار  
 فى دار كرامته ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء  
 والصالحين أهل ولايته ، إنه ذو الفضل العظيم ، والمنّ الجسيم .  
 أطول العليم .

أما بعد . فإني أحمد إيمان الله الذى لا إله إلا هو . وهو تاجيد  
 أهل . وهو على كل شىء قدير . وأصلى على سيد ولد آدم ، وخير خلق  
 الله جميعين ، وسيد رسل العالمين : إلى الأسمد . والأحمر . والجن  
 والإناس . بشيرا المؤمنين ، ونذيرا للكافرين . أتمم الصلاة وأفضلها .  
 وأشرفها وأكملها ، دائمة إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما  
 كثيرا .

وبعد . فجنز والجماعة فى نعم الله الكاملة . ومننه الشاملة . التي  
 تموت العداء والإحصاء . وتعجز العقول عن تصورها وذركها ، وتُحصَرُ  
 ( ١٨ - العقود الدرة )

الألسُن عن نعتها ووصفها ، فضلا عن كتابتها . فتنسأل الله العظيم أن يُؤزَّعَنا شكرَها . وأن يديمها علينا وعلى جميع الاخوان والمؤمنين . إنا الجواد الكريم .

فمنها : نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس . فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا ، يكيدون بها الاسلام وأهله . وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب . فانقلب عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة ، وانعكست من كل الوجوه ، وأصبحوا وما زالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه . يتقطَّعون حسرات وندما على ما فعلوه . وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى الأخ ، متقبلين لما يذكره وينشره ، من كتاب الله وسنة رسوله والخط والوقعة في أعدائهما من أهل البدع والضلالات . والكفر والجهالات ، خصوصا أخبث الملاحدة والاتحادية ، ثم الجهمية

واتفق أنه وجد بها إبليسَ الحادهم ، قد باض وفرَّخ ، ونصب به عرشه ودَوَّخ ، وأضلَّ بها فريق السبعينية والعربية<sup>(١)</sup> ، فمزَّق الله به بقدمه الثغر جمعهم ، شَذَرَ مَذَرَ ، وهتك أسرارهم وكشف رمزهم<sup>(٢)</sup> الحاد والكفر وأسرارهم وفضحهم ، واستتاب جماعات منهم ، وتوبَّ رئيس من رؤسائهم ، وإن كان عند عباد الله المؤمنين حقيرا ، وصنَّف هذا

(١) نسبه الى ابن سبعين وابن عرى

(٢) كذا بالأصل . ولعلَّ صحه العبارة : وكشف رمزهم في الحادهم ،

وهتك أسرارهم



التائب كتابا في كشف كفرهم وإلحادهم ، وكان من خواص خواص  
 اللعين عدو الله ورسوله نصير الملحدين <sup>(١)</sup> ، واشتهر ذلك واستقر عند  
 عموم المؤمنين . وخواصهم ، من أمير وقاض ، وفتية ومفتي وشيخ ،  
 وعموم المجاهدين ، إلامن شذ من الأغمار الجهال ، مع الذلة والصغار .  
 حذرا على نفسه من أيدي المؤمنين وأستهم ، وعلت كلمة الله بها  
 على أعداء الله ورسوله ، وأعنوا لعنا ظاهرا في مجامع الناس بالاسم الخاص .  
 وصار بذلك عند نصير الملحدين المقيم المقعد . ونزل به من الخوف  
 والذل ما لا يعبر عنه ، وهم أن يكيد كيذا آخر ، فوقع ما وقع عندهم  
 . نشأ من الأمر المزعج ، والكرب المقلق ، والبلاء العظيم والذل ،  
 . ستعطاف من كانوا لا يلتفتون إليه بالأموال والأنفس ، والتذلل ،  
 حتى رقى بعض الأصحاب لهم ، فزجر عن ذلك . وقيل له ( ولا تأخذكم  
 بهم رأفة في دين الله ) . إلى أمور كثيرة من الحزن والبلاء ، مما لا يمكن  
 بصفه ، فنسأل الله العظيم أن يعجل تمام النعمة <sup>(٢)</sup> عليهم . وأن يقطع  
 دأرهم ، وأن يريح عباده وبلادهم منهم ، وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله  
 وعباده عليهم ، وأن يوزعنا شكر هذه النعمة ، وأن يمتها علينا . وعلى  
 سائر المؤمنين .

(١) هو نصر المنبجي الاتحادي

(٢) كان بدله في الأصل النعمة

وغير خاف عنك سيرتنا :

إذا أعجبتك خصال امرئ \* فكُنْهُ يكن <sup>(١)</sup> ما يعجبك

فليس لدى المجد والمكرما \* ت إذا جئتها حاجب يحجبك

فأسأل الله العظيم ، أن يعينك ويُمَدِّدك ، ويؤيدك بروح منه .  
وأن يُقَرِّبَكَ أعين المؤمنين ، وأن يخزى بك الكفار والمنافقين ، وأن  
يوفقك لما يحبه ويرضاه ، وأن يتولاك في جميع الأمور ، ويعينك على  
القيام فيها بما يرضى الله ورسوله .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وعلى السعيدة الكريمة  
الطيبة التي رضى الله عنها وأرضاها ، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة داره  
ومأواها ، وأراها وجهه الكريم في دار النعيم : الوالدة التي منحها الله  
تعالى - في آخر عمرها - هذه الكرامة العظيمة ، والمنزلة الرفيعة ،  
والدرجة العالية ، وأكملُ السلام وأتمناه .

وعلى جميع الأهل والاخوان ، والأصحاب والمعارف والجيران ،  
كبيرهم وصغيرهم ، قريبهم وبعيدهم ، كل فرد فرد له السلام .

---

(١) بهامش الأصل : لعله « يكن منه » أو « فيه » أو ما يقاربه .  
أبو اسمعيل يوسف حسين عفى عنه

وغير خاف عنهم العجز عن حصرهم .

فالله تعالى يرضى عن جميعهم ، ويجمعنا وإياهم — بعد نصر دين الله

ورسوله — على ما يحبه ويرضاه .

وكتب والخاطر مشغول بامر المسلمين ، لحدوث امر يذكره لكم

الشيخ عبد الله .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وسلم تسليما

\*\*\*

قلت : بقى الشيخ بغير الاسكندرية ثمانية أشهر ، مقيم بـ برج مالمح

مرف . له شبا كان أحدهما إلى جهة البحر ، يدخل إليه من شاء .

تردد إليه الأكابر والأعيان ، والفقهاء يقرأون عليه و يبحثون معه ،

و يستفيدون منه .

\*\*\*

## [ احضار الشيخ من سجن الاسكندرية ]

إلى القاهرة

\* فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك ،  
وقدومه إلى دمشق ، وتوجه منها إلى مصر — وكان قدومه إليها  
عيد الفطر ، من سنة تسع وسبعائة — نقذ لإحضار الشيخ من  
الاسكندرية في اليوم الثامن من شوال .

٧٩

وخرج الشيخ منها متوجها إلى مصر ، ومعه خلق من أهلها يودعون ،  
ويسألون الله أن يرده إليهم . وكان وقتا مشهودا .  
ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر .

واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه . وأكرم  
وتلقاه في مجلس ، حفل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء . وأصاب  
بينه وبينهم .

ولقد أخبرني بعض أصحابنا قال :

أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي . قاضي العساكر المنصورة .  
فيما تذكرت أنا وهو ذات ليلة ، حين كان الشيخ تقي الدين معتقلا  
في القلعة المنصورة — يعني قلعة دمشق — وقد أشاع بعض الجهة

وأرجف بعض المبغضين للسنة بأخبار مختلفة ، لاحقيقة لها ، لكن وقع  
في نفوس أصحاب الشيخ من ذلك ما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ،  
وما ذاك إلا من شدة الشفقة والحبة .

فقلت له — فيما تحدثنا به : إن الناس يقولون : كيت وكيت . وأن  
الشيخ ربما يخرج من القلعة ويدعى عليه ، ويعزّر ويطاق به .  
فقال : يا فلان هذا لا يقع منه شيء ، ولا يسمح السلطان — خلد  
الله سعاده — بشيء من ذلك . وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء  
و بعلمه ودينه ،

ثم قال : أخبرك بأمر عجيب ، وقع من السلطان في حق الشيخ  
تبقى الدين ، وذلك حين توجه السلطان إلى الديار المصرية ، ومعه القضاة  
والأعيان ، ونائب الشام الأفرم .

الحا

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته ، وهرب سلار والشنكير .  
واستقر أمر السلطان ، جلسا يوما دسست السلطنة وأبته الملك ، وأعيان  
الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده ، وقضاة مصر عن يمينه ،  
وقضاة الشام عن يساره — وذكري كيفية جلوسهم منه ، كحسب منازلهم —  
قال : وكان من جملة من هناك ابن صصري ، عن يسار السلطان ، وتحتة  
الصدر على قاضي الحنفية ، ثم بعده الخطيب جلال الدين . ثم بعده ابن

الزملكاني قال. وأنا إلى جانب ابن الزملكاني. والناس جلوس خلفه، والسلطان على مقعد مرتفع، فبينما الناس على ذلك جلوس إذ نهض السلطان قائماً. فقام الناس، ثم مشى السلطان، فنزل عن تلك المقعدة. ولا ندرى ما به. وإذا بالشيخ تقي الدين ابن تيمية — رحمه الله — مقبل من الباب والسلطان قاصد إليه، فنزل السلطان عن الإيوان. والناس قيام. والقضاة والأمراء والدولة. فتسلم هو والسلطان وتكارشا<sup>(١)</sup>. وذهبا إلى صُفَّة في ذلك المكان، فيها شباك إلى بستان، فجلسا فيها حيناً. ثم أقبلا — ويد الشيخ في يد السلطان — فقام الناس. وكان قد جاء في غيبة السلطان تلك: الوزير نحر الدين بن الخليل، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن مصري. فلما جاء السلطان جلس على مقعده. وجاء الشيخ تقي الدين فجلس بين يدي السلطان على طرف مقعده متربعا. فشرع السلطان يُثني على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء مسمعه من غيره قط. وقال كلاماً كثيراً. والناس تقول معه. ومثله القضاة والأمراء.

وكان وقتاً عجيباً. وذلك مما يسوء كثيراً من الحاضرين من أبناء

جنسه.

---

(١) كذا بالأصل. ولعلها: وتسارا



وقال في الشيخ من الثناء والمباغة مالا يقدر أحد من أخص أصحابه  
أن يقوله .

ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الدّمة قد بذلوا المديون في  
كل سنة سبعمائة ألف درهم ، زيادة على الجالية ، على أن يعودوا إلى لبس  
العمائم البيض ، المعلّمة بالحمرة والصفرة والزرقة ، وأن يُعقّوا من هذه العمائم  
المصبّغة كلها بهذه الألوان ، التي ألزمهم بهاركن الدين الشاشنكير .  
فقال السلطان للقضاة ومنّ هناك : ماتقولون ؟  
فسكت الناس .

فلما زأهم الشيخ تقي الدين سكتوا جثا على ركبتيه ، وشرع يتكلم مع  
السلطان في ذلك بكلام غليظ ، ويردّ ما عرضه الوزير عنهم ردّا عنيفا ،  
والسلطان يسكته بترفق وتؤدة وتوقير  
فبالغ الشيخ في الكلام . وقال مالا يستطيع أحد أن يقرم بمثله ،  
ولا بقريب منه .

حتى رجع السلطان عن ذلك ، وألزمهم بما هم عليه . واستمروا على  
هذه الصفة .

فهذه من حسنات الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ورضي الله  
عنه آمين .

قال : هذا ملخص ما أخبرني به رحمه الله .

\*\*\*

و كنت جلست يوما إلى قاضي القضاة : صدر الدين قاضي الحنفية .

فقال لي ، وهو يضحك . تحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية ؟

فقلت : نعم .

فقال : والله تحب شيئا مليحا ، و حكى لي قريبا مما ذكر ابن القلانسي ،

لكن سياق ابن القلانسي أبسط وأتم .

\*\*\*

### [ حلم الشيخ وعفوه عن ظلمه ]

وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله يذكر : أن السلطان

لما جلسا بالشباك ، أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله .

واستفتاه في قتل بعضهم

قال : ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم ، لما خاعوه ،

وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .

فشرعت في مدحهم والثناء عليهم ، وشكرهم ، وأن هؤلاء لو ذهبوا

لم تجد مثلهم في دولتك ، أمّا أنا فهم في حلٍّ من حقّي ومن جهتي .

وسكنت ما عنده عليهم

قال : فكان القاضي رين الدين ابن مخلوف - قضى المال - كنية - يقيم  
مد ذلك : مارأينا ألقى من ابن تيمية ، لم نبق مكنافى السعى فيه . ولما  
قدّر علينا عفا عنا .

\*\*\*

ثم إن الشيخ - بعد اجتماعه بالسلطان - نزل إلى القاهرة . وسكن  
بالقرب من مشهد الحسين ، وعاد إلى بث العلم ونشره . والخلق يشتغلون  
عليه ويقرأون ، ويستفتونه ويحجهم بالكلام والكتابة . والأمراء  
والأكابر والناس يترددون إليه . وفيهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع

فقال : قد جعلت الكل في حل مما جرى

وبعث الشيخ كتابا إلى أقاربه وأصحابه بدمشق . يذكر ما هو فيه  
من النعم العظيمة والخير الكثير . ويطلب فيه جملة من كتب العلم  
يرسل بها إليه . وقال في هذا الكتاب :

## [ كتاب الشيخ الى أقاربه بدمشق ]

تعلمون أننا بحمد الله في نعم عظيمة ، ومنن جسيمة ، وآلاء  
متكاثرة ، وأيادٍ متظاهرة . لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال . ولاندور  
لهم في خيال . والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه . كما يحب ربنا ويرضى .  
إلى أن قال :

والحق دائما في انتصار وعلو وازدياد ، والباطل في انخفاض وسيفال  
ونفاد . وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل ، وطاب أكارهم  
من السلم والالتقياد ما يطول وصفه .

ونحن — والله الحمد — قد اشترطنا عليهم في ذلك من الشروط ما فيه  
عز الاسلام والسنة ، وانقماص الباطل والبدعة ، وقد دخلوا في ذلك كله .  
وامتنعنا . حتى يظهر ذلك إلى الفعل . فلم تثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجبههم  
إلى مطلوبهم ، حتى يصير المشروط معمولا ، والمذكور مفعولا ، ويظهر  
من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو  
سيئاتهم . وقد أمد الله من الأسباب التي فيها عز الاسلام والسنة . وقمع الكفر  
والبدعة ، بأمور يطول وصفها في كتاب . وكذلك جرى من الأسباب التي هي  
عز الاسلام وقمع اليهود والنصارى ، بعد أن كانوا قد استطالوا وحصت لهم

شوكة ، وأعلمهم من أعلمهم على أمرٍ فيه ذلٌّ كبير من الناس ، فلفظ  
الله باستعمالنا في بعض ما أمر الله به ورسوله . وجرى في ذلك ما فيه  
عز المسلمين ، وتأليف قلوبهم ، وقيامهم على اليهود والنصارى وذل  
المشركين وأهل الكتاب ، مما هو من أعظم نعم الله على عباده المؤمنين .  
ووصف هذا يطول .

وقد أرسلت إليكم كتابا أطاب ما صنفته في أمر الكنائس ، وهي  
كراريس بخطي ، قطع النصف البلدي ، فترسلون ذلك إن شاء الله  
تعالى . وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المزيّ فانه يُقَاب الكتب  
ويخرج المطلوب . وترسلون أيضا من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخط  
القاضي أبي الحسين ، إن أمكن الجميع ، وهو أحد عشر مجلدا ، وإلا فمن  
أوله مجلدا ، أو مجلدين ، أو ثلاثة ، وذكر كتبها يطلبها منهم  
ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من الاشتغال بتعليم الناس ونفعهم  
وموعظهم والاجتهاد في سبل الخير .

\*\*\*

إقامة جماعة من الغوغاء على الشيخ بجامع مصر

وضربه وقيام أهل الحسينية وغيرهم انتصارا للشيخ

ثم صفحه هو عن آذوه ]

فلما كان في رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبع مائة جا .

رجل - في بغنى - إلى أخيه الشيخ شرف الدين ، وهو في مسكنه بالقاهرة .  
فقال له : إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ ، وتفردوا به  
وضربوه .

فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . وكان بعض أصحاب الشيخ جالسا  
عند شرف الدين . قال : قممت من عنده . وجئت إلى مصر . فوجدت  
خائفا كثيرا من الحسينية وغيرها رجالا وفرسانا يسألون عن الشيخ .  
فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب الممايك على البحر . واجتمع عنده  
جماعة ، وتتابع الناس . وقال له بعضهم : ياسيدى ، قد جاء خلق من  
الحسينية ، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا  
فقال لهم الشيخ : لأى شىء ؟ قال : لأجلك

فقال لهم : هذا ما يحق

فقلوا : نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك فنقتلهم ونخرب  
دورهم . فانهم شوّشوا على الخلق ، وأثاروا هذه الفتنة على الناس  
فقال لهم : هذا ما يحل

ولوا : فهذا الذى قد فعلوه معك يحل ؟ هذا شىء لا نصبر عليه ، ولا بد  
أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا  
والشيخ ينههم ويزجرهم



فلما أكثروا في القول قال لهم : إما أن يكون الحق لي ، أولكم ،  
أو لله . فإن كان الحق لي فهم في حلٍّ منه . وإن كان لكم فإن لم تسمعوا  
منى ولا تستفتوني فافعلوا ما شئتم . وإن كان الحق لله . فالله يأخذ حقه  
إن شاء كما يشاء

قالوا : فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم ؟  
قال : هذا الذي فعلوه قد يكونون مثاين عليه مأجورين فيه  
قالوا : فتسكون أنت على الباطل وهم على الحق ؟ فإذا كنت تقول :  
إنهم مأجورين فاسمع منهم ووافقهم على قولهم .  
فقال لهم : ما الأمر كما ترعمون . فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين  
فعلوا ذلك باجتهادهم . واجتهد المخطيء له أجر .

فلما قال لهم ذلك . قالوا : فقم واركب معنا ، حتى نجيء إلى القاهرة  
فقال : لا . وسأل عن وقت العصر ف قيل له : إنه قريب . فقام  
وصدا إلى الجامع لصلاة العصر .

ف قيل له : ياسيدي قد تواصلوا عليك ليقتلوك . وفي الجامع قد  
يتمكنون منك ، بخلاف غيره . فصل حيث كان .  
فأبى إلا المضي إلى الجامع والصلاة فيه .  
فخرج وتبعه خلق كثير لا يرجعون عنه . فضاقت الطريق بالناس

فقال له من كان قريبا منه : ادخل إلى هذا المسجد — مسجد في الطريق — واقعد فيه حتى يخف الناس ، لئلا يموت أحد من الزحام .  
فدخل ولم يجلس فيه . ووقف وأنا معه . فلما خف الناس خرج طلب الجامع العتيق . مرة في طريقه على قوم يلاعبون بالشطرنج على مسطبة بعض حوائيت الحدادين . فنفض الرقعة وقلبها . فبهت الذي يلاعب بها والناس من فعله ذلك .

ثم مشى قاصدا للجامع ، والناس يقولون : هنا يقتلونه ، السامة يقتلونه .

فلما وصل إلى الجامع قيل : الساعة يغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويقتلون .

فدخل الجامع ودخلنا معه . فصلى ركعتين . فلما سلم منها أذن المؤذن بالعصر ، فصلّى العصر . ثم افتتح بقراءة : ( الحمد لله رب العالمين ) ثم تكلم في المسألة التي كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب .

فخرج أتباع خصومه . وهم يقولون : والله لقد كنا غالطين في هذا الرجل لقيامنا عليه . والله إن الذي يقوله هذا ، هو الحق . ولو تكلم هذا بغير الحق لم نعلمه إلى أن يسكت ، بل كنا نبادر إلى قتله ، ولو كان هذا يبطن خلاف ما يظهر لم يخف علينا . وصاروا فرقتين يخاصم بعضهم بعضا .

قال : ورُحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبقنا عنده .

\*\*\*

### [ واقعة أذى فى أذى الشيخ بمصر ]

وفال الشيخ علم الدين : وفى العشر الأوسط من رجب من سنة  
بمصر ، وقع أذى فى حق الشيخ تقى الدين بمصر ، وظفر  
به بعض المبغضين له فى مكان خال . وأساء عليه الأدب . وحضر جماعة  
كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له . فلم  
يجب إلى ذلك .

وكتب إلى المقاتلى يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر ، يعرف  
بـ . حصل منه إساءة أدب ثم بعد ذلك طلب وتودد . وشفع  
فـ جماعة . والشيخ مات كـ ولا اشتكى . وأو حصل منه شكوى أهين  
دغاية الاهانة ، لكن قال : أنا ما انتصر لنفسى .  
وأقام الشيخ بعد هذا مدة بالديار المصرية .

### [ خروج الشيخ إلى الشام مع الجيش المصرى ]

ثم إنه توجه إلى الشام ، صحبة الجيش المصرى قاصدا الغزاة .  
( ١٩ — العقود الدرية )

فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس ، وتوجه منه إلى دمشق . وجعل طريقه على عجلون وبعض بلاد السواد . وزرع .  
ووصل إلى دمشق في أول يوم من شهر ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة . ومعه أخواه وجماعة من أصحابه . وخرج خلق كثير لتلقيه .  
وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته وعافيته .

وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع .  
وقد توفي في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم .

### [ ترجمة الشيخ عماد الدين ابن شيخ الحزاميين ]

منهم الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي ، المعروف بابن شيخ الحزاميين توفي يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وكان رجلا صالحا ورعا ، كبير الشأن ، منقطعاً إلى الله ، متوفراً على العبادة والسلوك .

وكان قد كتب رسالة وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملزمة الشيخ ، والحث على اتباع طريقته ، وأثنى فيه على الشيخ ثناء عظيما .

وهذه نسخة الرسالة التي كتبها .

## كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين

في الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به [

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله وبحمده ، تقدّس في علوه وجلاله . وتعالى  
في صفات كماله . وتعاضل في سُبُحات فراديته وجماله ، وتكرّم في  
إفضاله وجمال نواله ، جل أن يمثّل بشيء من مخلوقاته ، أو يحاط به ،  
ل هو المحيط بمبتدعاته ، لا تصوره الأوهام ، ولا تُقَاله الأجرام ، ولا  
بمقل كنه ذاته البصائر ولا الأفهام .

الحمد لله مؤيد الحق وناصره ، ودافع الباطل وكاسره ، ومعرز الطائع  
وجابره ، ومذل الباغي ودائرته ، الذي سعد بخطوة الاقتراب من قدسه  
من قام بأعباء الاتباع في بنائه <sup>(١)</sup> وأسه ، وفاز بمحبو بيته في ميادين  
أنسه من بذل ما يهواه في طلبه من قلبه وحسه ، وتشبّت في مهامه  
الشكوك منتظرا زوال لبسه ، سبجانه وبحمده له المثل الأعلى ، والنور  
الآتم الأجلّ ، والبرهان الظاهر في الشريعة المثلّ .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . الذي شهدت لوحده .  
الفطر . وأسلم له بيته ذو العقل والنظر ، وظهرت أحكامه في الآي  
والسور ، وتم اقتداره في تنزل المدر .

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، أنى شهد  
بنيوه الموانف والأحمار . فكان قبل ظهوره ينتظر . وتلاحقت عنه  
مبعثه معجزاته من حنين الجذع وانقياد الشجر . صلات الله عليه وعلى  
آله وأصحابه أهل الحشمة والحذر . والعلم المنور ، فهم قدوة الناس  
للأثر .

وبعد . فهذه رسالة سطرها العبد الضعيف الراجي رحمة ربه  
وغفرانه . وكرمه وامتنانه . أحمد بن إبراهيم الواسطي . عامله الله عنده  
أهله . فبه أهل التقوى وأهل المغفرة .

إلى إخوانه في الله السادة العلماء ، والأئمة الأتقياء ، ذوي العلم  
النافع ، والقلب الخاشع ، والنور الساطع ، الذين كساهم الله كسوة  
الأنبياء ، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع : -

السيد الأجل العالم . القاض نضر الحداثي . ومصباح المتعبد  
المتوجه إلى رب العالمين . تقي الدين أبي حمص عمر بن عبد الله بن  
عبد الأحد بن شقير



والشيخ الأجلّ ، العالم الفاضل السالك الناسك ذى العلم والعمل ،  
المسكن من الصفات الحميدة أجمل الخلال ، الشيخ شمس الدين محمد  
ابن عبد الأحد الآمدى

والسيد الأخ ، العالم الفاضل ، السالك الناسك ، التقى الصالح ،  
الذى سيماء نور قلبه لائح على صفحات وجهه ، شرف الدين محمد  
بن المنجى .

والسيد الأخ ، الفقيه العالم النبيل ، الفاضل فخر الحصاين ، زين  
ابن ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيدان البعلبكي

والسيد الأخ العالم الفاضل . السالك الناسك ، ذى اللب الراجح  
ممل الصالح ، والسكينة الوافرة ، والفضيلة الغامرة . نور الدين محمد بن  
محمد بن محمد بن الصائغ .

وأخيه السيد الأخ ، العالم التقى الصالح ، الخير الدين ، العلم  
بن . الأمين الراجح ، ذى السمات الحسن . والدين المتين ، فى اتباع  
بن . نور الدين محمد

والأخ العزيز الصالح ، الطالب اطريق ربه ، والراغب فى مرضاته  
بن . العالم الفاضل ، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله  
بن نجيب .

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الامام ، الأئمة <sup>(١)</sup> اهرم ، محي السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتى الفرق ، الفائق عن الحقائق ، وموصلها بالاصول الشرعية للطالب الذائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضى بالحق ظاهرا وقلبه في العلى قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأئمة حذوهم وسبلهم ، فذكرهم بها الشيخ ؛ فكان في دارس نهجهم سالكا ، ولموات حذوهم محييا ، ولأعنة قواعدهم مالكا : الشيخ الامام تقى الدين أبو العباس ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ، أعاد الله علينا بركته ، ورفع إلى مدارج العلى درجته . وأدام توفيق السادة المبدؤ بذكرهم وتسديدهم ، وأجزل لهم حظهم . ومزيدهم .

السلام عليكم معشر الاخوان ورحمة الله وبركاته ، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نوائب الحق جأشه ، واحتسب لله ما بذله من نفسه في إقامة دينه ، وما احتوشته من ذلك وحاشه ، واحتذى حذو السبق الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم .

---

(١) قال ابن مسعود رضى الله عنه : الامة . معلم الخير اه بغوى اه

فما ضرَّهم من خذلهم ولا من خالفهم ، مع قلة عددهم في أول الأمر ،  
فكانوا مع ذلك كلِّ منهم مجاهد بدين الله قائم . ونرجو من كرم الله  
تعالى أن يوفقنا لأعمالهم ، ويرزق قلوبنا قسطاً من أحوالهم ، وينظمننا في  
سالكهم ، تحت سجعَتهم ولوائهم ، مع فائدهم وإمامهم سيد المرسلين ،  
وإمام المتقين ، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .  
أذكركم رحمكم الله بما أنتم به عالمون . عملاً بقوله تعالى ( وذكروا  
فإن الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ )

وأيذاً من ذلك بأن أوصى نفسه وإياكم بتقوى الله . وهى وصية  
الله تعالى إيلينا وإلى الأمم من قبلنا ، كما بين سبحانه وتعالى قاتلاً  
وموصياً : ( ولقد وصَّينا الذين أُوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وإيَّاكم أَنْ  
اتَّقُوا اللَّهَ ) .

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب ، بحسب الأوقات  
والأحوال : من الأقوال ، والأعمال ، والإرادات ، والنيات .

وينبغي لنا جميعاً أن لا تنفع من الأعمال بسورها حتى نطابق قلوبنا  
بين يدي الله تعالى بحقائقها . ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية ، تترامى إلى  
أوطان القرب ، ونفحات المحبوبة والحب . فالسعيد من حظى من ذلك  
نصيب . وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريباً بخصوص التقريب .

فيكتسى العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم ، للعزیز العظیم ، فالحب<sup>١</sup>  
والخشية ثابتان في الكتاب العزيز والسنة الماثورة . قال تعالى : ( يُحِبُّهُمْ  
وَيُحِبُّوْنَهُ <sup>(١)</sup> ) ( والذين آمنوا أشدَّ حُبًّا لله <sup>(٢)</sup> ) وقال تعالى : ( إِنَّمَا  
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادَةِ الْعُلَمَاءِ <sup>(٣)</sup> ) وفي الحديث « أسألك حبك وحب  
من أحبك وحب عمل يقربني إلى حبك <sup>(٤)</sup> » وفي الحديث « لو تعلمون  
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ  
تجأرون إلى الله <sup>(٥)</sup> »

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية ، في مقام  
أعلى من مقام . ونصيب أرفع من نصيب ، فلتكن همه أحدنا من  
مقامات الحب والخشية أعلاه ، ولا يقع إلا بذروته وذراه ، فلههم القصيرة

(١) سورة المائدة آية ( ٥٢ )

(٢) سورة البقرة آية ( ١٦٥ )

(٣) سورة فاطر آية ( ٢٨ )

(٤) رواه الترمذی عن ابن عباس في دعاء طويل .

(٥) رواه الامام أحمد والبخاری ومسلم والترمذی والنسائي عن  
أنس بدون قوله « ولخرجته الخ » وهو بهذه الزيادة عند الطبرانی في  
الكبير والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء .

تقنع بأيسر نصيب ، والهمم العالية تعلو مع الانقاس إلى قريب الحبيب  
لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل ، والعاقل لا يقنع بأمر مفهم  
عن حال فاضل . واتمكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة ،  
وتحصيل المقامات الباطنة . فليس من الإنصاف الانصباب إلى الظواهر  
والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر .

وليكن لنا جميعا بين الليل والنهار ساعة ، نخلو فيها بربنا جل  
اسمه وتعالى قدسه ، نجتمع بين يديه في تلك الساعة همومنا ، ونخرج  
أشغال الدنيا من قلوبنا ، فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار ، فبذلك  
يعرف الإنسان حاله مع ربه ، فمن كان له مع ربه حال . تحركت في  
تلك الساعة عزائمه . وابتهجت بالحبة والتعظيم سرائره ، وطاربت إلى  
العلي زفراته وكوامنه . وتلك الساعة أمموزج لحالة العبد في قبره ، حين  
خلوه عن ماله ورحبته . فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار ، لما احتوشه من  
الهموم الدنيوية وذوات الآصار . فليعلم أنه ليس له ثم رابطة عالية ،  
ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبة ، فليبك على نفسه ، ولا يرضى منها  
إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه .

فاذا حصلت لله تلك الساعة ، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على  
نمطها من الحضور والخشوع ، والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع

فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع  
 عشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار ، نعبد فيه حق عبادته ،  
 نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج في رعايته ، وذلك طريق  
 لجميعا إن شاء الله تعالى إلى النفوذ ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصل  
 له لشرط الظاهر ، وفاته الشرط الباطن . لا تصاف قلبه بالجود . وبعده  
 في العباد والتلاوة عن لين القلوب والجلود . كما قال تعالى : (تَقْشَرُّ مِنْهُ  
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَابِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>)  
 وبذلك يرتقى الفقيه عن فقهاء عصرنا . ويتميز به عنهم ، فالنافذ من الفقهاء  
 له بصيرة المنورة ، والذوق الصحيح ، والفراسة الصادقة ، والمعرفة التامة ،  
 والمهابة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمتها . ومن لم ينفذ لم تكن له  
 هذه الخصوصية ، وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها .  
 فيتعين علينا جميعا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ، وتقائه  
 بذوق الإيقان ، لنعبد كآئنا نراه . كما جاء في الحديث<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الزمر آية (٢٣)

(٢) حديث جبريل في سؤاله عن الاسلام والايمان والاحسان  
 فقال له « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »  
 رواه البخاري ومسلم عن عمر وعن ابنه رضى الله عنهما



وبعد ذلك الحظوة في هذه الدار بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيبا في غيب ، وسرا في سر ، بالكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها . فتبقى البصيرة شاخصة إليه ، تراه عيانا في الغيب ، كأنها معه صلى الله عليه وسلم ، وفي أيامه . فيجاهد على دينه . ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته .

وكذلك من سلك في طريق النفوذ يُرجى له أن يلقي ربه بقلبه غيبا في غيب ، وسرا في سر ، فيرزق القلب قسطا من المحبة والخشية . والتعظيم اليقيني ، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق . وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ . ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال ، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد . ويبقى له كيفية أخرى زائدة على السلفية المعهودة من البهجة والأنوار والقوة في الاعلان والاسرار .

فلا ينبغي لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية ، بشواغل الدنيا وهمومها ، فننقطع بذلك — كما تقدم — بالشئ المفضول عن الأمر المهم الفاضل . فاذا سلكنا في ذلك برهة من الزمان ، ورزقنا الله تعالى نفوذا ، وتمسكنا في ذلك النفوذ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات السكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى .

ولا يمكن شأن أحدنا اليوم : التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل  
العلمية ، والتوجهات القلبية ، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن  
الآخرين . فيفوته المطلوب . ومتى اجتهد في التعديل فإنه إن شاء الله تعالى  
بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم ، حصل جزءاً من الآخر . ثم بالصبر  
على ذلك تجتمع الأجزاء المحصنة ، فتصير مرتبة عانية عند النهاية — إن  
شاء الله تعالى .

هذا وإن كنتم — أيكم الله تعالى — بذلك عالمين ، لكن  
الذكرى تنفع المؤمنين

## فصل

واعلموا يا أيكم الله — أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى  
في هذا العصر ، حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء  
في الحيوان الأسود . لكن من لم يسافر إلى الأقطار ، ولم يتعرف أحوال  
الناس ، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية . فأنتم إن شاء الله تعالى  
في حق هذه الأمة الأولى كما قال تعالى ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ  
لِلدُّنْيَا ) تأمروا بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله <sup>(١)</sup> ) وكما

(١) سورة آل عمران آية (١١٠)

قال تعالى . ( الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ  
وَأَمَرُوا بِأَمْرٍ عَرُوفٍ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ )<sup>(١)</sup>  
أصبحتم إخواني تحت سَنَجِق<sup>(٢)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن  
شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره  
رضي الله عنه . قد تميزتم عن جميع أهل الأرض ، فقهائهم وفقرائهم ،  
وصوفيتهم ، وعوامهم : بالدين الصحيح .

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث ، في الفقهاء والفقراء  
والصوفية والعوام . فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء . نصرتم الله  
ورسوله في حفظ ما أضاءه من دين الله ، تصاحبون ما أفسده من تعطيل  
صفات الله .

وأنتم أيضا في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وحمد على مجرد تقليد الأئمة فانكم قد نصرتم الله  
ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة ، واتحاد أقوال  
الأئمة ، تأسيساً بهم لاتقليد لهم .

وأنتم أيضا في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية

(١) سورة الحج آية (٤١)

(٢) أي تحت لوائه ورايته

من إظهار شعار المكاء والتَّصَدِية<sup>(١)</sup> ، ومؤاخاة النساء والصبيان ،  
والاعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم ، واستنادهم  
إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطائهم ، وإعراضهم عن دين  
الله الذى أنزله من السماء . فأنتم بحمد الله نجاهدون هذا الصنف أيضا  
ماتجاهدون من سبق . حفظتم من دين الله ما أضاعوه . وعرفتم ما جهلوه  
تقومون من الدين ما عوجوه ، وتصاحون منه ما أفسدوه .

---

(١) الذى هو شعار كفار مكة في عبادتهم الباطلة التى قال الله تعالى في وصفها  
(وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) والمكاء الصغير ، والتصدية  
التصفيق . وذلك مثل ما يصنع اليوم أهل الطرق وضلال المتصوفة في  
حلقات رقصهم الشيطاني وهوهم النسوانى ، الذى يسمونه زوزوا وبهتاننا  
ذكر الله ، وكذبوا ، خيبهم الله وأضلهم وأخزاهم . يقوم ناعقهم بنشد بالغو  
القول وفسوقه : من وصف النسوان والمردان والخمر والسكرارى ، ومعه  
مصفر بالعفاطة ، وشيطانهم الاكبر ، وعجلهم الاكفر في وسط الحلقة  
يدق على يديه . ويصفق لهم على كفيه ، على نغمة الصفارة ، وهم يتمايلون على هذه  
النغمات ويتصايحون بتلك الآهات . ويتواجدون تواجد السكرارى الثملين  
ويتشاهقون شهيق المجانين . مضاهاة لما كان عليه سلفهم الكافرين . من عبدة  
العجل إخوان السامرى وأبى جهل وحزبه اللعين . فأولئك هم والله  
أعداء الرحمن . وحزب الشيطان ( ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون )  
طهر الله الأرض منهم . ودمر على مجالسهم . وأراح الناس من شرهم

وانتم أيضا في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء . وما أحدثوه من الرسوم  
المنعمية ، والآصار الابتداعية ، من التصنع باللباس ، والاطراق والسجادة  
ابل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار ، والا كما الواسعة في حضرة الدرس ،  
وميق الكلام ، والعدو بين يدي المدرس راكعين ، حفظا المناصب ،  
و استجلابا للرزق والادرار

نحاط هؤلاء في عبادة الله غيره ، وتألهوا سواه . ففسدت قلوبهم  
من حيث لا يشعرون . يجتمعون لغير الله بل للمعلوم ، ويبسبون للمعلوم  
وذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولادة المعلوم . فضيموا كثيرا من  
دين الله وأماؤه . وحفظتم أنتم ماضيهم ، وقومتم ما عوجوه

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية  
من قولهم بالحلول والاتحاد ، وتأله الخلقات . كالْيُونُسِيَّة ، والعربية ،  
والصدريَّة ، والسبعينية ، والتلمسانية . فكل هؤلاء بدلوا دين الله  
نعالى وقلوبه . وأعرضوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالْيُونُسِيَّة يتألهون شيخهم ، ويجعلونه مظهر الحق ، ويستهيئون  
بمبادات ، ويظهرون بالفرعنة والصولة ، والسفاهة والمحالات ، لما وقر  
في بواطنهم من الخيالات الفاسدة ، وقبلتهم الشيخ يونس . ورسول الله

صلى الله عليه وسلم والقرآن المجيد عنهم بمعزل ، يؤمنون به بالسنتهم ،  
ويكفرون به بأفعالهم

وكذلك الاتحادية ، يجعلون الوجود مظهرا للحق ، باعتبار أن لا  
متحرك في الكون سواه ، ولا ناطق في الأشخاص غيره . وفيهم من  
لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كموج البحر ، فلا يفرق بين  
عين الموجة وبين عين البحر ، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله ، فينطق على  
لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي ، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية  
فمن العابد ومن المعبود ؟ صار الكل واحدا .

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزوايا  
فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضا تنصرون الله ورسوله ،  
وتدثبون عن دينه ، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا وعلى تقويم ما عوجوا  
فان هؤلاء محووا رسم الدين ، وقلعو أثره . فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا  
بل بالغوا في هدم الدين ومحو أثره . ولا قرينة أفضل عند الله من القيم  
بجهاد هؤلاء بمهما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للخاص العام . وكذلك  
جهاد كل من ألحد في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته . كائنا في ذلك  
ما كان من فتنة وقول . كما قيل :

إذا رضى الحبيب فلا أبالي \* أقام الحى أم جد الرحيل  
وبالله المستعان



وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد . تصلحون  
مما فسدوا من المظالم والاجحافات ، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين  
الله ، بما أمكن . وذلك لبعدهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
لأن اليوم له سبع مائة سنة ، فأنتم بحمد الله تجدون ما أثر من ذلك وذثر .  
وكذلك أنتم بحمد قائمون في وجوه العامة ، مما أحدثوا من تعظيم  
الآلادة . والقلندس ، وخميس البيض ، والشعانيين <sup>(١)</sup> ، وتقبيل القبور  
والأحجار ، والتوسل عندها . ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى  
والخاهلية . وإنما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤحد الله ويعبد  
وحده ، ولا يُأله معه شيء من مخلوقاته . بعثه الله تعالى ناسخاً لجميع الشرائع  
والأديان والأعياد . فأنتم بحمد الله قائمون باصلاح ما أفسد الناس من ذلك .  
وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقى الفقهاء ، أهل  
الكيد والضرار ولاولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة . والقلوب التي هي  
عن نصر الحق حائدة .

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى ،  
ويهود ، والرافضة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وأصناف أهل البدع والضلالات

(١) مما يصنعونه في شم النسيم ويعظمونه من أعياد النصارى ، من  
ميلاد المسيح وغيره .

لأن الناس متفقون على ذمهم . يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم .  
ولا يقومون يتوفية حق الرد عليهم كما تقومون . بل يعلمون ويجبنون  
عن اللقاء فلا يجاهدون ، وتأخذهم في الله اللأمة . لحفظ مناصبهم ، وإبقاء  
على أعراضهم .

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء —  
حق القيام — سواكم ، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء إن شاء الله .  
بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا — أيده الله — حق القيام ، بخلاف  
من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك .

فصبرا يا إخواني على ما أقامكم الله فيه ، من نصرة دينه وتقويم  
اعوجاجه ، وخذلان أعدائه . واستعينوا بالله ، ولا تأخذكم فيه لومة لائم .  
وإنما هي أيام قلائل . والدين منصور . قد تولى الله إقامته ونصره ،  
ونصرة من قام به من أوليائه ، إن شاء الله ، ظاهراً وباطناً .

وابذلوا فيما أقيم فيه ما أمكنكم من الأئس والأموال ، والأفعال ،  
والأقوال ، عسى أن تاحتموا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم . فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله ، كما قال خبيث حين  
صُلب على الجذع : —



إلى الحبشة ، وما لقي المهاجرون والأنصار في أحد ، وفي بئر معونة ،  
وفي قتال أهل الردّة ، وفي جهاد الشام والعراق ، وغير ذلك .  
وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله ، حبّاً له ، وشوقاً إليه .  
فكذلك أنتم ، رحمكم الله . كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته .  
بفعله ، وبقوله ، وبخطه ، وبقلبه ، وبدعائه . كل ذلك جهاد . أرجو أن  
لا يخيب من عامل الله بشيء من ذلك . إذ لا عيش إلا في ذلك ، ولو لم  
يكن فيه إلا همهمكم ، مزاحمة لأهل الزيغ ، مشوشة لهم ، تبغضونهم في  
الله ، وتطلبون استقامتهم في دين الله . وذلك من الجهاد الباطن إن  
شاء الله تعالى .

## فصل

ثم اعرفوا إخواني حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك .  
واعرفوا طريقكم إلى ذلك ، واشكروا الله تعالى عليها . وهو أن أقام  
لكم ولنا في هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذي فتح الله به أقفال  
القلوب ، وكشف به عن البصائر عفى الشبهات وحيرة الضلالات .  
حيث تاه العقل بين هذه الفرق ، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول  
صلى الله عليه وسلم

ومن العجب أن كلا منهم يدّعي أنه على دين الرسول ، حتى

كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنزله  
من السماء وارتضاه لعباده .

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقواما يعيشون أعمارهم بين هذه العروق .  
منقادون أن تلك البدع حقيقة الاسلام . فلا يعرفون الاسلام إلا  
هكذا .

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبعانة من الهجرة من  
بينكم أعلام دينكم . وهذا كم الله به وإيانا إلى نهج شريعته .  
بينكم بهذا النور الحمدي ضلالات العباد والخرافاتهم . ففسدتم  
فون الزائف من المستقيم ، والصحيح من السقيم . وأرجو أن تسلموا  
أم الطائفة المنصورة . الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خانهم . وهم  
بشأن إن شاء الله تعالى .

## فصل

ثم إذا علمتم ذلك ، فاعرفوا حق هذا الرجل الذي هم يريدون أن  
يهدروا ، ولا يعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول صلى الله  
عليه وسلم وحقه وقدره . فمن وقع دين الرسول صلى الله عليه وآله  
سلم من قلبه بموقع يستحقه ، عرف حق ما قام به هذا الرجل بين  
المرء عباد الله ، يقوّم معوجّهم ، ويصلح فسادهم . ويأنّ شعشعهم ، جدد  
إمكانه ، في الزمان المظلم . الذي انحرف فيه الدين ، وجهات السنن ،

وعهدت البدع ، وصار المبروف منكرا ، والمنكر معروفا ، والقابض على دينه ، كالقابض على الحجر ، فان أجر من قام باظهار هذا النور في هذه الظلمات لا يوصف ، وخطره لا يعرف . هذا إذا عرفتموه أتم من حيثية الأمر الشرعى الظاهر . فهنا قوم عرفوه من حيثية أخرى من الأمر الباطن . ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، وعظمة ذاته ، واتصال قلبه بأشعة أنوارها ، والاحتذاء من خصائصها وأعلى أذواقها ، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن ، ومن الشهادة إلى الغيب ، ومن الغيب إلى الشهادة ، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر ، وغير ذلك مما لا يمكن شرحه في كتاب .

فشيخكم - أيدكم الله تعالى - عارف بذلك ، عارف بأحكام الله الشرعية ، عارف بأحكامه القدريّة ، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية ، ومثل هذا العارف قد يُبصر ببصيرته تنزل الأمر بين طبقات السماء والأرض . كما قال تعالى ( الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ ، يتنزّل الأمرُ بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كل شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ) (١)



فالناس يحسون بما تجرى في عالم الشهادة . وهؤلاء اصنامهم من خصة  
إلى الغيب ، ينتظرون ما تجرى به الأقدار . يشعرون بها أحياء بعد  
نزلها .

فلاتهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق : واشتغال  
أوقاتهم بهم . فإنهم كما حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قيل له « كما  
ينادى على الله تعالى بين الخلق ؟ فقال : أنا نادى على الخلق بين  
دى الله ؟ »

فإن الله في حفظ الأدب . والافتعال لأوامره . وحفظ  
حرماته في الغيب والشهادة ، وحب من أحبه . ومحبة من أنفسه  
، بنقصه ورد غيبته ، والانتصار له في الحق .

واعلموا رحمكم الله . أن هنا من سافر إلى الأقاليم ، وعرف الناس  
وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم ، فوالله ، ثم والله ثم والله . لا ير  
أديم تحت السماء مثل شيخكم : علما ، وعملا ، وحالا . وخفا ، وانباعا ،  
كرما وحلما . في حق نفسه ، وقيامه في حق الله عند انتهاك حرماته . أصدق  
الناس عقدا ، وأصحهم علما وعزما ، وأهدهم وأعلام في انتصار الحق  
، قيامه همة ، وأسخطهم كفا ، وأكلمهم اتباعا للنبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

مارأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل . بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة .

وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة . فلا ندعى فيه العصمة عن الخطأ ، ولا ندعى إكماله لغايات الخصائص المطلوبة . فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة ، لا يتم الكمال إلا بهاتيك الخصوصية وهذا القدر لا يحمله منصف عارف . ولولا أن قول الحق فريضة ، والتعصب للانسان هوى ، لأعرضت عن ذكر هذا — لكن يجب قول الحق — إن ساء أو سر . والله المستعان .

إذا علمتم ذلك — أيدكم الله تعالى — فاحفظوا قلبه ، فان مثل هذا قد يدعى عظيما في ملكوت السماء . واعملوا على رضاه بكل ممكن واستجلبوا وُدَّه لكم ، وحببه إياكم بهما قدرتم عليه . فان مثل هذا يكون شهيدا ، والشهداء في العصر تبع لمثله ، فان حصات لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها ، وربما يفتن لها الأذكىاء منكم ، وربما سمحت نفسى بذكرها ، كيلا أكتم عنكم نصحي .

وتلك الخصوصية : هي أن ترزقوا قسطا من نصيبه الخاص الحمدي

مع الله تعالى . فان ذلك إنما يسرى بواسطة محبة الشيخ المرید ،  
واستجلاب المرید محبة الشيخ بتأتيه معه ، وحفظ قلبه وخاطره ،  
واستجلاب ودّه ومحبته ، فأرجو بذلك لكم قسطاً مما بينه وبين الله  
تعالى ، فضلاً عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته ، إن شاء  
الله تعالى .

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة  
يحفظ تلك الساعة في الصلوات الخمس والتهجد أن يفتح لكم معرفة حقيقة  
هذا الرجل ونباه إن شاء الله تعالى .

وإنما ذكرت حفظ الساعة -- وإن كان في الصلوات الخمس  
كفاية . إذا قام العبد فيها لحق الله تعالى -- وذلك لأن الصلوات قد  
يهجم على العبد وقلبه مأخوذ في جواذب الظاهر ، فلا يعرف نصيب  
قلبه من ربه فيها ، فإذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرف فيها  
نصيب قلبه من ربه ، فإذا جاءت الصلوات ، عرف فيها حاله وزيادته  
ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة . وبالله المستعان .

## فصل

وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه

وسلم ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذى يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى ،  
والخطوة بقربه . ثم عرفتم اجتماع الأمرين فى شخص معين ، ثم عرفتم  
انحراف الأمة عن الصراط المستقيم ، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر  
والباطن فى وجوه المنحرفين ، بنصر الله تعالى ودينه ، ويقوم معوجهم ،  
ويلئم شعهم ، ويصلح فاسدهم . ثم سمعتم بعد ذلك طعن طاعن عليه  
من أصحابه أو من غيرهم ، فانه لا يخفى عنكم محقُّ هو ، أو مبطل ؟ إن  
شاء الله .

وبرهان ذلك : أن الحق طالب الهدى والحق بغرض عند من  
أنكر عليه ذلك الفعل الذى أنكره ، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام  
بالتلطف عن ذلك النقص الذى رآه فيه ، أو بلفظه عنه ، فان وجد  
هناك اجتهاداً ، أو رأياً أو حجة ، قنع بذلك ، وأمسك ، ولم يُفشِ  
ذلك إلى غيره ، إلا مع إقامة ما يبينه من الاجتهاد ، أو الرأى ، أو الحجة ،  
ليسُدَّ الخلل بذلك . فمثل هذا يكون طالب هدى ، محبباً ، ناصحاً ، يطلب  
الحق ، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتقويضه . كما يروم  
أستاذه تقويمه . كما قال بعض الخلفاء الراشدين <sup>(١)</sup> — ولا يحضرنى  
اسمه — « إذا عوججت فقومونى »

(١) هو أبوبكر الصديق رضى الله عنه — كذا فى المنقول عنه — اهـ من  
هامش الأصل وذلك فى أول خطبة قام بها بعد الخلافة ويروى أيضاً عن عمر :

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب . فان الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به ، ويتَّهم نفسه أحياناً ، ويتعرّف أحواله من غيره ، مما عنده من النِّصْفَة وطلب الحق ، والحذر من الباطل ، كما يطلب المرید ذلك من شيخه من التقويم ، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال .

ومن براهين الحق : أن يكون عدلاً في مدحه ، عدلاً في ذمه ، لا يحمله الهوى — عند وجود المراد — على الإفراط في المدح ، ولا يحمله الهوى — عند تعذر المقصود — على نسيان الفضائل والمناقب ، وتعيد المساوىء والمثالب .

فالحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه ؛ ثابت على ذم من ثلّبه وحطّ عليه .

وأما من عمل كراسة في عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات السكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف ، في هذا الزمان المظلم ، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضائله ، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل ، بل المقصود تلك المثالب . ثم أخذ الكراسة يقرأها على أصحابه واحداً واحداً في خلوة ، يوقف بذلك همهم عن شيخهم ، ويريههم قدحاً فيه . فاني أستخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل ، وأقول

انتصارا لمن ينصر دين الله ، بين أعداء الله في رأس السبعائة ، فان  
نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ :  
« لئن أدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً »<sup>(١)</sup> ثم أسأل الله تعالى  
العصمة فيما أقول عن تعدى الحدود والاخلاد إلى الهوى

أقول : مثل هذا - ولا أعين الشخص المذكور بعينه - لا يخلو  
من أمور : -

أحدها : أن يكون ذا سنّ تغير رأيه لسنّه . لا بمعنى أنه اضطرب  
بل بمعنى أن السنّ إذا كبر يجتهد صاحبه للحق . ثم يضعه في غير  
مواضعه . مثلاً يجتهد أن إزكار المنكر واجب . وهذا منكر . وصاحبه  
قد راج على الناس . فيجب على تعريف الناس ما راج عليهم .  
وتغيب عليه المفاصد في ذلك .

فمنها : تخذيل الطلبة ، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم ، ليأخذوا  
عنه . فتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصا حرّموا فوائده الظاهرة  
والباطنة . وخيف عليهم المقت من الله أولاً . ثم من الشيخ ثانياً

المفسدة الثانية : إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون  
الليل والنهار بالجهاد والتوجه في وجوههم لنصرة الحق : أن فيه أصحابنا



من ثلب رئيس القوم بمثل هذا . فانهم يتطرقون بذلك إلى الاشتفاء من أهل الحق ويحعلونه حجة لهم .

المفسدة الثالثة : تعديد المثالب في مقابلة ما يستفرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب ، فان ذلك ظلم وجهل .  
والأمر الثانى ، من الأمور الموجبة لذلك : تغير حاله وقلبه . وفساد سلوكه بحسد كان كامناً فيه . وكان يكتمه برهة من الزمان . فظهر ذلك الكمين فى قالب ، صورته حق ومعناه باطل .

## فصل

وفى الجملة - أيدكم الله - إذا رأيتم طاعنا على صاحبكم فافتقدوه فى عقله أولا ، ثم فى فهمه ، ثم فى صدقه ، ثم فى سنّته . فاذا وجدتم الاضطراب فى عقله ، دلّكم على جهله بصاحبكم . وما يقول فيه وعنه . ومثله قلّة الفهم . ومثله عدم الصدق ، أو قصوره ، لأن نقصان الفهم يؤدى إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه . ومثله العلو فى السنّ فانه يشيخ فيه الرأى والعقل كما تشيخ فيه القوى الظاهرة الحسيّة . فاتهموا مثل هذا الشخص واحذروه . وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة .

وصفه الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه : أن تسأله

عن مسألة سلوكية . أو علمية ، فإذا أجاب عنها فأوردوا على الجواب إشكالا متوجها بتوجيه صحيح ، فإن رأيتم الرجل يروح يمينا وشمالا ، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة ، وحكايات ليست في المعنى حتى ينسى ربُّ المسألة سؤاله ، حيث تَوَهَّه عنه بكلام لا فائدة فيه ، فثقل هذا لاتعتمدوا على طعنه ، ولا على مدحه ، فانه ناقص الفطرة ، كثير الخيال ، لا يثبت على تحرى المدارك العلمية ، ولا تنكروا مثل إنكار هذا . فانه اشتهر قيام ذى الحُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله له « اعدل — فانك لم تعدل — إن هذه قسمة لم يردبها وجه الله تعالى » أو نحو ذلك .

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم . فانه قال : « لَتَرَكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ » وإن كان ذلك في اليهود والنصارى ، لكن لما كانوا منحرفين عن نهج الصواب ، فكذلك يكون في هذه الأمة من يحذو حَذَوَ كل منحرف وجد في العالم ، متقدما كان أو متأخرا ، حَذَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلوه .

يا سبحان الله العظيم ، أين عقول هؤلاء ؟ أعميت أبصارهم وبصائرهم ؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والخيبة في الزمان المظلم المدهم ، الذى قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا ؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة ،

يُشَمُّ المؤمنون فيها رائحة الاسلام ؟ وفي هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدُّعاة إلى الباطل وإقامته ، ودَحْض الحق وأهله مالا يحصر في كتاب . ثم إن الله تعالى قدر حم هذه الأمة بإقامة رجل قوى الهمة ، ضعيف التركيب ، قد فرَّق نفسه وهمة في مصالح العالم ، وإصلاح فسادهم ، والقيام بمهماتهم ، وحوأجهم ، ضَمَنَ ما هو قائم بصدد البدع والضلالات ، وتحصيل مواد العلم النبوى الذي يصلح به فساد العالم ، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جُهْد إمكانه ؟ وإلا فأين حقيقة الدين العتيق ؟ فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وَحْدَه ، وهو منفرد بين أهل زمانه ، قليل ناصره ، كثير خاذله ، وحاسده ، والشامت فيه !! .

فمثل هذا الرجل في هذا الزمان ، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه . أيقال له : لم يردُّ على الأحمدية ؟ لم لا تعدل في القسمة ؟ لم تدخل على الامراء ؟ لم تُقَرِّبُ زيدا وعمرًا ؟

أفلا يستحي العبد من الله ؟ يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبء الثقيل ؟ ولو حُوقق الرجل على هذه الجزئيات وُجد عنده نقوص صحيحة ، ومقاصد صحيحة ونيَّات صحيحة !! تغيب عن الصغفاء العقول ، بل عن السكَّال منهم ، حتى يسمعوها .

أما رَدُّه على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه ، الذى لا يدري

ما يقول . أفيتقوم دين محمد بن عبد الله الذي أنزل من السماء ، إلا بالظعن  
على هؤلاء ؟ وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل ؟ لا يقول مثل هذا  
إلا تائه ، أو مُسِنُّ أو حاسد .

وكذا القسمة للرجل ، في ذلك اجتهاد صحيح . ونظر إلى مصالح  
تترتب على إعطاء قوم دون قوم ، كما خصَّ الرسول صلى الله عليه وسلم  
الطُّلَقَاء بمائة من الإبل ، وحرَّم الأَنْصَار ! حتى قال منهم أحداً منهم  
شيئاً في ذلك . لا ذوروا أحلامهم ، وفيها قام ذو الخويصرة فقال ما قال ،  
وأما دخوله على الأمراء ، فلم يكن ، كيف كان شَمَّ الأمراء  
رائحة الدين العتيق الخاص ؟ ولو قَشَّ المفتش ، لوجد هذه الكيفية التي  
عندهم من رائحة الدين ، ومعرفة المواقفين ، إنما اقتبسوها من صاحبكم  
وأما تقريب زيد وعمرو ، فلمصلحة باطنة . لو قَشَّ عنها مع  
الإنصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة . ونفرض أنك  
مصيب في ذلك ، إذ لا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء ، والخطأ جا  
على غيرهم ، أذكر مثل هذا الخطأ في مقابلة ما تقدم من الأمور  
العظام الجسام ؟

لا يذكر مثل هذا في كراسة ويعددها ، ثم يدور بها على واحد  
واحد ، كأنه يقول شيئاً ، إلا رجل يسأل الله العافية في عقله ،

وخاتمة الخير على عمله ، وأن يردّه عن انحرافه إلى سبيل الضلال .  
 عمل لا يبيّنه بمشروطة بمصلحة يعلمه . وأصله . من أولى المعاني والأعمال .  
 واستمر الله العظيم ، من الخطأ والزلل ، في القول والعمل . وأما  
 الله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلي

\*\*\*

هذا هو الأصل في  
 الدين

هذا آخر الرسالة التي سماها مؤلفها  
 ( التذكير بالاعتقاد ، والانتصاف للأحرار )

فرحم الله من قام بحمل الأصرار ، وتصحيح التهمة المصداق  
 بالانفجار إلى عالم الأسرار . نفع الله من وقف عليها . وأصغى إلى  
 . يسبح منها ولديها . آمين

\*\*\*

## [ فتاوى الشيخ بدمشق ]

وبعض اختياراته التي خالف فيها المذاهب الأربعة ، أم معها |  
 ثم إن الشيخ رحمه الله بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره  
 بها لم يزل يلازم الاشتغال والانشغال ، ونشر العلم وتصنيف الكتب  
 وإتقان الناس بالسلام والكتابة المطولة ويبرها . ونفع الخلق والإحسان  
 إليهم ، والاجتهاد في الأحكام الشرعية

ففي بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهاده ، من موافقة أئمة  
المذاهب الأربعة ، وفي بعضها قد يفتى بخلافهم ، أو بخلاف المشهور من  
مذاهبهم

ومن اختياراته التي خالفهم فيها ، أو خالف المشهور من أقوالهم :  
القول بقصر الصلاة في كل ما يُسمَّى سفراً ، طويلاً كان أو قصيراً .  
كما هو مذهب الظاهرية . وقول بعض الصحابة .

والقول بأن البكر لا تُستَبْرَأ ، وإن كانت كبيرة . كما هو قول ابن  
عمر . واختاره البخاري صاحب الصحيح .

والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء . كما يشترط للصلاة .  
كما هو مذهب ابن عمر . واختيار البخاري أيضاً .

والقول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل . فبأن  
نهاراً لا قضاء عليه . كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،  
وإليه ذهب بعض التابعين ، وبعض الفقهاء بعدهم .

والقول بأن المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة . كما هو  
في حق القارن والمفرد . كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما . ورواية  
عن الامام أحمد بن حنبل . رواها عنه ابنه عبد الله . وكثير من أصحاب  
الامام أحمد لا يعرفونها .



والقول بجواز المسابقة بلا مُحَلَّل . وإن خرج المتسابقان .  
والقول باستثناء المختلعة بحمضه . وكذلك الموطوءه بشبهة .  
والمطلقة آخر ثلاث تطليقات .

والقول باباحة وطء الوثنيات بملك اليمين .

والقول بجواز عقد الرِّدَاء في الإحرام . ولا فدية في ذلك ، وجواز  
طواف الحائض . ولا شيء عليها ، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً .  
والقول بجواز بيع الأصل بالعصير . كالزيتون بالزيت . والسمسم  
بالسَّيرج .

والقول بجواز الوضوء بكل ما يسمَّى ماء ، مطلقاً كان أو مُقَيَّداً .  
والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره . كالخاتم  
ونحوه ، بالفضة متفاضلاً ، وجعل الزائد من الثمن في مقابلة الصَّنعَة .  
والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه إلا . أن يتغير ،  
قليلاً كان أو كثيراً .

والقول بجواز التيمم لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء  
والقول بجواز التيمم في مواضع معروفة .  
والجمع بين الصلاتين في أماكن مشهورة .  
وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله

وكان يميل أخيرا لتوريت المسلم من الكافر الدمي ، وله في ذلك مصنف وبحث طويل .

ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الافتاء بها ربح وقلقل : قوله بالتكفير في الحلف بالطلاق .

وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة .

وأن الطلاق المحرم لا يقع

وله في ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة . منها : —

قاعدة كبيرة سماها « تحقيق الفرقان بين التطلق والايان » نحو أربعين كراسة .

وقاعدة سماها « الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، بقدر النصف من ذلك .

وقاعدة في أن جميع أيمان المسلمين مكفرة ، مجلد لطيف .

وقاعدة في تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة ،

وقاعدة سماها « التفصيل بين التكفير والتحليل »

وقاعدة سماها « اللمعة <sup>(١)</sup> »

---

(١) بهامش الاصل : لعله اللمعة . لان له رحمه الله قاعدة سماها لمحمة المختطف

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا ينحصر ولا ينضب  
وله في ذلك جواب اعتراض ، ورد عليه من الديار المصرية . وهو  
جواب طويل في ثلاث مجلدات ، بقطع نصف البلدى .

\*\*\*

وكان القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى رحمه الله ، في يوم الخميس  
منتصف شهر ربيع الآخر ، من سنة ثمان عشرة وسبعائة قد اجتمع بالشيخ ٥٧١٨  
وأشار عليه بترك الافتاء في مسأله الحلف بالطلاق . فقبل الشيخ إشارته  
بعرف نصيحته ، وأجاب إلى ذلك .

وكان قد أجمع الى القاضى جماعة من الكبار حتى فعل ذلك .  
فلما كان يوم السبت ، مستهل جمادى الاولى من هذه السنة ، ورد البريد  
الى دمشق . ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف  
الطلاق ، التى رآها الشيخ تقى الدين بن تيمية وأفتى فيها . وصنف فيها  
الأمر بعقد مجلس فى ذلك

فعقد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة . وانفصل الأمر  
على ما أمر به السلطان ، ونودى بذلك فى البلد يوم الثلاثاء رابع  
الشهر المذكور .

ثم إن الشيخ عاد إلى الافتاء بذلك وقال : لا يسعنى كتمان العلم  
فلما كان فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة

تسع عشرة وسبعمئة مجمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة ،  
وقرى عليهم كتاب السلطان . وفيه فصل يتعلق بالشيخ ، بسبب الفتوى  
في هذه المسألة ، وأحضر وعوتب على فتياه بعد المنع ، وأكد عليه في  
المنع من ذلك .

\*\*\*

### [ سجن الشيخ بسبب فتياه في الطلاق ]

فلما كان بعد ذلك بمدة ، في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب  
من سنة عشرين وسبعمئة ، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب ٧٢  
والقضاة ، وجماعة من المفتين ، وحضر الشيخ ، وعاودوه في الافتاء بمسألة  
الطلاق ، وعاتبوه على ذلك ، وحبسوه بالقلعة ، فبقي فيها خمسة أشهر  
وثمانية عشر يوماً

ثم ورد مرسوم السلطان باخراجه . فأخرج منها يوم الاثنين يوم  
عاشوراء ، من سنة إحدى وعشرين وسبعمئة . وتوجه إلى داره . ٧٣

\*\*\*

ثم لم يزل بعد ذلك يعلم الناس ويلقى الدرس بالحنبلية أحياناً ، ويقرأ  
عليه في مدرسته بالتصاوين ، في أنواع من العلم .  
وكنت أتردد إليه في هذه المدة أحياناً . وقرأت عليه قطعة من

الأربعين للرازي . وشرحها لي ، وكتب لي على بعضها شيئاً ، وكان يُقرأ عليه في تلك المدة من كتبه ، وهو يصلح فيها ، ويزيد وينقص .  
ولقد حضرت معه يوماً في بستان الأمير نحر الدين بن الشمس  
نواؤ . وكان قد عمل وليمة ، وقرأت على الشيخ في ذلك اليوم أربعين  
حديثاً . وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين . وأخذ الشيخ بعد ذلك  
في الكلام في أنواع العلوم . فنُهِت الحاضرون لكلامه واشتغلوا بذلك  
عن الأكل .

ومما حفظت من كلامه في المجلس قوله :

« يقول الله تعالى في بعض الكتب : أَهْلُ ذِكْرِي أَهْلُ  
شَاهِدَتِي ، وَأَهْلُ شُكْرِي أَهْلُ زِيَارَتِي ، وَأَهْلُ طَاعَتِي أَهْلُ كِرَامَتِي .  
أَهْلُ مَعْصِيَتِي لَا أُؤَيِّسُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي ، إِنْ تَابُوا فَأَنَا حَبِيبُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَتُوبُوا  
فَأَنَا طَائِفُهُمْ ، أَبْتَلِيهِمْ بِالْمَصَائِبِ لِأَطْهَرَهُمْ مِنَ الْمَغَائِبِ »  
وحصل في ذلك المجلس خير كثير . وكان فيه غيروا حدم من المشايخ .  
استمر الشيخ بعد ذلك على عادته

\*\*\*

( الكلام على شد الرحال إلى القبور )

فلما كان في سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام في مسألة شد

الرجال ، وإعمال المطى إلى قبور الأنبياء والصالحين . وظفروا للشيخ بجواب  
سؤال في ذلك . كان قد كتبه من سنين كثيرة . يتضمن حكاية قولين  
في المسألة ، وحجة كل قول منهما (★)

وكان للشيخ في هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور  
بكثير . ذكره في كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » وغيره . وفيه ما هو  
أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به .

وكثر الكلام ، والقليل والقال ، بسبب العثور على الجواب المذكور  
وعظم التشنيع على الشيخ ، وحُرِّفَ عليه . ونُقِلَ عنه ما لم يَقُلْهُ ، وحصل  
فتنة طار شررها في الآفاق ، واشتد الأمر ، وخيفَ على الشيخ من  
كَيْدِ القائمين في هذه القضية بالديار المصرية والشامية ، وكثر الدعاء والتضرع  
والابتهال إلى الله تعالى . وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده  
قوة ، وجُبِنَ منهم من كانت له همة .

وأما الشيخ — رحمه الله — فكان ثابت الجأش ، قوى القلب  
وظهر صدق توكله واعتماده على ربه .

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضرخوا مشورة في حق الشيخ  
فقال أحدهم : ينفي . فنفي القائل .

وقال آخر : يُقَطِّعُ لسانه ، فقطع لسان القائل



وقال آخر : يُعَزَّر . فعزز القائل .

وقال آخر : يُجْبَس ، فحبس القائل .

أخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها .

واجتمع جماعة آخرون بمصر ، وقاموا في هذه القضية قياما عظيما ،  
 واجتمعوا بالسلطان ، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ . فلم يوافقهم السلطان  
 على ذلك .

\*\*\*

### [ أمر السلطان بحبس الشيخ بقلعة دمشق ]

(٧) ولما كان يوم الاثنين بعد العصر ، السادس من شعبان من السنة  
 المذكورة ، حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق مشد  
 الأوقاف ، وابن خطير ، أحد الحجاب . وأخبراه : أن مرسوم السلطان  
 ورد بأن يكون في القلعة ، وأحضرا معهما مركوبا .

. فأظهر الشيخ السرور بذلك . وقال : أنا كنت منتظرا ذلك  
 وهذا فيه خير عظيم .

وركبوا جميعا من داره إلى باب القلعة ، وأُخليت له قاعة حسنة

وأجرى إليها الماء ، ورسم له بالاقامة فيها . وأقام معه أخوه زين الدين  
يخدمه باذن السلطان . ورسم له بما يقوم بكفايته .

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرىء بجامع دمشق الكتاب  
السلطاني الوارد بذلك . وبمنعه من الفتيا .

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعي بحبس جماعة  
من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له في  
فعل ما يقتضيه الشرع في أمرهم .

وأودى جماعة من أصحابه . واختفى آخرون . وعُزِّر جماعة .  
ونودي عليهم ، ثم أطلقوا ، سوى الامام شمس الدين محمد بن أبي بكر  
إمام الجوزية ، فانه حبس بالقلعة . وسكنت القضية .

« \* »

وهذا صورة الفتيا وموافقة البغاددة له وغيرهم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين . وصلواته وسلامه على محمد وآله .

أما بعد . فهذه فتيا أفتى بها الشيخ الأمام تقي الدين أبو العباس

أحمد بن تيمية رضي الله عنه .

صلى الله عليه وسلم  
شهر  
الربيع

ثم بعد مدة ، نحو سبع عشرة سنة ، أنكرها بعض الناس ، وشنع  
بها جماعة عند بعض ولاية الأمور . وذكرت بمعارات شذمة ففهم  
منها جماعة غير ما هي عليه . وانضم إلى الإنكار والشناعة ، تغير الألفاظ  
أمر ، أوجب ذلك كله . كتابة الساطان - ساطان الإسلام - أيده  
الله تعالى . فجمع قضاة بلده . ثم اقتضى الرأي حبسه فحبس بقاعة دمشق  
المحروسة ، بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبعمائة .  
وفي ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم ، ولا وقف على  
خطه الذي أنكر ، ولا ادعى عليه بشيء .

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا ، وأوقف عليها بعض  
علماء بغداد . فكتبوا عليها بعد تأملها ، وقراءة ألفاظها .  
وسئل بعض السكية دمشق عنها . فكتبوا كذلك . وبأغنا أن  
يتم من وقف عليها فوافق .

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذي كتب عليه أهل بغداد . وبذكر  
الفتيا ، وجواب الشيخ المذكور عليها ، وجواب الفقهاء . بعده .

وهذه صورة السؤال والأجوبة : —

المسئول من إنعام السادة العلماء ، والهداة الفضلاء . أئمة الدين ،  
وهداة المسلمين ، وفقهم الله لمرضاته ، وأدام بهم الهداية : أن يفعلوا ويتأملوا

الفتوى وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه ، وصورة ذلك :  
مايقول السادة العلماء ، أئمة الدين ، نفع الله بهم المسلمين : في رجل  
نوى السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، مثل نبينا محمد صلى الله  
عليه وسلم ، وغيره . فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هذه  
الزيارة شرعية أم لا ؟ ؟

وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من حج ولم يزرني  
فقد جفاني» «ومن زارني بعد موتي ، كمن زارني في حياتي» وقد رُوِيَ  
عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد  
المسجد الحرام ومسجدي هذا . والمسجد الأقصى»  
افتونا مأجورين رحمكم الله .

## الجواب

الحمد لله رب العالمين .

أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له  
قصر الصلاة ؟ على قولين معروفين :

أحدهما - وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر  
المعصية . كابي عبد الله بن بطة ، وأبي الوفاء بن عقيل ، وطوائف كثيرة

من العلماء المتقدمين - : أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر . لأنه  
سفر منهى عنه . ومذهب مالك والشافعي وأحمد : أن السفر الممنوع فيه  
في الشريعة لا يقصر فيه .

والقول الثاني : أنه يقصر ، وهذا يقوله مَنْ يُجَوِّزُ القصر في السفر  
الحُرْم . كَأبي حنيفة . ويقول بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي .  
وأحمد . ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين . كَأبي حامد  
الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الخرائي ، وأبي محمد بن قدامة المقدسي .  
وهؤلاء يقولون : إن هذا السفر ليس محرم . لعدم قوله صلى الله عليه وسلم  
« زوروا القبور »

وقد يحتاج بعض من لا يعرف الحديث ، بالأحاديث الرواية في  
زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله « من زارني بعد مماتي ،  
سكنا زارني في حياتي » رواه الدارقطني

وأما ما ذكره بعض الناس من قوله « من حج ولم يزرني فقد  
جاءني » فهذا لم يروه أحد من العلماء . وهو مثل قوله : « من زارني وزار  
أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة »  
فإن هذا أيضاً باتفاق العلماء لم يروه أحد ، ولم يحتاج به أحد ، وإنما  
يحتاج بعضهم بحديث الدارقطني ونحوه .

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور بأنه  
صلى الله عليه وسلم ، كان يزور مسجد قباء .

وأجاب عن حديث « لا تشد الرحال » بأن ذلك محمول على نفي  
الاستحباب .

وأما الأولون ، فإنهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ،  
ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به ، فلو نذر أن  
يشد الرحل ليصلي بمسجد ، أو مشهد ، أو يعتكف فيه ويسافر إليه ، غير  
هذه الثلاثة . لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة .

ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام لحج أو عمرة . وجب عليه  
ذلك باتفاق العلماء .

ولو نذر أن يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، أو المسجد الأقصى  
لصلاة أو اعتكاف . وجب عليه الوفاء بهذا النذر ، عند مالك والشافعي  
في أحد قوليه . وأحمد . ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لا يجب عنده  
بالنذر إلا ما كان جنسه واجبا بالشرع .

أما الجمهور ، فيوجبون الوفاء بكل طاعة . كما ثبت في صحيح



البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه »

والسفر إلى المسجدين طاعة ، فهذا وجب الوفاء به .

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء  
السفر إليه إذا نذر ، حتى نصّر العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء  
لأنه ليس من المساجد الثلاثة ، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن  
كان في المدينة . لأن ذلك ليس بشد رحل . كما في الحديث الصحيح :  
« من تطهر في بيته ، ثم أتى مسجد قباء ، لا يريد إلا الصلاة فيه .  
إن كعمرة »

فالوا : ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة . لم  
يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر بها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتد ذلك  
عبادة ، وفعله ، فهو مخالف للسنة وإجماع الأئمة .

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في الإبانة الصغرى من البدع  
المخالفة للسنة والاجماع .

وهذا يظهر بطلان حجة أبي محمد المقدسى . لأن زيارة النبي  
صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، ولأن السفر إليه  
لا يجب بالنذر .

وقوله : بأن الحديث الذى مضمونه « لا تشد الرحال » : محمول  
على نفي الاستحباب . يحجب عنه وجهين  
أحدهما - أن هذا - إن سلم - فيه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ،  
ولا قربة ، ولا طاعة ، ولا هو من الحسنات . فاذاً من اعتقاد أن السفر  
لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة ، فقد خالف الاجماع .  
وإذا سافر لاعتقاد أن ذلك طاعة ، كان ذلك محرماً باجماع المسلمين ، فصار  
التحريم من جهة اتخاذ قربة ، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك .  
وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس  
من هذا الباب .

الوجه الثانى : أن هذا الحديث يقتضى النهى ، والنهى يقتضى  
التحريم . وما ذكره من الأحاديث فى زيارة قبر النبي صلى الله عليه  
وسلم فكلها ضعيفة ، باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هى موضوعة .  
لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يخرج أحد من الأئمة  
بشيء منها ، بل مالك - إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم  
هذه المسألة . كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي صلى الله عليه  
وسلم ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، أو مشروفاً ، أو مأثوراً عن  
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه عالم أهل المدينة

والامام أحمد أعلم الناس فى زمانه بالسنة . لما سئل عن ذلك ، لم

يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث ، إلا حديث أبي هريرة  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من رجل يُسلم على إلارد  
الله على رُوحى حتى أرد عليه السلام »  
وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه .

وكذلك مالك في الموطأ ، روى عن عبد الله بن عمر « أنه كان إذا  
دخل المسجد قال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ،  
السلام عليك يا أبت ، ثم ينصرف »

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« لا تتخذوا قبورى عبدا ، وصاؤا على ، فإن صلاتكم تبلغنى حينما كنتم »  
روى سنن شعيب بن منصور « أن عبد الله بن حسن بن حسن بن  
علي بن أبي طالب ، رأى رجلا يختلف إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تتخذوا قبورى عبدا .  
وصاؤا على . فإن صلاتكم حينما كنتم تبلغنى » فما أنت ورجل بالأندلس  
منه إلا سواء »

وفي الصحيحين عن عائشة : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
في رضى موته « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

يُحَذَّرُ مَا فَعَلُوا . وَلِهَذَا ذَلِكَ لَا يُرَرَّزُ قَبْرُهُ ، وَلَسْكَنَ كِرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْجِدًا ،  
وَهُمْ دَفَنُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَرَةٍ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ،  
خِلَافَ مَا اعْتَادُوهُ مِنَ الدَّفْنِ فِي الصَّحَرَاءِ . لِثَلَايِصِلَى أَحَدٌ عِنْدَ بَرِّهِ  
وَيَتَّخِذُهُ مَسْجِدًا ، فَيَتَّخِذُ قَبْرَهُ وَثْنًا .

وَكَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ — لَمَّا كَانَتِ الْحَجَرَةُ النَّبَوِيَّةُ مُنْفَصِلَةً مِنَ  
الْمَسْجِدِ ، إِلَى زَمَنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ — لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ إِلَيْهِ ، لَا لِمَنْزِلَةٍ  
هُنَاكَ ، وَلَا تَمْشِي بِالقَبْرِ ، وَلَا دَعَاءَ هُنَاكَ . بَلْ هَذَا جَمِيعُهُ إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ  
فِي الْمَسْجِدِ .

وَكَانَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ إِذَا سَلَمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَرَادُوا الدَّعَاءَ دَعَا مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ ، وَلَمْ يَسْتَقْبِلُوا الْقَبْرَ  
وَأَمَّا الْوُقُوفُ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ :  
يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ أَيْضًا ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ .

وَقَالَ أَكْثَرُ الْأُئِمَّةِ : يَسْتَقْبِلُ الْقَبْرَ عِنْدَ الدَّعَاءِ .

وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِلا حِكَايَةُ مَكْذُوبَةٍ ، تَرَوَى عَنْ مَالِكٍ ، وَمَذْهَبُهُ بِخِلَافِهَا .

وَاتَّفَقَ الْأُئِمَّةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْسُ الْقَبْرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَلَا يَقْبَلُهُ

وهذا كله محافظةً على التوحيد ، فإن من أصول الشرك بالله :  
 اتخاذ القبور مساجد ، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى : ( وقالوا  
 لا تذرن آلهمكم ، ولا تذرن وداً ، ولا سوا عا ولا يغوث ويعوق ونسراً )  
 فاه : « هؤلاء كانوا قوما صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على  
 قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل . ثم طال عليهم الأمد فعبدوها »  
 وقد ذكر البخارى في صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس .

وذكره محمد بن جرير الطبرى وغيره في التفسير عن غير واحد من  
 السلف وذكره وثيمة<sup>(١)</sup> وغيره في قصص الانبياء ، من عدة طرق .

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع<sup>(٢)</sup>  
 وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التى على  
 القبر : أهل البدع ، من الرافضة ونحوهم ، الذين يعطّلون المساجد .  
 ويعطّلون المشاهد ، يدعون بيوت الله التى أمر أن يذكر فيها اسمه ، ويعبد

(١) بفتح الواو وكسر الثاء وإسكان الياء وفتح الميم .

(٢) فى قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة ، وفى الرد على الاختلاف  
 والكبرى ، وفى اقتضاء الصراط المستقيم ، وفى منهاج السنة . وغير ذلك  
 كثير .

وحده لا شريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب ،  
 ويتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا ، فان الكتاب والسنة ، إنما فيها  
 ذكر المساجد ، دون المشاهد ، كما قال تعالى ( قل أمر ربي بالقسط ،  
 وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين )  
 وقال تعالى : ( إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر )  
 وقال تعالى : ( ولا تبشروهن بأنكن عاكفون في المساجد )  
 وقال تعالى : ( وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً )  
 وقال تعالى : ( ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها  
 اسمه وسعى في خرابها ؟ )

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح : أنه كان يقول « إن  
 من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور  
 مساجد ، فاني أسألكم عن ذلك »

\*\*\*

هذا آخر ما أجاب به شيخ الاسلام والله سبحانه وتعالى أعلم .  
 وله من الكلام في مثل هذا كثير ، كما أشار إليه في الجواب .  
 ولما ظفروا في دمشق بهذا الجواب كتبوه ، وبعثوا به إلى الديار المصرية  
 وكتب عليه قاضي دار النعمية :  
 اسماحق



قابلت الجواب عن هذا السؤال ، المكتوب على خط ابن تيمية .  
فصح - الى أن قال : وإنما الحرف جعله : زيارة قبر النبي صلى الله عليه  
وسلم وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصية بالاجماع مقطوع بها  
هذا كلامه . فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الاسلام ، والجواب  
يس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين . وإنما ذكر فيه قوانين  
في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور . وزيارة القبور من غير شد  
رحل إليها مسألة ، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى .

والشيخ لا يمنع الزيارة الحالية عن شد رحل ، بل يستحبها ، ويندب  
إليها . وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة  
في الفتيا ، ولا قال : إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها . والله  
سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية .

\*\*\*

ولما وصل خط القاضي المذكور إلى الديار المصرية ، كثر الكلام  
وعظمت الفتنة ، وطلب القصاة بها ، فاجتمعوا وتكلموا ، وأشار بعضهم  
بحبس الشيخ . فرسم السلطان به . وجرى ما تقدم ذكره .  
ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذكرها  
في هذا الموضع .

## [انتصار علماء بغداد]

[للشيخ في مسألة شد الرحال للقبور]

وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد ، فقاموا  
في الانتصار له ، وكتبوا بموافقته ، ورأيت خطوطهم بذلك  
وهذا صورة ما كتبوا :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى : —

بعد حمد الله السابغة نعمه ، السابقة مننه . والصلاة على أشرف  
الأنبياء والمرسلين : محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .  
إنه حيث قد منَّ الله تعالى على عباده ، وتفضل برحمته على بلاده  
بأن وسَّدَ أمور الأمة المحمدية ، وأسند أزمه الملة الحنيفية ، إلى من خصصه  
الله تعالى بأفضل الكلمات النفسانية ، وخصص بأكمل السعادات  
الروحانية ، محيي سنن العدل ، ومبدي سنن الفضل ، المعتصم بحبل الله .  
المثوكل على الله ، المكتفى بنعم الله ، القائم بأوامر الله ، المستظهر بقوة الله  
المستضيء بنور الله ، أعز الله سلطانه ، وأعلى على سائر الملوك شأنه ، ولا زالت  
رقاب الأمم خاضعة لأوامره ، وأعناق العباد طائفة لمراسمه ، ولا زال مؤ إلى  
دولته بطاعته مجبوراً ، ومعادى صواته بخزيه مدموماً مدحوراً .

فالمرجو من أطاف الحضرة المقدسة — زادها الله تعالى علواً وشرفاً —  
 أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وصعوة الأصفياء ، وعماد الدين ،  
 ومدار أهل اليقين ، حظ من العناية السلطانية وافر ، ونصيب من الرحمة  
 والشفقة ، فإنها منقبة لا يعادلها فضيلة ، وحسنة لا يحيطها سيئة ، لأنها  
 حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى ، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى  
 ولا ريب أن المملوك وقف على ما سئل عنه الشيخ الامام العلامة  
 ، حيد دهره ، وفريد عصره ، تقى الدين أبو العباس ، أحمد بن تيمية  
 ما أجاب به .

فوجدته خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب حسب ، ما اقتضاه الحال  
 من نقله الصحيح . وما أدى اليه البحث من الالتزام والالتزام ، لا يداخله  
 كمال . ولا يعتريه تجاهل . وليس — فيه والعياذ بالله — ما يقتضى  
 الاضرار والتنقيص بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم  
 وكيف يجوز للعلماء أن يحملهم العصبية : أن يتفوهوا بالازراء  
 والتنقيص في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ؟  
 وهل يجوز أن يتصور متصور : أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم  
 تزيد في قدره . وهل تركها مما ينقص من تعظيمه ؟  
 حاشا للرسول من ذلك .

نعم لو ذكر ذلك ذا كر ابتداء ، وكان هناك قرائن تدل على الازراء والتنقيص ، أمكن حمله على ذلك . مع أنه كان يكون كناية لا صريحا فكيف وقد قاله في معرض السؤال ، وطريق البحث والجدل ؟ ؟

مع أن المفهوم من كلام العلماء ، وأنظار العقلاء : أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجردها ، حتى لو حلف : أنه يأتي بعبادة أو طاعة ، لم يبرئها لكن القاضي ابن كجب — من متأخري أصحابنا — ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قرينة تلزم ناذرها .

وهو منفرد به ، لا يساعده في ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح . والذي يقتضيه مطلق الخبر النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال — إلى آخره » أنه لا يجوز شد الرحال إلى غير ما ذكر أو وجوبه ، أو نديته . فان فعله كان مخالفا لصريح النهي ، ومخالفة النهي معصية -- إما كفر ، أو غيره — على قدر المنهى عنه ، ووجوبه . وتحريمه ، وصفة النهي والزيارة أخص من وجه . فالزيارة بغير شد غير منهو عنها ، ومع الشد منهي عنها .

وبالجملة ، فما ذكره الشيخ تقي الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه ، لم يستحق عليه عقابا ، ولا يوجب عتابا .

والمراحم السلطانية أخرى بالتوسعة ، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه  
والآراء الملوكية علو المزيّد .

حرره ابن الكتّابي الشافعي . حامدا لله على نعمه . ١١

## جواب آخر

الله الموفق

ما أحاب به الشيخ الأجل الأوحّد ، نقيّة السلف ، وقُدوة الخلف  
رئيس المحققين ، وخلاصة المدققين ؛ تقى الملة والحق والدين :

من الخلاف في هذه المسألة : صحيح منقول في غير ما كتّاب من كتّاب  
أهل العلم ، لا اعتراض عليه في ذلك ، إذ ليس في ذلك ثَلْبٌ لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، ولا غَضٌّ من قدره صلى الله عليه وسلم

وقد نص الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة  
القبور . وهذا اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في  
إكّاله . وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا <sup>(١)</sup>

---

( ١ ) بهامش الأصل ما نصه :

قال القسطلاني في شرح البخاري ، في شرح باب فضل بيت المقدس .

ومن المدونة : ومن قال : على المشي إلى المدينة ، أو بيت المقدس ،  
فلا يأتيهما أصلا ، إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما ، فليأتيهما ؟  
فلم يجعل نذر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم طاعة يجب الوفاء بها ،  
إذ من أصلنا : أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها ، كان من جنسها ما هو  
واجب بالشرع ، كما هو مذهب أبي حنيفة ، أو لم يكن .

---

إذ تكلم على حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » :  
الاستثناء مفرغ ، والتقدير : لا تشد الرحال إلى موضع . ولازمه  
منع السفر إلى كل موضع غيرها ، كزيارة صالح ، أو قريب ، أو طلب  
علم ، أو تجارة : لأن المستثنى منه في المفرغ ، يقدر بأعم . لكن المراد  
بالعموم هنا : الموضع الخصوص ، وهو المسجد ، كما مر تقريره  
واختلف في شد الرحل إلى غيرها ، يعني : الثلاثة المساجد ، كالذهاب  
إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا ، وإلى المواضع الفاضلة للصلاة فيها  
والتبرك بها .

فقال أبو محمد الجويني : يحرم ، عملا بظاهر الحديث . واختاره القاضي  
حسين . وقال به القاضي عياض وطائفة . انتهى بلفظه  
وقد سبقه إلى ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري  
فيسعد ابن تيمية رحمه الله ، في منعه شد الرحل لزيارة القبور ما وسع  
أبا محمد الجويني : والقاضيين حسينا وعياضا : وغيرهم ، إن كان الانصاف يعد  
مرضاة اه كذا في المنقول عنه



قال القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق ، عقيب هذه المسألة :  
وولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما ، ولو كان نذر زيارة طاعة لما لزمه ذلك  
وقد ذكر ذلك القيرواني في تقريبه ، والشيخ ابن سيرين في تنبيهه  
وفي المبسوط : قال مالك : ومن نذر المشي إلى مسجد من المساجد  
يصلي فيه . قال : فإني أكره ذلك له . لقوله صلى الله عليه وسلم  
« لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ ، إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ  
بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَمَسْجِدِي هَذَا » وروى محمد بن المَوَازِ فِي الْمَوَازِيَةِ :  
إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ، فَيَلْزِمُهُ الْوَفَاءُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِشَدِّ رَحْلٍ .

وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر في كتابه « التمهيد » : يحرم  
على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد .  
وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب في هذه المسألة  
بأنه سفر منهى عنه . إلى الكفر ، فمن كفره بذلك من غير موجب ، فإن  
كان مستبيحا ذلك فهو كافر : وإلا فهو فاسق .

قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي المازري : في كتاب المعلم :  
من كفر أحداً من أهل القبلة ، فإن كان مستبيحا ذلك فقد كفر ، وإلا  
فهو فاسق . يجب على الحاكم إذا رفع أمره إليه أن يؤديه ، ويُعزَّره بما يكون  
رادعاً لأمثاله ، فإن ترك مع القدرة عليه . فهو آثم . والله تعالى أعلم اهـ

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي ، الخادم للطائفة المالكية  
بالمدرسة الشريفة المستنصرية . رحمة الله على منشئها

### أجاب غيره فقال

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد ، وعلى آله الطاهرين  
ما ذكره مولانا الامام ، العالم العامل ، جامع الفضائل والقوائد ،  
بحر العلوم ، ومنشأ الفضل جمال الدين ، كاتب خطه أمام خطي هذا ،  
جمل الله به الاسلام ، وأسبغ عليه سوايق الانعام ، أتى فيه بالحق الجلي  
الواضح ، وأعرض فيه عن إغضاء المشايخ ، إذ السؤال والجواب اللذان  
تقدماه ، لا يخفى على ذى فطنة وعقل ، أنه أتى في الجواب المطابق  
للسؤال ، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه ، ولم يبق عليه في ذلك إلا  
أن يعترضه معترض في نقله . فيبرزه له . من كتب العلماء الذين حكى  
أقوالهم . والمعارض له بالتشنيع ، إما جاهل لا يعلم ما يقول ، أو متجاهل  
يحمله حسده وحمية الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول . أعاذنا  
الله تعالى من غوائل الحسد ، وعصمنا من مخائل النكد . محمد وآله الطيبين  
الطاهرين ؛ والحمد لله رب العالمين .

كتبه الفقير إلى عفوره ورضوانه . عبد المؤمن بن عبد الحق  
الخطيب . غفر الله له وللمسلمين أجمعين .

## وأجاب غيره فقال

بعد حمد الله الذي هو فاتح كل كلام . والصلاة والسلام على رسوله  
محمد خير الأنام ، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، أعلام الهدى  
ومصابيح الظلام .

يقول أققر عباد الله ، وأحوجهم إلى عفوه : ما حكاه الشيخ الامام  
البارع الهمام ، افتخار الأنام ، جمال الاسلام ، ركن الشريعة . ناصر  
السنة ، قاصم البدعة ، جامع أشتات الفضائل قدوة العلماء الأمثال ، في هذا  
الجواب ، من أقوال العلماء ، والأئمة النبلاء . رحمة الله عليهم أجمعين -  
لأن لا يدفع . ومكشوف لا يتقنع . بل أوضح من النيرين . وأظهر من  
نور الصباح لذي عينين ، والعُمدة في هذه المسألة : الحديث المتفق على  
صحته . ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي صيغته .

وذلك : أن صيغة قوله صلى الله عليه وسلم « لا تُشد الرحال »  
في وجهين ، نفي ونهي . لاحتمالهما . فان لحظ معنى النفي فقتضاه (١) :  
فضيلة واستحباب شد الرحال ، وإعمال المطى إلى غير المساجد الثلاثة  
إلا لو فرض وقوعهما لا متنع رفعهما . فتعين توجه النفي إلى فضيلتهما

---

(١) بهامش الأصل : « فمعناه » كذا في الأصل على هامشه اه أبو اسماعيل

واستحبابهما دون ذاتهما ، وهذا عام في كل ما يعتقد أن إعمال المطي وشدة الرحال إليه قرينة وفضيلة : من المساجد ، وزيارة قبور الصالحين . وما جرى هذا الجرى ، بل أعم من ذلك . وإثبات ذلك بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفى المقدّر في صدر الجملة لما بعد « إلا » ، وإلا لما افترق الحكم بين ما قبلها وما بعدها ، وهو مفترق حينئذ . لا يلزم من نفى الفضيلة والاستحباب نفى الإباحة ، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر ، بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفى . وبني على ذلك جواز القصر .

وإن كان النهي ملحوظا . فالمعنى نهيه عن إعمال المطي وشدة الرحال إلى غير المساحد الثلاثة ، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاضٍ بتحريمه أو كراهته ، على حسب مقتضى الأدلة ، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر ، لكونه منهيّا عنه . وممن قال بحرمته : الشيخ الإمام أبو محمد الجويني من الشافعية ، والشيخ أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة ، وهو الذي أشار القاضي عياض من المالكية إلى اختياره

وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور ، فمحمول على ما لم يكن فيه شدّ رحل وإعمال مطيٍّ ، جمعاً بينهما .

ويحتمل أن يقال : لا يصلح أن يكون غير حديث « لا تشد الرحال »  
معارضاً له ، لعدم مساواته إياه في الدرجة . لكونه من أعلى أقسام  
الصحيح . والله أعلم .

وقد بلغنى أنه رُزىء وضيق على المجيب . وهذا أمر يحارفيه اللبيب  
ويتمعجب منه الأريب ؛ ويقع به في شك مريب .

فإن جوابه في هذه المسألة قاضٍ بذكر خلاف العلماء . وليس حاكماً  
بغض من الصالحين والأنبياء . فإن الأخذ بمقتضى كلامه ، صلوات  
الله وسلامه عليه في الحديث المتفق على صحة رفعه إليه : هو الغاية  
المصوى ، في تتبع أوامره ونواهيه ، والعدول عن ذلك محذور ، وذلك  
ما لا يريته فيه .

وإذا كان كذلك فأى حرجٍ على مَنْ سُئل عن مسألة فذكر  
بها خلاف الفقهاء ، ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء ؟ فإن الأمر لم  
يحل كذلك على ممرّ العصور ، وتعاقب الدهور .

هل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاء نضو الهوى المفضى  
ساحبه إلى التوى ، فإن مَنْ يُقتبس من فوائده ، ويلتقط من فرائده ،  
مُتفِق بالتعظيم ، وخليق بالتكريم . ممن له الفهم السليم ، والدهن المستقيم .  
وهل حكم المظاهر عليه في الظاهر ، إلا كما قيل في المثل السائر ، وقول الشاعر :  
الشعير يؤكل ويذم

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر \* وحسن فعل كما يحزى سيمار

غيره :

وحديث ألذه ، وهو مما يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا  
منطق رائع . وَيَلْحَنُ أَحْيَا . وخير الحديث ما كان لحديث  
وقال الله تعالى : ( وَلَا يَجْزِ مِنْكُمْ شَتَا أَنْ قَوْمٌ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا .  
اعدِلوا هو اقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خير بما تعملون ) وقال تعالى :  
( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ  
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ) وقال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ) وقال تعالى ( وَلَيَنْصُرَنَّ  
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) .

ولولا خشية الملالة ، لما نكبتُ عن الاطالة

نسأل الله الكريم . أن يسلك بنا وبكم سبيل الهداية ، وأن  
يجنبنا وإياكم مسلك الغواية . إنه على كل شيء قدير . وبالإجابة جدير .  
حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم النصير

والحمد لله رب العالمين ، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين .  
محمد النبي وآله الطاهرين ، وأصحابه الكرام المنتخبين .



هذا جواب الشيخ الامام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد الحمود  
ابن عبد السلام بن البقي الحنبلي رحمه الله تعالى .  
قال المؤلف : ومن خطه نقلت

## جواب آخر

لبعض علماء أهل الشام المالكية

الحمد لله ، وهو حسبي .

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع . وأما من سافر إلى  
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ليصلي فيه ويسلم على النبي صلى الله  
عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما ، فمشروع ، كما ذكر باتفاق العلماء  
وأما لو قصد إعمال المطى لزيارته صلى الله عليه وسلم ، ولم يقصد  
الدلالة . فهذا السفر إذا ذكر رجل فيه خلافاً للعلماء : وأن منهم من قال .  
إنه منهي عنه . ومنهم من قال : إنه مباح . وأنه على القولين ليس  
بمباح ، ولا قربة ، فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين  
كل حراماً بالإجماع ، وذكر حجة كل قول منهما ، أو رجح أحد القولين .  
لم يلزمه ما يلزم من تنقص ، إذ لا تنقص ولا إضرار بالنبي صلى الله  
عليه وسلم .

وقد قال مالك رحمه الله ، لسائل سأله : أنه نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إن كان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته ، وليصل فيه . وإن كان أراد القبر فلا يفعل ، للحديث الذي جاء : « لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » والله أعلم

كتبه أبو عمرو بن أبي الوليد المالكي .

كذلك يقول عبد الله بن أبي الوليد المالكي :

قال المؤلف رحمه الله : نقلت هذه الأجوبة كلها من خط المفتين . قال : ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد ، وصورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر الملة الإسلامية ، ومُعِزُّ الشريعة المحمدية ، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية ، المالكية ، الناصرية ؛ ألبسها الله تعالى لباس العِزِّ المقرون بالدوام ، وحلَّها بحِلْيَةِ النَّصْرِ المستمرِّ بمرور الليالي الأيام ؛ والصلاة والسلام ، على النبي المبعوث إلى جميع الأنعام : صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام .

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحاً للسائلين ، ورِفْدَكَ ما بَرَحَ مَبْذُولاً للوافدين ، مَنْ عَوَّدَتْهُ مَسْأَلَتُكَ وَحْدَكَ ، لم يسأل أحداً سواك ، وَمَنْ

مَنْحَتَهُ مَبَائِحِ رِفْدِكَ ، لَمْ يَقْدَعْ عَلَى غَيْرِكَ ، وَلَمْ يَحْتَمِ إِلَّا بِحِمَاكَ : أَنْتَ الرَّبُّ  
الْعَظِيمُ الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ ، قَصْدُ بَابِ غَيْرِكَ عَلَى عِبَادِكَ مُحْرَمٌ . أَنْتَ  
الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرَكَ ، وَلَا مَعْبُودَ سِوَاكَ ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ،  
وَمَدَّتْ أَسْمَاؤُكَ . وَعَظُمَ بِلَاؤُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ . وَلَمْ تَزَلْ تُنَزِّلُ  
فِي خَلْقِكَ جَارِيَةً بِامْتِحَانِ أَوْلِيَائِكَ وَأَحِبَّائِكَ . نَفَصًا مِنْكَ عَلَيْهِمُ ،  
وَحَسَانًا مِنْ لَدُنْكَ إِلَيْهِمْ . نِزَادُوا لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ ذِكْرًا .  
وَانْعَامَكَ فِي جَمِيعِ التَّقْلِبَاتِ شُكْرًا . وَاسْكُنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .  
( يَا أَيُّهَا الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ) .

اللَّهُمَّ وَأَنْتَ الْعَالَمُ الَّذِي لَا تَعْلَمُ ، وَأَنْتَ الْكَرِيمُ الَّذِي لَا تَبْخُلُ .  
قَدْ عَلِمْتَ بِأَعْلَى السِّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ . أَنَّ قُلُوبَنَا لَمْ تَزَلْ تَرْفَعُ إِخْلَاصَ الدُّعَاءِ  
مَدَّةً ، وَأُتَيْنَا فِي حَاقِ السِّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ نَاطِقَةً . أَنَّ تَسَعُّفَنَا بِإِمْدَادِ  
الدَّوْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمِيْمُونَةِ السَّاطِنَةِ النَّاصِرِيَةِ ، بِمَزِيدِ الْعِلَاءِ وَالرَّفْعَةِ  
وَالْإِسْكَانِ ، وَأَنْ تَحَقِّقَ آمَالَنَا فِيهَا بِإِعْلَاءِ الْكَلِمَةِ فِي ذَلِكَ ، بِرَفْعِ قَوَاعِدِ  
دَعْوَةِ الدِّينِ ، وَقَعَ مَكَائِدُ الْمُلْحِدِينَ . لِأَنَّهَا الدَّوْلَةُ الَّتِي تَرْتَبُ مِنْ غَشِيَانِ  
الْحَيَفِ وَالْحَيْفِ ، وَسَلِمَتْ مِنْ طُغْيَانِ الْقَلَمِ وَالسَّيْفِ .

وَالَّذِي يَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ سِرَائِرُ  
الْمُؤْمِنِينَ : أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ لِلدِّينِ ، مِمَّنْ قَلَّ فِيهِ رَبُّ

العالمين ، وآله السموات والأرضين : الذى يتمكينه فى أرضه ، حصل  
 التمكين لملوك الأرض ، وعظماء السلاطين ، فى كتابه العزيز الذى يتلى .  
 فمن شاء فليتدر : ( الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلوة وآتوا  
 الزكاة ، وأمروا بالمعروف . ونهوا عن المنكر ) وهو ممن مكناه الله  
 تعالى فى الأرض تمكيناً ، يقينا لا ظناً ، وهو ممن يعنى بقوله تعالى  
 ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ  
 كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ . وَآيَةً لَهُمْ فِيهِمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ  
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا . يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا )  
 والذى عهده المسلمون ، وتعهده المؤمنون ، من المراحم الكريمة  
 والعواطف الرحيمة . إكرام أهل الدين ، وإعظام علماء المسلمين  
 والذى حمل على رفع هذه الأدمية الصريحة إلى الحضرة الشريفة .  
 وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة - قوله صلى  
 الله عليه وسلم : « الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله ؟ قال :  
 لله ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » وقوله صلى الله عليه وسلم :  
 « الأعمال بالنيات » فهذان الحديثان مشهوران بالصحة ، ومستفاضان  
 فى الأمة

ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل ، والامام المكرم النبيل ؛ أوحى

الدهر ، وفريد العصر ، طراز الممالك الملكية ، وعم الدولة السلطانية ،  
لما قسم مقسم ، بالله العظيم القدير : أن هذا الامام الكبير . نس له في عصره  
مثال ولا نظيره كانت يمينه روة ، غنية عن التكفير ، وقد خلت  
من وجود مثله السبع الأقاليم . إلا هذا الاقليم . يوافق على ذلك كل  
مصف جبل على الطبع السليم . واست بالثناء عليه أطربه . بل لم أظن  
طنب في مدحه والثناء عليه ، لما أتى على بعض الفضائل التي هي  
به : أحمد بن تيمية ، درة يقيمة يتنافس فيها ، تشتري ولا تباع . ليس  
خزائن الملوك درة تماثلها وتواخيها ، انقطعت عن وجود مثله الأطن .  
تقد أصم الاسماع . وأوهى قوى المتبعين والاتباع . سدد  
مع أنى العباس — أحمد بن تيمية — إلى القلاع .

وليس يقع من مثله أمر ينقم منه عليه . إلا أنه يكون أمراً قد نُس  
إليه . ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه . والتطويل على الحضرة  
عالية ، لا يليق . إن يكن في الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق .  
نصب الله السلطان أعلى الله شأنه في هذا الزمن . منصب يوسف  
صديق . صلى الله على نبينا وعليه ، لما صرف الله وجوه أهل البلاد  
إليه . حين انحلت البلاد . واحتاج أهلها إلى القوت المدخر لديه .  
والحاجة بالناس والآن إلى قوت الأرواح ، المشار في ذلك الزمان إليها .  
الأخفاء أمها له علوم الشريعة ، والمعاني اللطيفة

وقد كانت في بلاد المملكة السلطانية ، حرسها الله تعالى تُكّال إلينا  
جزافاً بغير أثمان ، مِنِّحةً عظيمة من الله لاسلطان ، ونعمة جسيمة ، إذ خص  
بلاد مملكته ، وإقليم دولته ، بما لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان .  
وكان قد وفد الوافدون من سائر الأمصار ، إلى تلك الديار ، فوجدوا  
صاحب صواع الملك قد رفع إلى القلاع ، ومثل هذه الميرة لا توجد في  
غير تلك البلاد تُشترى أو تباع ، فصادف ذلك جذب الأرض ونواحيها ،  
جذباً أعطب أهاليها ، حتى ساروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات ،  
كالأموات ، والذي عرض للملك بالتضييق على صاحب صواعه ، مع  
شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح ، لعله لم يتحقق عنده أن هذا الامام  
من أكابر الأولياء ، وأعيان أهل الصلاح ، وهذه نزغة من نزغات  
الشیطان ، قال الله سبحانه : ( وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .  
إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ) .  
وأما إزرأ بعض العلماء عليه في فتواه ، وجوابه عن مسألة شدّة  
الرحال إلى القبور ، فقد حمل جواب علماء هذه البلاد ، إلى نظرائهم  
من العلماء ، وقرنائهم من الفضلاء ، وكلهم أفتى : أن الصواب في الذي  
به أجاب .

والظاهر بين الانام ، أن إكرام هذا الامام ، ومعاملته بالتبجيل  
والاحترام ، فيه قوام الملك ، ونظام الدولة ، وإعزاز الملة : وإستجلاب



الدعاء ، وكتبْتُ الأعداء ، وإذلال أهل البدع والأهواء ؛ وإحياء الأمة  
وكشف الغُمَّة ، ووفور الأجر ، وعلوُّ الذكر ، ورفعُ البأس ، وتقع  
النفس ، ولسان حال المسلمين ، قال قول الكبير المتعال : ( ولَمَّا دَخَلُوا  
عَلَيْهِ قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَكْنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ  
مُؤُوفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنْ اللَّهُ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ )

والبضاعة المزجاة : هي هذه الأوراق ، المرقومة بالأقلام ، والميرة  
المطلوبة : هي الافراج عن شيخ الاسلام ، والذي حمل على هذا الاقدام  
له عليه السلام : « الدين النصيحة » والسلام ، ، .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين السكرام ، وسلم تسليماً .

إذا آخر هذا الكتاب

قال المؤلف : ووقفت على كتاب آخر من بغداد أيضاً . صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المرسلين محمد النبي  
آله وصحبه أجمعين .

اللهم فكما أيدت ملوك الاسلام . وولاة الامور ، بالقوة والأيد .  
سَيِّدَتَ لَهُمْ ذِكْرًا ، وجعلتهم المقهورين اللاندين بجنابهم ذُخْرًا ، والمكسورين  
تَعَانَدَ بِأَكْنافِ بَابِهِمْ جَبْرًا ، قَاشَدُ اللَّهُ مِنْهُمْ مُحْسِنٍ مَعُونَتِكَ لَهُمْ

أزراً ، وأعل لهم جداً وارفع قدراً ، وزدْهم عزّاً وزوْ دهم على أعدائك  
نصراً ، . وامنحْهم توفيقاً مسدداً ، وتمكيناً مستمراً ؛

وبعد فإنه لما قرع أسمع أهل البلاد المشرقية ، والنواحى العراقية .

التضييق على شيخ الاسلام ، . تقي الدين أبي العباس — أحمد بن تيمية

سأله الله ، عَظُمَ ذلك على المسلمين ، وشقَّ على ذوى الدين ، وارتفعت  
رءوس الملحدين ، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين ، ولما رأى  
علماء أهل هذه الناحية ، عَظُمَ هذه النازلة ، من شماتة أهل البدع  
وأهل الأهواء ، بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء ، أنهوا حالَ هذا الأمر  
الفظيع والأمر الشنيع ، إلى الحضرة الشريفة السلطانية ، زادها الله  
شرفاً ، وكتبوا أجوبتهم فى تصويب ما أجاب به الشيخ . سألهم الله  
فى فتاواه ، وذكروا من علمه ، وفضائله بعض ما هو فيه ، وحملوا ذلك على  
بين يدي مولانا ملك الأمراء . أعزَّ الله أنصاره وضاعف اقتدائه .

غيره منهم على هذا الدين ، ونصيحة للاسلام وأمرء المؤمنين  
والآراء المولوية العالية ، أولى بالتقديم ، لأنها ممنوحة بالهداية

الصراط المستقيم

وأفضل الصلاة وأشرف التسليم ، على النبي الأُمى ، صلى الله عليه

وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً

## [ وفاة الشيخ رحمه الله بالقلعة ]

وما كتب بها قبل موته

ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بقى مقبلاً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر  
أياماً ، ثم توفى إلى رحمة الله ورضوانه . وما برح في هذه المدة مُكَبِّراً  
على العبادة ، والتلاوة ، وتصنيف الكتب ، والردّ على المخالفين .  
وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة ، تشتمل نقائس جليلة  
ونكت دقيقة ، ومعانٍ لطيفة ، وبين في ذلك مواضع كثيرة أشكأت  
إلى خلقٍ من علماء أهل التفسير .

وكتب في المسألة التي حبس بسببها عدة مجلدات .  
سما : كتاب في الرد على ابن الاخواني قاضي المالكية بمصر ، تعرف  
لاخوانية . (١)

ومنها : كتاب كبير حافل في الردّ على بعض قضاة الشافعية ،  
شياء كثيرة في هذا المعنى أيضا .

## [ وفاة الشيخ عبد الله أخى الشيخ ]

وفي هذه المدة التي كان الشيخ فيها بالقلعة توفى أخوه الشيخ الامام

---

(١) طبع بالسلفية بمصر على نفقة جلالة الملك ابن السعود

العالم العلامة ، البارع ، الحافظ ، الزاهد ، الورع ، جمال الإسلام ، شرف الدين ، أبو محمد ، عبد الله . توفى يوم الأربعاء عشر من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعمائة . وصلى عليه ظهر اليوم المذكور بجامع دمشق ، وحمل إلى باب القلعة ، فصلى عليه مرة أخرى . وصلى عليه أخوه وخلق من داخل القلعة ، وكان الصوت بالتكبير يبلغهما ، وكثر البكاء في تلك الساعة ، وكان وقتا مشهوداً . ثم صلى عليه مرة ثالثة ورابعة ، وحمل على الرؤوس والأصابع ، إلى مقبرة الصوفية ، فدفن بها . وحضر جنازته جمع كثير ، وعالم عظيم ، وكثر الثناء والتأسف عليه .

وكان رحمه الله صاحب صدق وإخلاص ، قانعا باليسير ، شريف النفس شجاعا . مقداما . مجاهدا ، بارعا في الفقه ، إماما في النحو . مستحضرا لتراجم السلف ووفياتهم ، له في ذلك يد طوًلى ، عالما بانتوار يخ المتقدمة والمتأخرة . وكان رحمه الله شديداً في الخوف والشفقة على أخيه شيخ الإسلام وكان يخرج من بيته ليلاً ، ويرجع إليه ليلاً ، ولا يجاس في مكان معين ، بحيث يقصده فيه ، ولكنه يأوي إلى المساجد المهجورة ، والأماكن التي ليست بمشهوره .

وكان كثير العبادة والتأله . والمراقبة والخوف من الله . ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه ، ووفاته

ومولده في اليوم الحادي عشر من المحرم سنة ست وستين وستمائة  
بحران .

وسمع من أبي اليُسْر ، والجمال عبد الرحمن البغدادي ، وابن الصيرفي  
والشيخ شمس الدين ، وابن البخاري وخلق كثير .  
وحدث وسمع الكتب الكبار .

وقد سُئِلَ عنه الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني . فقال : هو بارع  
في فنون عديدة : من الفقه ، والنحو ، والأصول ، ملازم لأنواع الخير  
وتعليم العلم ، حسن العبادة ، قوى في دينه ، جيد التفقه ، مستحضر  
لمذهبه استحضارا جيدا ، فليح البحث ، صحيح الذهن ، قوى الفهم

### [معاملة الشيخ في سجنه بالقلعة ]

قلت : وما زال الشيخ تقي الدين رحمه الله في هذه المدة معظما  
مكرما ، يكرمه تقيب القاعة وبائنها . إكراما كثيرا ، ويستعرضان حوائجه  
ويبالغان في قضائها .

وكان ما صنعه في هذه المدة قد خرج بعضه من عنده ، وكتبه بعض  
أصحابه ، واشهر ، وظهر .

فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده  
كله . ولم يبق عنده كتاب . ولا ورقة . ولا دواة . ولا قلم ، وكان بعد

ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه . يكتبها بفهم . وقد رأيت أوراها  
عدة بعثها إلى أصحابه ، وبعضها مكتوب بفهم . منها ورقة يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كتبه  
بعض

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بحن لله الحمد والشكر في نعمه  
متزايدة ، متوافرة ، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الاسلام ، وهو من نعم  
الله العظام . ( هو الذي أَرْسَلَ رَسْلاً بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقَّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ) فإن الشيطان يستعمل حزبه في إفساد  
دين الله ، الذي بعث به رسله ، وأنزل كتبه

ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه ، أقام من يعارضه ، فيُحَقِّقُ  
الحق بكلماته ، وَيَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ  
والذي سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد  
صلى الله عليه وسلم وحده ، بل مخالفة لدين جميع المرسلين : إبراهيم ، وموسى  
والمسيح ، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين .

وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب  
ولا كتاب ، وجزعوا من ظهور الاخائية ، فاستعملهم الله تعالى . حتى  
أظهروا أضعاف ذلك وأعظم . وألزمهم بتفتيشه ومطاعته ، ومقصودهم  
إظهار عيو به ، وما يحتجون به ، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم .



وظهر لهم جهلهم ، وكذبهم وعجزهم ، وشاع هذا في الأرض ، وأن هذا مما لا يقدر عليه إلا الله ، ولم يمكنهم أن يظهروا علينافيه عيباً في الشرع والدين ، بل غاية ما عندهم : أنه خالف مرسوم بعض الخلق ، والخلق كائنًا من كان ، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله ، لم يجب ، بل ولا يجوز طاعته ، في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين .

وقول القائل : إنه يظهر البدع ، كلام يظهر فسادَه لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس ، فإن الذي يظهر البدعة ، إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول ، أو اسكونته له غرض وهوى يخالف ذلك : وهو أولى بالجهل بسنة الرسول ، واتباع هواهم بغير هدى من الله (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ، ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم ، وأبعد عن الهوى والغرض في مخالفتها (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون . إِنَّهُمْ أَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنْ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلَى الْمُتَّقِينَ )

وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم . واتعلمن نبأه بعد حين . ثم ذكر الشيخ في الورقة كلاماً ، لا ينكر قراءة جميعه ، لانه سبه

وقال بعده :

وكانوا يطلبون تمام الاخنائية ، فمندهم ما يطعمهم أضعافها ، وأقوى فقها منها ، وأشد مخافة لأغراضهم . فإن الزملاكانية قد بين فيها من

نحو خمسين وجها : أن ما حكم به ورسم به ، مخالف لاجماع المسلمين وما فعلوه — لو كان ممن يعرف ماجاء به الرسول ، ويتعمد مخالفته — لكان كفرا وردة عن الإسلام ، لكنهم جهال دخلوا في شيء ما كانوا يعرفونه ، ولاظنوا أنه يظهر منه أن السلطنة تخالف مرادهم والأمر أعظم مما ظهر لكم ، ونحن والله الحمد ، على عظيم الجهاد في سبيله .  
ثم ذكر كلاما وقال :

بل جهادنا في هذا مثل جهادنا يوم قازان ، والجبلي ، والجهمية ، والاتحادية ، وأمثال ذلك .. وذلك من أعظم نعم الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون

\*\*\*

ومنها ورقة قال فيها :

ورقة أخرى مما كتبه الشيخ في السجن

ونحن لله الحمد والشكر ، في نعم عظيمة : تتزايد كل يوم ، ويجدد الله تعالى من نعمه نعمة أخرى ، وخروج الكتب كان من أعظم النعم فاني كنت حريصا على خروج شيء منها ، لتتفقوا عليه ، وهم كرهوا خروج الاخنائية ، فاستعملهم الله تعالى في إخراج الجميع ، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه . وبهذا يظهر ما أرسل الله به رسوله من الهدى ودين الحق

فان هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس . فاذا ظهرت فمن  
كان قصده الحق هداه الله . ومن كان قصده الماثل فامت عليه حجة  
الله . واستحق أن يذله الله ويخزيه ؛  
وما كتبت شيئا من هذا ليحكم عن أحد . وإم كان مبعوثا .  
الأوراق التي فيها جواباتكم غسلت  
وأنا طيب وعيناي طيبتان أطيب ما كانتا ؛  
ونحن في نعم عظيمة لا تحصى ولا تعد . والحمد لله حمداً كثيراً  
مباركاً كافياً ؛

ثم ذكر كلاماً . وقال :

كل ما يقضيه الله تعالى فيه الخير والرحمة والحكمة (إن ربي الخفيف  
شديد . إنه هو القوي العزيز) . العالم الحكيم . ولا يدخل على أحد ضرراً  
من دنونه . ما أصابك من حسنة من الله . وما أصابك من سيئة من  
الله . فاعمد عليه أن يشكر الله ويحمده دائماً على كل حال . ويستغفر  
من ذنوبه . فالشكر يوجب المزيد من النعم . والإستغفار يدفع النقم .  
ما يقضى الله المؤمن قضاءً إلا أن يبرأ له « إن أصابته سرّاء شكر وإن  
أصابته ضرّاء صبر . فكان خيراً له .

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده  
بأكثر من ثلاثة أشهر : في شهر شوال ، قبل وفاته بنحو شهر ونصف .  
ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضي علاء  
الدين القونوي ، وجعل تحت يده في المدرسة العادلية .  
وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد  
حتى أتاه اليقين .

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ختمه  
انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ( إن المتقين في جنات  
وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ) ثم كملت عليه بعد وفاته  
وهو مُسَجَّى .

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء ، يختم في عشرة أيام . هكذا  
أخبرني أخوه زين الدين

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوماً . وأكثرت الناس ما علموا  
بمرضه ، فلم يبقوا الخلق إلا نعيه ، فاشتد الأسف عليه وكثر البكاء  
والحزن . ودخل إليه أقاربه وأصحابه ، وازدحم الخلق على باب القلعة  
والطرقات ، وامتلاً جامع دمشق وصلوا عليه ، وحمل على الرؤوس . رحمه  
الله ورضي عنه

## [ ما كتبه العلماء في وفاة الشيخ ]

قال الشيخ علم الدين : وفي ليلة الاثنين ، لعشرين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعائة توفي الشيخ الإمام العلامة الفقيه ، الحافظ الزاهد ، القدوة ، شيخ الاسلام ، تقي الدين أبو العباس ، أحمد ، بن شيخنا الإمام المفتي ، شهاب الدين ، أبي الحسن محمد الحلبي ، بن الشيخ الامام شيخ الاسلام محمد الدين أبي البركات ، عبد السلام ، بن عبد الله ، بن أبي القاسم ، بن محمد بن تيمية الحراني ، ثم دمشق ، بقلعة دمشق ، التي كان محبوبا فيها .

وحضر جمع الى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة قبل المسيل . وقرأوا القرآن . وتبركوا برؤيته وتقبيله . ثم انصرفوا <sup>(١)</sup>

(١) سبحان الله !! لقد كان الشيخ ابن تيمية رحمه الله - يجاهد طول حياته تلك البدع . من قراءة القرآن على الموتى ، والتبرك بالموتى وبآثار السالخين . ثم هؤلاء يصنعون به هذا الذي كان يكرهه . والذي ما أودى بأنواع الأذى ، إلا من أجل انكاره . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أصحابه رضي الله عنهم يحاربون تلك الخرافات الوثنية والعقائد الطاهلية ، ثم صنع الناس تلك الخرافات واعتقدوا هذه العقائد في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه وآل بيته بعد موتهم : من استحابة الدعاء وإغاثة (٢٤ — العقود الدرية)

وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك . ثم انصرفن .  
واقصر على من يغسل ويعين في غسله . فلما فرغ من ذلك أخرج  
وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق ، وأمتلا الجامع  
وصحنه والكلاسة ، وباب البريد ، وباب الساعات إلى اللبادين والفواره  
وحضرت الجنارة في الساعة الرابعة من النهار ، أو نحو ذلك  
ووضعت في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام ، وصلى  
عليه — أولا — بالقلعة . تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام  
ثم صلى عليه بجامع دمشق ، عقيب صلاة الظهر . وحمل من باب البريد  
واشتد الزحام . وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك . وصار  
النعش على الرؤوس ، تارة يتقدم وتارة يتأخر . وخرج الناس من الجامع  
من أبوابه كلها من شدة الزحام . وكل باب أعظم زحمة من الآخر .  
ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام ، لكن كان  
المعظم من الأبواب الأربعة : باب القرج ، الذي أخرجت منه الجنان

المكروب ، وتفرج الضائقات ، وأمثال ما يقوله أولئك الجاهلون مما يبر  
منه رسول الله وأهل بيته . كقول البوصيري في برده :  
يا أشرف الخلق مالي من ألوذه      سواك عند حدوث الحادث العميم  
يزعمون أنهم يرضون رسول الله ويعظمونه . وهم يؤذونه ويهدمون دينه  
الذي جاهد ما جاهد وصبر على ما أودى من أجله . فلا حول ولا قوة إلا بالله



ومن باب الفراديس . ومن باب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر

### سوق الخيل

وتقدم في الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن . وحمل إلى مقبرة الصوفية . فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله رحمهما الله . وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير .

وأغلق الناس حوانيتهم . ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من نس ، أو من أعجزه الزحام .

وحضرها نساء كثير بحيث حزن بخمسة عشر ألفا . وأما الرجال فزروا بستين ألفا وأكثر ، إلى مائتي ألف . وشرب جماعة الماء الذي فصل من غسله . واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسل به .

وقيل : إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم . وقيل : إن الخيط الذي فيه الزئبق ، الذي كان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما . وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء ، ومضرع . وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد .

وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ومباراً . ورؤيت له منامات كثيرة صالحة . وراثه جماعة بقصائد جمّة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول ، بجران . سنة إحدى

وستين وستمائة . (٥٦٦١)

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق . وهو صغير . فسمع الحديث من  
ابن عبد البايم ، وابن أبي اليسر ، وابن عبدان . والشيخ شمس الدين  
الحنبل . والقاضي شمس الدين بن عطاء الحنفى ، والشيخ جمال الدين  
ابن الصيرفى ، ومجد الدين بن عساكر ، والشيخ جمال الدين البغدادى  
والنجيب المقداد ، وابن أبي الخير ، وابن علان ، وأبى بكر الهروى ،  
والكمال عبد الرحيم ، والفخر على ، وابن شيبان ، والشرف ابن القواس  
وزينب بنت مكى ، وخاق كثير .

وقرأ بنفسه الكثير ، وطلب الحديث . وكتب الطباق والأثبات  
ولازم السماع بنفسه مدة سنين . واشتغل بالعلوم .

وكان ذكيا كثير الحفظ . فصار إماما فى التفسير . وما يتعلق به .  
عارفا بالفقه ، واختلاف العلماء ، والأصليين ، والنحو ، واللغة وغير ذلك  
من العلوم النقلية والعقلية . وما تكلم معه فاضل فى فنّ إلا ظن أن ذلك  
الفنّ فنّه . ورآه عارفا به متقنا له

وأما الحديث فكان حافظا له مميزا بين صحيحه وسقيمه ، عارفا برجاله

متضلعا من ذلك

وله تصانيف كثيرة ، وتعاليق مفيدة : في الفروع ، والأصول .  
كُل منها جملة وبُيِّضت ، وكتبت عنه . وجملة كثيرة لم يكملها  
وجملة كملها ولكن لم تبيض .

وَأثني عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي  
الْحَوَی ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، وابن الزملاکاني ، وغيرهم  
ووجدت بخط الشيخ جمال الدين بن الزملاکاني : أنه اجتمعت  
فيه شروط الاجتهاد على وجهها . وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف ،  
وجودة العبارة والترتيب ، والتقسيم والتبيين ، وكتب على تصنيف <sup>(١)</sup>  
له هذه الأبيات الثلاثة من نظمه . وهي :

ماذا يقول الواصفون له \* وصفاته جالت عن الحصر  
هو حجة لله قاهرة \* هو بيننا أعجوبة الدهر  
هو آية للخلق ظاهرة \* أنوارها أربّت على الفجر

وهذا الثناء عليه . وكان عمره نحو الثلاثين سنة  
وكان بيني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب  
من نحو خمسين سنة . وله فضائل كثيرة .

---

(١) وهذا التصنيف الذي أشار إليه هو رفع الملام عن الأئمة الأعلام  
للشيخ . انتهى من هامش الأصل

وأسماءُ مصنفاته ، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة ، وحبسُهُ  
مرات ، وأحواله : لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب  
ولما مات كُنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز الشريف . وبلغني  
خبره بعد موته بأكثر من خمسين يوما ، لما وصلنا إلى تبوك . وحصل  
التأسف لفقدته رحمه الله تعالى .

\*\*\*

قلت : وقد قيل : إن الخلق الذين حضروا جنازة الشيخ كانوا  
أزيد مما ذكر .

ومن الجنائز العظيمة في الاسلام : جنازة الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل .  
فان الذين حضروها ، وصلوا عليه ، كانوا أكثر من ألف ألف إنسان .

وقد قال الامام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السلميّ  
يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن  
الدارقطني . فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير أقبل علينا وقال : سمعت  
أبا سهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول :  
سمعت أبي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز .

قال أبو عبد الرحمن ، على إثر هذه الحكاية : إنه حزر الحزارون

المصلين على جنازة أحمد ، فبلغ العدد بحزرم ألف ألف وسبعائة ألف  
سوى الذين كانوا في السفن

\*\*\*

وقد وجد بخط الشيخ أبيات ، قلها بالقلعة ، وهي :  
أنا الفقير إلى رب السموات \* أنا المسكين في مجموع حالاتي  
أنا الظلوم لنفسي ، وهي ظالمتي \* والخير ، إن جاءنا ، من عنده يأتي  
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة \* ولا عن النفس في دفع المضرات  
وليس لي دونه مولى يُدبّرني \* ولا شفيع إلى رب البريات  
إلا بأذن من الرحمن خالقنا \* رب السماء ، كما قد جاء في الآيات  
ولست أملك شيئاً دونه أبدا \* ولا شريك أنا في بعض ذراتي  
ولا ظهير له كيما أعاونه \* كما يكون لأرباب الولايات  
والفقر لي وصف ذات ، لازم أبدا \* كما الغنى أبداً وصف له ذاتي  
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم \* وكلهم عنده عبد له آتى  
فمن بغى مطلباً من دون خالقه \* فهو الجهول الظلوم المشرك العاتى  
والحمد لله ملء الكون أجمعه \* ما كان منه ، وما من بعده يأتي  
ثم الصلاة على المختار من مُضَرٍّ \* خير البرية من ماضٍ ومن آتى

وله أيضا :

إِنَّ اللَّهَ عَلَيْنَا أَنْعَمًا \* يَمْجِزُ الْحَصْرُ عَنْ الْعَدِّ لَهَا  
فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى أَنْعَمِهِ \* وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى الشُّكْرِ لَهَا  
وقد مدح الشيخ رحمه الله بقصائد كثيرة في حياته ، ورثى بأكثر  
منها بعد وفاته

فمن القصائد التي مدح بها : قصيدة نجم الدين اسحق بن أبي بكر  
ابن ألمى التركي <sup>(١)</sup> . وهي :

ذرائي من ذِكرى سعاد وزينب

ومن ندب أطلال اللوى والمُحَصَّب

ومن مدح آرام سَنَحْنَ برامة

ومن غزل في وصف سرب ورب رب <sup>(٢)</sup>

ولا تنشداني غير شعر إلى العلا يظل ارتياحا يزدهيني ويطيبي

وإن أتما طارحتماني ، فليكن حديثك في ذكر مجدٍ ومنصبٍ

بحب الأعلى ، لا محب أم جُنْدَب أَقْضَى لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ

(١) ولد سنة (٦٧٠) وسمع بمصر من علماءها وبالإسكندرية ورحل

إلى الشام والعراق فاستوطنه . وانقطعت أخباره بعد سنة (٧٢١) .

(٢) « آرام » جمع « ريم » وهو ولد الظبية . والسرب : القطيع

من الظباء والجماعة من النساء . والربرب : القطيع من بقرا الوحش .



خلقت امرأً جلدًا على حمل الهوى  
فلست أبالي بالقلي والتجنب  
سواء أرى للوصل تعريض جؤذرٍ  
وإعراض ظبي العس الثغر أشنب<sup>(١)</sup>  
ولم أصب في عصر الشيبة والصبا  
فهل أصبون كهلاً بلّة أشيب ؟  
يُعَنِّفني في بغيتي رُتب العِلا  
جهول . أراه راكباً غير مرّكي  
له همة دون الحضيض محلّها  
ولي همة تسمو على كل كوكب  
فلو كان ذا جهل بسيطٍ عذرته  
ولكنه يدلي بجهل مرّكبٍ  
يقول : علام اخترت مذهب أحمد<sup>(٢)</sup>  
فقلت له : إذ كان أحمد مذهب<sup>(٣)</sup>

---

(١) الجؤذر - - : ولد بقرة الوحشة . واللّمس : سواد مستحسن

في الشفة . والشنب : رقة الأسنان وعذوبتها .

(٢) هو الامام احمد بن حنبل

(٣) «أحمد مذهب» أفعل تفضيل ، أي أكثر صفات يحمده من أجلها

وهل في ابن شيبان مقال لقائل

وهل فيه من طعن لصاحب مضرب ؟

أليس الذبح قد طار في الأرض ذكره

فطبقها ، ما بين شرق ومغرب ؟

إمام الهدى ، الداعي إلى سنن الهدى

وقد فاضت الأهواء من كل مَسْغَب<sup>(١)</sup>

أتوا بعظيم الإفك ، وانتصروا له

بكلِّ مقالٍ بالدليل مكذب

وقالوا : كلام الله خلقاً ، وكذبوا

عما صحَّ نقلاً عن أبيٍّ ومُصْعَب<sup>(٢)</sup>

وأصبح أهل الحق بين مُعاقب

وبين مُعَدٍّ للأذى مُتَرْقِب

فقام<sup>(٣)</sup> عما يُوهى ثبيراً ويذُّبلاً

قيام هزبرٍ للفريسة مُغْضَب

(١) في القاموس : هو مسغب له - بضم الميم وفتح السين ، وضم الغين

مشددة - كذا ، ومسعب : مسوغ .

(٢) أبي بن كعب ، ومصعب بن عمير . رضى الله عنهما

(٣) قام الامام أحمد في فتنه القول بخلق القرآن . وثبير ويذبل : جبلان

ولم ينتهِ عنهم ، ولما يصدم  
عقوبة ذى ظلم ، وجور مُعذِّب  
إلى أن بدا الاسلام أبلج ساطعا  
وكشَّف عن ظلماتهم كل غيب  
وهدم من أركانهم كل شامخ  
ومزَّقهم أيدي سبًا ، ففترقت  
كتائبهم ما بين شرق ومغرب  
وأصحابه أهل الهدى لا يضرهم  
على دينهم طعن امرئ جاهل غي  
هم الظاهرون القائمون بدينهم  
إلى الحشر ، لم يغلبهم ذو تغلب  
إنما منهم في كل عصر أئمة  
هُداة إلى العليا ، مصايح مُرَقب  
فأيدهم ربُّ العلا من عصابة  
لاظهار دين الله أهل تعصب

---

(١) القره ب: الثور المسن ، أو الكبير الضخم

وقد علم الرحمن أن زماننا  
تشعب فيه الرأي أي تشعب  
فجاء بحبر عالم من سراتهم  
لسبع مئين بعد هجرة يثرب  
يقيم قناة الدين ، بعد اعوجاجها  
ويُنقذها من قبضة المتغصب  
فذاك فتى تيمية ، خير سيّد  
نجيب أتانا من سلالة منجب  
عليم بأدواء النفوس يسوسها  
بحكمته ، فعل الطبيب الجرب  
بعيد من الفحشاء والبغى والأذى  
قريب إلى أهل التقى ، ذو تحب  
يغيب ، ولكن عن مساوٍ وغيبة  
وعن مشهد الإحسان لم يتغيب  
حليم كريم مشفق . بيد أنه  
إذا لم يُطع في الله ، الله يغضب  
برى نصرته الاسلام أكرم مغم  
وإظهار دين الله أربح مكسب

ليوث، إذا أهل الضلال تجمعوا  
 لئن جحدت علياء فضلك حسد  
 وهل ممكن في العقل أن يجحد السنأ  
 أيا مطلباً حزناه من غير مهلك  
 بعزم تقى الدين أحمد تقى  
 وفي الجذب نستقي الغمام بوجهه  
 ريب المعالي، يافع الجود والندى  
 مفصل ماقد جاء من جل النهى  
 بسيط معان في وجيز عبارة  
 وليس له في العلم والزهد مشبه  
 ومن رام خيرا غيره اليوم في الورى  
 أليس هو الندب الذى بانتصاره  
 وجاهد في ذات الإله بنفسه  
 ووازره في حالتيه ابن أمه  
 عقاب المعالى، ضيغ الغابة، الذى  
 هما ناصرا دين الإله، وحاميا  
 مقيان كالاسلام في دار غربة  
 لكل فتى منهم يعد بمقنب<sup>(١)</sup>  
 لعمري أبي، قد زاد منهم تعجبي  
 ضحى، وضياء الشمس لم يتحجب؟  
 وكم مهلك صد الورى دون مطلب  
 صروف زمان بالفوادح مرعب  
 فنصبح في روض كناده مخصب  
 فتى العلم، كهل الحلم، شيخ التأدب  
 وإيضاحه للفهم غير مقرب  
 بهذيبه تعجيز كل مذهب  
 سوى الحسن البصرى وابن المسيب  
 فذاك الذى قد رام عناق مغرب  
 حبا الدين حبي، بالامامة قد حبي  
 رب المال والأهلين والأم والأب  
 فذلك عبد الله، نعم الفتى الأبي  
 فرى كل ذى غي بناب ومخلب  
 حمى خير خلق الله من نسل يعرب  
 فيا حبذا في الله حسن التغرب

وكم قد غدا بالقول والفعل مبطلا  
ضلالة كذاب ورأى مكذب

ولم تَلَقَ من عاداه غيرَ منافق  
وآخر عن نهج السبيل منكب  
لقد حاولوا منه الذي كان رامة

من المصطفى قَدْ مَاحِيٌّ بنِ أَخْطَبِ (١)

وَلَكِنْ رَأَى مِنْ بَأْسِهِ مِثْلًا رَأَى

من المصطفى في حربهِ رَأْسَ مَرْحَبِ (٢)

تَمَسَّكَ ، أبا العباس بالدين ، واعتصم \* بحبل الهدى ، تقهر عداك وتَغْلِبُ  
ولا تَخْشَ من كيد الأعداء ، فهاهم \* سوى حائر في أمره ومُذَبَذَبُ  
جنودهم من طامع ومذلل \* مُسَيَّلَةٌ منهم يلوذُ بِأَشْعَبِ  
وجندك من أهل السماء ملائك \* يُمِدُّكَ منهم موكب بعد موكب  
وكل امرئ قد باع لله نفسه \* فليس إذا يُصْغَى لقول مُؤَنَّبِ

(١) رئيس يهود خيبر ، كان ألد أعداء النبي صلى الله عليه وسلم . قتل  
يوم خيبر . وتزوج صلى الله عليه وسلم ابنته السيدة صفية ، بعد عتقها  
واسلامها رضي الله عنها .

(٢) مرحب زعيم شجعان خيبر . بارزه على رضى الله عنه فقتله



خدمتهما منى بعقد منضد      بفكر سوائى دُرّه لم يُثقب  
تشف سمع الدهر حسنا إذا اغتدى      به الناظم التركى أفصح معرب  
وما جئت فى مدحيهما متطالعا      به عرضا يفنى ، ولا نيل منصب  
ولسكننى أبغى رضا الله خالقى      وأرجو به غفران زلّة مذنب  
وأجمله لى فى المعاد ذخيرة      أفوز بها فى الحشر من خطبه الوبى  
محزّت . وهى سبعة وستون بيتا

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة فتيا قدمت فى مجلس تقى الدين رضى الله عنه  
فأجاب فى المجلس بهذا الجواب . وهو « تقدير القدر »

السؤال

أنا علماء الدين ، ذمّى دينكم      تحيّر دُلّوه بأوضح حجة  
إذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم      ولم يرّضه منى ، فما وجه حيلتى ؟  
دعنى ، ومد الباب عنى ، فهل إلى      دخولى سبيل ؟ بينوا لى نصيتى  
قضى بضلالى ، ثم قال : ارض بالقضا      فما أنا راضٍ بالذى فيه شقوتى

فإن كنت بالمقضيِّ ، يا قوم راضياً  
فهل لي رضا ، ما ليس برضا سيدي ؟  
إذا شاء ربِّي الكفر مني مشيئة  
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه ؟  
فربِّي لا يرضى بشؤم شكيتي  
فقد حُرْتُ ، دُونِي على كشف حيرتي  
فهل أنا عاصٍ في اتباع المشيئة ؟  
فبِالله فاشفوا بالبراهين عَلَيَّ

## الجواب

الحمد لله رب العالمين :

سؤالك يا هذا ، سؤال معاند  
وهذا سؤال ، خاصم الملائعُ العلا  
وَمَنْ يَكُ خصماً للمهيمن يرجع  
وَيُدْعَى خصوم الله يوم معادهم  
سواء نفوه ، أو سعوا ليخاصموا  
وأصل ضلال الخلق من كل فرقة  
فأنهم لم يفهموا حكمة له  
وإن مبادئ الشرِّ في كل أمة  
بمخوضهم في ذلكم ، صار شركهم  
فإن جميع الكون أوجب فعله  
وذات إله الخلق واجبة بما  
تُخاصِمُ رَبَّ العرش ، باري البرية  
قديماً به إبليس ، أصل البلية  
على أم رأس هاويا في الحفيرة  
إلى النار طُرّاً ، معشر القديرة  
به الله ، أو ماروا به للشريعة  
هو الخوض في فعل الإله بعل  
فصاروا على نوع من الجاهلية  
ذوى مِلَّةٍ قُدْسِيَّةٍ نبوية :  
وجاء دروس البيئات بفترة  
مشيئة رب الخلق باري الخليقة  
لها من صفات واجبات قديمة

مشيئته مع علمه ، ثم قدرة لوازم ذات الله قاضى القضية  
 فقولك : لم قد شاء ؟ مثل سؤال من  
 يقول : فلم قد كان فى الازلية ؟  
 وذاك سؤال يبطل العقل وجهه وتحريمه قد جاء فى كل شرعة  
 وفى الكون تخصيص كثير يدل من  
 له نوع عقل : أنه بإرادة  
 وإصداره عن واحد بعد واحد أو القول بالتجويز رمية حيرة  
 ولا ريب فى تعليق كل مسبب بما قبله من علة موجبة  
 فى الشأن فى الأسباب ، أسباب ماترى

ومصدرها عن حكم محض المشيئة  
 وقولك : لم شاء الاله ؟ هو الذى  
 فن المجوس القائلين بخالق  
 سألهم عن علة الشر ، أوقعت  
 وبن ملاحيد الفلاسفة الأولى  
 بغوا علة للكون بعد انعدامه  
 وبن مبادئ الشر فى كل أمة  
 بخبرهم فى ذاكم ، صار شرهم  
 أزله عقول الخلق فى قعر حفرة  
 لنفع ، ورب مبدع للمضرة  
 رهوسهم فى شبهة الثنوية  
 يقولون بالقول القديم بعلة  
 قلم يحدوا ذاكم ، فضلوا بضلة  
 ذوى ملة ميمونة نبوية :  
 وجاء دروس البينات بفترة

ويكفيك نقضا : أن ما قد سألته      من العذر مردود لدى كل فطرة  
فأنت تعيب الطاعنين جميعهم      عايك ، وترميهم بكل مذمة  
وَتَنْجِلُ مَنْ وَالَاكَ صَفْوَ مَوَدَّةٍ      وتُبغِضُ من نأواك من كل فرقة  
وحالهم في كل قول وفِعْلَةٍ      كحالكَ ، يا هذا ، بأرجح حجة  
وهَبْكَ كَفَفْتَ اللوم عن كل كافر      وكل غَوِيٍّ خارج عن محجة

فيلزمك الاعراض عن كل ظالم

على الناس في نفس ، ومال ، وحرمة  
ولا تغضبن يوما على سافك دما      ولا سارق مالا لصاحب فاقة  
ولا شاتم عرضامصونا ، وإن علا      ولا ناكح فرجا على وجه غيبة  
ولا قاطع للناس نهج سبيلهم

ولا مفسد في الأرض في كل وجهة

ولا شاهد بالزور إفكا وفرية      ولا قاذف للمحصنات بريئة  
ولا هُلك للحرث والنَّسْلِ عامدا      ولا حاكم للعالمين برشوة  
كَفَّ لسان اللوم عن كل مفسد

ولا تأخذن ذا جرمة بعقوبة

وسمَّيْ لِسبيل الكاذبين تعمدا      على برٍّ ، من كل جاء بفرية

وإن قصدوا إضلال من تستجيهم

برؤم فساد النوع ، ثم الرياسة

وجادل عن الملعون ، فرعون ، إذ طغى

فأغرق في اليم انتقاماً بعصية

كل كفور مشرك ياله وآخر طاغ كافر بنبوّة

كعاد ، ونمروذ ، وقوم اصالح وقوم انوح ، ثم أصحاب الأيكة

وغاصم لموسى ، ثم سائر من أتى من الأنبياء محيياً للشرية

على كونهم إذ جاهدوا الناس إذ بغوا

ونالوا من العاصي بلوغ العقوبة

ولا فكل الخلق في كل لفظه ولحظة عين ، أو تحرك شعرة

وطشة كف ، أو تخطى قديمة وكل حراك ، بل بكل سكينه

تحت أقدار الإله وحكمه كما أنت فيما قد أتيت بحجة

وهبتك رفعت اللوم عن كل فاعل

فمآل ردى ، طردا لهذى المقيسة

فمن يمكن رفع الملام أجميعه عن الناس طراً عند كل قبيحة؟

وترك عقوبات الذين قد اعتدوا وترك الورى الانصاف بين الرعية

فلا تضمنن نفس ومال بمثله ولا تعقبن عاد بمثل الجريمة

وهل في عقول الناس ، أو في طباعهم

قبول لقول النذل : ماوجه حيلتي ؟

ويكفيك نفصاً : ما يجسم ابن آدم صبي ، ومجنون ، وكل بهيمة :

من الألم المقضى ، في غير حيلة وفيما يشاء الله أكلُ حكمة

إذا كان في هذا له حكمة ، فما يُظنّ بخلق الفعل ، ثم العقوبة ؟

وكيف ، ومن هذا عذابٌ مخاد

عن الفعل فعل العبد ، عبد الطبيعة ؟

كأكل سُم ، أوجب الموت أكله

وكلُّ بتقدير لرب البرية

فكفر يا هذا ، كسُمٍّ أكلته

وتعذيب نار ، مثل جرعة غصة

أست ترى في هذه الدار من جنى

يعاقب ، إما بالقضا ، أو بشرعة ؟

ولا عذر للجاني بتقدير خالق كذلك في الأخرى بلا مشبهة

وتقدير رب الخلق للذنوب موجب

كتقدير عقي الذنب إلا بتوبة

ومن كان من جنس المتألم لرفعه عواقب أفعال العباد الخبيثة



كجبرية تمحى الذنوب، ودعوة تجاب من الجاني، ورب شفاع  
وقول حليف الشعر : إني مُقدّرُ

على ، كقول الذئب : هذى طبعتي  
وتقديره للفعل يجلب نقمة كتقديره الآثار طراً بعلة  
فها <sup>هنا</sup> يَنْفَعَنْ عذر المألوم ، لأنه كذا طبعه ، أم هل يقال لعثرة ؟  
أم الذنب والتعذيب أو كد للذي

طبيعته فعل الشرور الشنيعة ؟  
فإن كنت ترجو أن تجاب بما عسى

ينجّيك من نار الآله العظيمة  
ودونك ربّ الخلق ، فاقصده ضارعا

مريدا بأن يهديك نحو الحقيقة  
وذلل قياد النفس للحق ، واسمعن

ولا تعرضن عن فكرة مستقيمة  
وما بأن من حقّ فلا تركنه

ولا تعص من يدعو لأقوم ربيعة (١)

(١) الربع - بفتح الراء - الطريق المفرج في الجبل . والواحدة : ربيعة

وَدَعِ دِينَ ذَا الْعَادَاتِ ، لَا تَتَّبِعْنَهُ

وَعُجْ عَنْ سَبِيلِ الْأُمَّةِ الْغَضَبِيَّةِ (١)

وَمَنْ ضَلَّ عَنْ حَقِّ فَلَا تَقْفُوهُ وَزَنْ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ بِالْمَعْدِلِيَّةِ

هَنَالِكَ تَبْدُو طَاعَاتُ مِنَ الْهَدَى تَبَشِّرُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْحَنْفِيَّةِ (٢)

بِلَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، ذَاكَ إِمَامُنَا وَدِينَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ

فَلَا يَقْبَلُ الرَّحْمَنُ دِينَنَا سِوَى الَّذِي •

بِهِ جَاءَتِ الرُّسُلُ الْكِرَامُ السَّجِيَّةِ

وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْخَاشِعُ الْخَاتِمُ الَّذِي حَوَى كُلَّ خَيْرٍ فِي عُمُومِ الرِّسَالَةِ

وَأَخْبَرَ عَنْ رَبِّ الْعِبَادِ أَنَّ مَنْ عَدَا عَنْهُ فِي الْأُخْرَى بِأَقْبَحِ جَنِيَّةٍ

فَهَذِي دَلَالَاتُ الْعِبَادِ الْخَائِرِ وَأَمَّا هَدَاهُ فَهُوَ فِعْلُ الرُّبُوبَةِ

وَقَدْ هَدَى عِنْدَ الْوَرَى لَا يُقِيلُ مَنْ

عَدَا عَنْهُ ، بَلْ يُجْزَى بِمَا وَجَّهَ حُجَّةَ

وَحُجَّةَ مُحْتَجٍ بِتَقْدِيرِ رَبِّهِ يَرِيدُ عَذَابًا ، كَاِحْتِجَاجِ مَرِيضَةٍ

وَأَمَّا رِضَانَا بِالْقِصَاءِ فَإِنَّمَا أَمَرْنَا أَنَّ نَرْضَى بِمَثَلِ الْمَصِيبَةِ

(١) هي أمة اليهود. غضب الله عليهم ولعنهم، لأنهم يتركون اتباع ما يعلمون.

(٢) هي الخنيفية السمحة: شرعة محمد صلى الله عليه وسلم. وشرعة

إبراهيم: اتباع ما جاءت به نصوص الوحي الإلهي

كسقم ، وفقر ، تم ذلّ ، وُزِرة وما كان من سوء ، بدون جريمة  
فأما الأفاعيل التي كُرهت لنا فلا تُرتضى ، مسخوطة لمشيئة  
وقد قال قوم من أولى العلم : لأرضاً

بفعل المعاصي والذنوب الكريهة  
وقال فريق : تُرتضى لقضائه لها . وما فيها فيلقي بسخطة  
كما أنها للرب خلق ، وأنها مخلوقة ، ليست كفعل الغريزة  
فترضى من الوجه الذي هي خلقه

ونسخط من وجه اكتساب بحيلة  
ومعصية العبد المكلف تركه لما أمر المولى ، وإن بمشيئة  
فإن إله الخلق حق مقالهُ بأنّ العباد في جحيم وجنة  
كما أنهم في هذه الدار هكذا بل البهائم في الآلام أيضاً ونعمة  
وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من

فروق بعلم ثم أيدي ورحمة

يسوق أولى التعذيب للسبب الذي

يُقدِّره نحو العذاب بعزّة

ويهدى أولى التنعيم نحو نعيمهم بأعمال صدق ، في رجاء وخشية  
وأمرُ إله الخلق تبين مابه يسوق أولى التنعيم نحو السعادة

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ أَثَرَتْ

أوامره فيه بتيسير صنعة

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ لَمْ يَنْلُ

بِأَمْرِ وَلَا نَهْيٍ بِتَقْدِيرِ شِقْوَةٍ

وَلَا مَخْرَجٍ لِلْعَبْدِ عَمَّا بِهِ قَضَى وَلَكِنَّهُ شَاءَ بِخَلْقِ الْإِرَادَةِ

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ : خَلْقُ مَشِيئَةٍ

بِهَا صَارَ مُخْتَارَ الْهُدَى وَالضَّلَالَةِ

فَقُولْكَ : هَلْ اخْتَارَ تَرْكَ الْحِكْمَةِ ؟

كَقُولْكَ : هَلْ اخْتَارَ تَرْكَ الْمَشِيئَةِ ؟

وَأَخْتَارَ أَنْ لَا اخْتَارَ فَعَلَ ضَلَالَةً وَلَوْ نِلْتَ هَذَا التَّرِكَ فُزْتَ بِتَوْبَةٍ

وَذَا مُمْكِنٌ . لَكِنَّهُ مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ مِنْ ذِي الْمَشِيئَةِ

فَدُونُكَ ، فَافْهَمْ مَا بِهِ قَدْ أُجِبْتُ مِنْ

مَعَانٍ ، إِذَا انْحَلَّتْ بِهِمْ غَرِيزَةٌ

أَشَارَتْ إِلَى أَصْلِ تَشْيِيرٍ إِلَى الْهُدَى

وَلِلَّهِ رَبِّ الْخَلْقِ أَكْمَلُ مَدْحَةٍ

وَصَلَّى إِلَهَ الْخَلْقِ ، جَلَّ جَلَالُهُ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ (١)

تمت بحمد الله وعونه . وهى مائة وأربعة وثمانون بيتاً . بل هى  
مائة وخمسة أبيات

\*\*\*

الحمد لله رب العالمين

قال القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار : سمعت  
المظفر هناد بن ابراهيم النسفى يقول : سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن  
عبد السلام بن الواثق يقول : سمعت بعض الصالحين يقول : روى  
بعض الصالحين فى المنام . فقليل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى  
قليل : من وجدت أكثر أهل الجنة ؟ قال : أصحاب الشافعى  
فقليل : فأين أصحاب أحمد بن حنبل ؟

قال : سألتنى عن أكثر أهل الجنة . ما سألتنى عن أعلى أهل الجنة .  
أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة . وأصحاب الشافعى أكثر أهل الجنة .

[مراتى العلماء والشعراء لشيخ الاسلام ابن تيمية]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه ، أمين الدين عبد الوهاب بن سلال الشافعى .  
رضى الله عنه ، يرنى الشيخ تقي الدين ، الامام أحمد بن تيمية :

كل حي له الممات ورود      ليس في الدنيا لمء خلود  
 كل خلٍ مفارق لخليل      كل وصل إلى انفصال يعود  
 ليس يبقى إلا إله البرايا      دائماً الملك والبقا . لا يبيد  
 عينٌ ، سحى بمدمع ليس يرقاً      وسهادٍ دائماً ، وأجفانٌ جووا  
 يألجرح بمهجتي ، ليس يبرا      أويجودوا بطيفهم ، أو يعودوا  
 هل لما بي من مُسعدٍ ، أومعين ؟      عزّ صبرى ، وفرط حزنى يزيد  
 ويك نفسى ، تعاملى باضطبار      فالذى قد قضى بهذا مرید  
 قد رزئنا إمام علمٍ ودين      عديم المثل فى الزمان فرید  
 يألحزن عليه ، عم البرايا      بالنار ، بقلبي لها وقود  
 كان شيخ الاسلام عقلاً ونقلاً      سنن البدع عنده مردود  
 كان فى العلم والشجاعة فذاً      وهو فى الزهد والعفاف يسود  
 كان بالعرف آمراً ، لا للحظ      وعن الشكر للعباد يذود  
 كان لله ذا كراً كل وقت      وعن اللهو والضلال بعيد  
 مات لله صابراً وسط سجن      يوم الاثنين ، سرّه مشهود  
 وتولاه الأبرار غسلاً ودفنا      أبيض الوجه ، فى الثرى ملحود  
 حن وافي على الرؤوس مسجى      والبرايا من كل حى وفود  
 صحت من فرط ما بدالى : مم

لا ، لك فى جنة الخلود خلود



يا لها من رَزِيَّة طاش فيها كل لُبٍ وتقرُّشُ الجلود  
يا ابن تيمية ، عليك سلامي كل وقت يمضي ، ووقت يعود  
يا ابن عبد الحليم ، حلمك يسمو يا ابن عبد السلام ، سِلْمُك جود  
يا إمام العلوم . من للفتاوى ؟ ولحل الأشكال حَبْرًا تفيد ؟  
ولفهم الكتاب والنقل بحرٌ في معانيهما مصيب شديد  
يا بشوشا لكل من رام نفعاً إنَّ من نال من جنائك سعيد  
كلُّ وقت مضى لديك سماعا ذاك عند التحقيق علم جديد  
ليت شعري ، أَيَّامَنَا باجتماع بك ، هل تبدولنا ، أو تعود ؟  
طِبْتَ تُرْبًا ، وَقَدِّسْتَ مِنْكَ رُوحٌ وَمُنِحْتَ النعيمَ مهما تريد  
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدتُ بخط والدي يقول :

أنشد الشيخ الامام العالم ، مسند الشام ، بهاء الدين القاسم بن محمود  
ابن عساكر . أبقاه الله تعالى ، لنفسه في شيخ الاسلام تقي الدين أحمد  
ابن تيمية هذين البيتين ، في يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين  
وسبعمائة ، بمنزله بدمشق :

تقى الدين أضحى بحر علم    يجيب السائلين بلا قنوط  
أحاط بكل علم فيه نفع    فقل ما شئت في البحر المحيط

\*\*\*

وأيضاً وجدت بخطه في ابن تيمية يقول :

أنشدنا الشيخ صلاح الدين القوأس من لفظه ونظمه ، في شوال  
سنة ست وسبعائة ببعلبك ، بمسجد الخنايلة :  
قالوا : ابن تيمية في السجن ، قلت : لهم  
لا يعجزنكم الأفكار بالقلق  
مات الموفق والقاضي الامام أبو  
يعلى . ومات أبو الخطاب ، والخرقى  
ولابن حنبل الصديق نور هدى  
حتى القيامة مثل البدر في الفسق  
وفضله بين أهل الفضل مشتهر وإصبعاه من الزنديق في الخدق  
تم والحمد لله وحده .

\*\*\*

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلي يقول :

أنشدنا الشيخ الامام العالم العاضل الكامل ، أوحد دهره ،  
وفريد عصره ، إمام المحتتمين ، وقدوة أئمة المحدثين ، تقي الدين  
أبو الثناء محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي  
المحدث سأل الله تعالى لنفسه .

يرثي الشيخ الامام العلامة والبحر الفهامة ، حجة الاسلام ، وقدوة  
الأنام ، تقي الملة والحق والدين ، أحمد بن الشيخ الامام شهاب الدين  
عبد الحليم ، بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد السلام بن  
نيمية الحراني . قدس الله روحه . ونور ضريحه . في سنة ثمان وعشرين  
وسبعمائة . ولم ير الشيخ رحمه الله :

قَفَّ بِالرُّبُوعِ الْهَامِدَاتِ وَعَدَّدَ وَأَذَرِ الدَّمُوعِ الْجَامِدَاتِ وَبَدَّدَ  
وَاحْبَسَ مَطْيَكُ فِي الْمَنَازِلِ سَاعَةً

وَأَسْأَلُ ، وَلَا تَكُ فِي سَوَالِكَ مُعْتَدٍ

واقطع علائقك التي هي فتنة واتمّع سبيل أولى الهداية تهتد  
ودّع صباك . ودّع أباطيل المنى واهجر دُنِيَّاتِ الْأُمُورِ وَسَدَّدَ  
واقنع من الدنيا القليل ، ولازم الفعل الجميل ، وسرّ بسير مجرّد  
وتوخّ فعل الخير ، واصحّب أهله متحجباً متجنباً أهل الدّد (١)  
لا تعبتنّ سفارفاً يبكي على أحبّابه ، وارحمه إن لم تُسعدِ

(١) الدد : اللهو واللعب

وَدَرَعَ المَرَّوعَ بالبَعَادِ . وَعَذَاهُ فَالْعَذْلُ أَمْضَى مِنْ فَعَالٍ مُهَنْدٍ

ماذا الوقوف عن الشرى ، وصحابنا

ساروا ، وصاروا بالعرء القَدْخِدْ ؟

لَا أَخْضَرَ بَعْدَهُمُ الْعَقِيقَ ، وَلَا شَدَّتْ وَاقُ الْجَاهِمِ فَوْقَ بَرْقَدٍ تَهْمَدِ

أما أنا ، فَلَا بُكْبَيْنَ ، قَانِ وَنَى

دمعى ، سَفَكَتْ حُشَاةُ الْقَلْبِ الصَّدَى

أَيْنَ الْمَعِينِ عَلَى الْخَطُوبِ إِذَا عَرَتْ ؟ أَيْنَ الْمُسَاعِدِ عِنْدَ فَقْدِ الْمُسْعَدِ ؟

أَوْ مَا دَرَى مَنْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدْ مَضَى

أَسْبِيلُهُ فِي ضَنْكَ لَحْدٍ مُؤَصَّدِ ؟

أَيْنَ الْحَامِي عَنْ شَرِيعَةِ أَحْمَدِ ؟ أَيْنَ الْحَقُّ نَهَجَ مَذْهَبِ أَحْمَدِ ؟

مَاتَ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ الَّذِي يُهْدَاهُ عَالِمُ كُلِّ قَوْمٍ يَهْتَدِي

مَنْ لِلْيَهُودِ ، وَلِلنَّصَارَى بَعْدَهُ يَرْمِيهِمْ بِمَقَالِهِ الْمْتَسَدِ ؟

سَلَّ عَنْهُ دَيَّانُ الْيَهُودِ ، أَمَا غَدَا مُتْلَعًا بِصَغَارِهِ الْمْتَهُودِ ؟

نَشَأَتْ عَلَى فَعْلِ التَّقَى أَطْوَارُهُ

فَعَنَّتْ لَهُ التَّقْوَى ، وَأَعْطَتْ عَنْ يَدِ

وَرِثَ الزَّهَادَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ وَالْعِلْمَ إِرْثًا سَيِّدًا عَنْ سَيِّدِ

قَفٍ ، إِنْ مَرَرْتَ بِقَاسِيُونَ عَلَى ثَرَى فِيهِ ضَرِيحُ الْعَالَمِ الْمْتَفَرِّدِ

وَأَعْجَبَ لِقَبْرِ ضَمٍّ بِحَجَرٍ آخِرًا بِالْفَضْلِ يَقْذِفُ بِالْعُلَا وَالسُّودِ

بِشَرِّ يُبَشِّرُ بِالْغَنَى مِنْ جَاءَهُ      يَسِرُّ يَسُرُّ فَوَادِ عَانَ مَزْهَدِ  
 كَانَتْ بِهِ أَرْضُ الشَّامِ أَمِينَةً      مِنْ مُبْطِلٍ مُتَهَوِّلٍ مُتَلَدِ  
 لَوْ تَسْتَطِيعُ بَنَاتُ نَعِيشٍ أَنْ تَرَى      يَوْمًا يَسِيرُ بِنَعِيشٍ مَيِّتٍ مُلْحَدِ  
 كُنْتَ تَسِيرُ بِنَعِيشِهِ وَتَحْطُهُ      فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ فَرْقِ الْفَرْقَدِ  
 مَنِ الَّذِي جَمَعَ الْعُلُومَ إِلَى التَّقَى      وَالْفُضْلَ وَالْوَرَعَ الصَّحِيحَ الْجَيِّدِ  
 شَيْخُ الْأَنَامِ نَقِيُّ دِينٍ مُحَمَّدِ      وَجَالُ مَذْهَبِ ذِي الْفَضَائِلِ أَحْمَدِ  
 وَدَعَتْ قَلْبِي يَوْمَ جَاءَ نَعِيَّهُ      فَتَقَاعَدِي ، يَا عَيْنُ بِي ، أَوْ أُنْجَدِي  
 سَفَتْ الْعِيَادُ عِرَاصَ قَبْرِ حَلَّةِ      جَسَدٌ حَوَى خُلُقًا وَحَسَنَ تَوَدِّدِ  
 بَلَغَ الْعُدَّالُ قَرُطَ صَبَابَتِي      وَتَعْلَقُ يَوْمَ النُّوَى وَتَسْهَدِي  
 بَعْدَ رُزْنِكَ فِي الزَّمَانِ رَزِيَّةُ      تُضْمِي الْمَقَاتِلَ بِالْفِرَاقِ وَلَا تَدِي <sup>(١)</sup>  
 ذَاتَ شَمْلِ الْمَلْعَدِينَ جَمِيعِهِمْ      وَجَمَعَتْ شَمْلَ ذَوِي التَّقَى الْمُتَبَدِّدِ  
 يَنْ تَرَى أَقْوَالَهُ مُبْيَضَّةُ      فِي كُلِّ ذِي قَوْلٍ وَوَجْهِ أَسْوَدِ  
 كَالْيَاءِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ      وَسَمَامِ <sup>(٢)</sup> كُلِّ أَخِي نَفَاقٍ مُلْحَدِ  
 وَاحِدِ الدُّنْيَا الَّذِي بَعْلُومُهُ      يَمْتَنَزُ فِي الْإِسْلَامِ كُلِّ مُوَحِّدِ  
 بِحَامِلِ الْأَعْبَاءِ عَنْ مُسْتَنْصَرِ      يَا كَاشِفِ الْغَمِّاءِ عَنْ مُسْتَنْجِدِ  
 بِحَارِدِ الشُّبُهَاتِ عَنْ مُتَرَدِّدِ      يَادَافِعِ الْفَاقَاتِ عَنْ مُسْتَرْفِدِ

(١) وداه - كدحاه - أعطى ديه

(٢) سمام : جمع سم . ويجمع أيضا على سموم

قَرَّتْ عيونُ مجاوريك ، وقد غنوا  
بجوار قبرك عن وثير المرقد

فكأنما تلك اللحود حقائق

ترهو بنرجس زهرها الغضَّ الندى<sup>(١)</sup>

يا خاتم العلماء صحَّ بموتك الـ  
اليوم قبضُ العلم ، قولاً واحداً  
من غير مامنع ، وغير تردد  
لو لم يكن ختم الأئمة أحمد  
خوضُ الكرائه لم يزل من دأبه

فبه الفوارس في المضايق تهتدي

شيخ إذا أبصرته في محفل  
تقدى برؤيته عيون الحسد  
ذو المنقبات الغر والشيم التي  
يفنى الزمان وذكره لم يند  
يامن يروم له عديلاً في الوري  
قد رُمّت كالغنقاء مالم يوح  
كم بين رثبال الفلاة وتعلب

كم بين شعواء البزاة وجدجد<sup>(٢)</sup> ؟

(١) الآيات الأربعة ، من « يا حامل » مضروب عليها في الأصل

بخط رفيع لم يمح الكتابة . ولعل ناسخها الشيخ يوسف حسين ضرب  
عليها لما فيها من الغداء

(٢) الرثبال - كقرطاس - الأسد ، والشعراء : المنتفشة الشعر . والجدجد -

كدهد - طويتر شبه الجراد



ريح المَطيّ ، ولا تكن كمحاول  
صيد النُجوم من المياه الرُّكْد  
قد كان شمسا للصَّحاب منيرة بضياءها ، في كل قَطْرٍ ، نهتدى  
واليوم أدركها الكسوف ، فأظلمت

طرق الهدى للسالك المتردد  
لُفني على تلك الشَّائل والنَّدى والجود ، والهدى القويم الأرشد  
هجم الحِمام ، فلا مَقَرَّ لهارب والموت في الدنيا لنا بالمرَّصد  
مات الصديق ، ومات من عاديته وتموت أنت كمثلته ، وكأنَّ قَدِ  
وإذا مضى أقران عمرك فانتظر في يومك الناعي ، وإلا في غَدِ  
ليكن لنا عن كل خِلٍ بَلْوة بمصاب سيدنا النبي محمد  
صلى عليه الله ماهجر الكرى جفن التقى القانت المهجد  
تمت والحمد لله . وعدتها ستة وخمسون بيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

وأیضا للدُّقوقي ، رحمه الله تعالى

ما كُفَّ هذا الرُّزء جَفَنٌ تَسْجِم أبدا ، ولا قلبٌ يذوب ويألم  
رُزء أصمَّ جميع أَسْماع الوری سبق الحدوث به القضاء المبرم  
رُزء يَجِلُّ عن البكاء ، لأنه لا رُزء منه في البرية أعظم  
( ٢٦ - العقود الارية )

يتصاعل اللّسن الفصيح لذكره ويجلّ قدراً في النفوس. ويعظم

رزه له هَوَاتِ النجوم ، وكوّرت

شمس الضحى ، والصبح ليل مُعَمِّم

من عظيم موقعه ، وفادح خطبه

لم يدّر قسّ ما البيان ، وأكتم<sup>(١)</sup>

ليكنّا تجري الأمور بكل ما يقضى به زب السماء ويحكم

والأمر أعظم أن يقوم ببعضه

دمع يصوب ولم يخالطه دم<sup>(٢)</sup>

ذا الخطبُ أعظم أن يداوى بالأسى

هذا المصاب أجلّ مما تعلم

كلّ يدافع حتفه عن أنفه حتى يفاجئه الحمام المذموم

أعْيى الأنام ، فما له من ملجأ يُؤويهم عند الخطوب ، ويعصم

والموت ورْدٌ للجميع ، وكلّهم في ماء ذاك الورْد حتماً يقد

من أخطائه يد الحوادث في الصّبا لا بد تدركه<sup>(٣)</sup> إذا هو يهر

(١) فس بن سحبان ، وأكتم بن صيفي ، خطيبا العرب

(٢) وفي نسخة: بحقه \* صب حشاشته تذوب وتكلم \*

(٤) بهامش الأصل: وفي نسخة منقولة عنه «لا بد أن تدركه إذا هو يهر»

سيَّان في حكم القضاء<sup>(١)</sup> مؤجَّل في نفسه ، ومعجل يتقدم  
 الأخي ، لا تبعد ، فليس بخالد أحد . ولا حَيٍّ عليها يسلم  
 لا تعذل الباكي على أحبابه واعذره ، وارحمه ، لعلك تُرحم  
 للخطب يدخر الصديق ، ولا أرى في الناس يوم البين خلاً يرحم  
 لا تحسبوا ورقَ الحماَم سواجعا

يوم الرحيل ، ولا المطايا تدرَم<sup>(٢)</sup>  
 هذى تحنُّ فتشتكى ألم<sup>(٣)</sup> السرى

والورق تذكر إلفها ، فترنم

ما حاربت أيدي الردى في مأزق  
 إلا غدت أقرانه تتخرم

من ذا يطيق مع الفراق تجلداً ؟

قل لي ، وقد مات الامام الأعظم

دَى فريد الدهر أوحد عصره ومضى التقى العارف المتوسم<sup>(٤)</sup>

(١) في نسخة بهامش الاصل « الفاء »

(٢) درم - كفرح - استوي

(٣) في نسخة بهامش الاصل : « طول »

(٤) من قوله تعالى في سورة الحجر ( إن في ذلك لآيات للمتوسمين )

شيخ يسود بحجده وبحجده (١) وسواه في هذين صفر معدم  
 شيخ كأن الله أودع سره فيه ، فما تلقاه إلا يعلم  
 اليوم أكشف عن غوامض سره اليوم منه يُفسّر المستعجم  
 قد كان يؤثر من أناه بقوته ويظل طول نهاره لا يطمع  
 ويجود بالموجود منه ، ويرشد الـ جَنَف (٢) المصيّ بهديه ، ويقوم  
 ظهر له شيم التقي ، فكأنه بطهارة الأثواب نسكا : محرم  
 وإذا تقاعست الرجال ، فانه يوم النزاع : العلم المنتقم  
 من ذاي رى للمشكلات يحلها والواقعات ، ومن به يستعصم  
 وعلى النصارى الملحدين ، إذا أتوا من ذاي رد ، ومنه يجيب ويفهم ؟  
 يشتاقه الإرسال فى إسناده والنسخ والمنسوخ ، ثم المحكم  
 وبكته عنعنة الحديث وطرقه وبیان ما يحوى عليه المعجم  
 هذا الذى للدين منه معلل ومنوع ، ومجنس ، ومعلم  
 هذا الامام الحجة الخبر ، الذى تُنفى به شبه الشكوك وتُحسم

(١) الجد - بكسر الجيم - السعى وعمل الانسان ونشاطه . وافتح باب  
 الاب . فهو حسيب نسيب اكتسب السيادة بنفسه وفضله وعلمه ، وبابائه  
 الأفاضل العلماء الجهادة .

(٢) الجنف : المائل عن الحق

فَضْلٌ وَزَهْدٌ لَا يُمَدُّ (١) وَعِفَّةٌ وَدِيَانَةٌ وَرِزَاةٌ وَتَحْلُمٌ  
 اَيْتُ يَا ابْنَ مَجْدِ الدِّينِ طَوْذٌ بِاَذْخٍ فِي الْفَضْلِ . مَمْنُوعُ الْجَوَانِبِ اُتْمَمُ (٢)  
 اَقْسَمْتُ مَا وُصِفَ امْرُؤٌ بِصِيَانَةٍ فِي نَفْسِهِ ، اِلَّا وَصَوْنُكَ اَعْظَمُ  
 اَبْدَى مُصْلَاكَ الْبِسْكَاءُ ، وَحَسْبِهِ بِيكِي عَلَيْكَ ، وَحَقَّتْ يَتَنَدَّدُ  
 اُسْعًا عَلَى مَافَاتِهِ مِنْ وَرْدِهِ وَاللَّيْلُ سَاجِرٌ ، وَالْخَلَايِقُ نُومٌ  
 حَسْبُوه اِذَا وَجَدُوهُ اَعْلَمُ مِنْهُمْ وَرَأَوْهُ اَفْضَلُهُمْ . وَاِنْ كَانُوا اَعْمَا  
 عَقَلُوهُ اِذَا عَقَلُوهُ . اَيْتُ كِبَاشُهُمْ

وَاللَّيْثُ يَعْقِلُ مِنْ سِطَاهُ وَيُلْجِمُ (٣)  
 تَبْكِي عَلَيْهِ جَوَامِعُ ، وَجَمَاعُ وَمَنَاقِبُ . وَمَرَاتِبُ تَهْتَدُ  
 رَزَاكَ خَلَائِقُهُ الشَّرَافُ ، وَكُرِّمَتْ  
 مِنْهُ الْمَعَارِشُ . وَهُوَ مِنْهَا اَكْرَمُ

جَمَعَتْ لَهُ اَشْتَاتُ كُلِّ فَضِيلَةٍ تَرَوِي مَدَائِحَ شَرَدَاتِ حُومٍ  
 مَا لَنْ فَضَائِلُهُ الْبِلَادُ . فَفَضْلُهُ كَالشَّمْسِ ، نَوْرُ ضِيَائِهَا لَا يُكْتَمُ  
 وَلَقَدْ دَعَوْتُ الشَّعْرَ يَوْمَ نَعِيٍّ فَأَبَى عَلَيَّ . فَلَمْ أَطِقْ اَتَسْكَمُ

(١) بهامش الأصل لعله « يحد » (٢) الآية : الجبل الصعب

(٣) عَقَلُوهُ : اَي حَبَسُوهُ . وَسِطَاهُ : رِسْطَاهُ .

أَنَّى يَجِيبُ ؟ وَمَنْ لَوَازِمَ حَقَّةٍ أَنْ لَا يُجِيبَ ، وَفَكَرُهُ مُتَقَسِّمٌ  
وَأَخَذْتُ أَكْتُبُ مَا أَقُولُ ، وَأَدْمَعِي

بَيْنَ الشُّطُورِ كَعَقْدِ دُرٍّ يُنْظَمُ

نَفْدَ الْمِدَادِ ، فَسَاعِدَتُهُ مَدَامَعِي فَقَصَى عَلَيَّ ، فَسَاعَدَ الدَّمْعَ الدَّمْعَ  
حَالَ الْمِدَادُ عَنِ السَّوَادِ ، كَأَنَّهُ دَمْعَ الْحَاجِمِ ضَبَّ فِيهِ الْعَنْدَمُ  
جَادَتْ ضَرْيَحًا بِالشَّامِ غَمَامَةً

تَسْقَى تَرَاهُ عَلَى الْمَدَى وَتُدَوِّمُ (١)

وَسَقَى قُبُورًا جَاوَرَتَهُ مِنَ الرِّضَا

تَحْتَ التُّرَابِ سَحَابَ عَفْوٍ (٢) مُشْجَمٌ

طَوَّبِي لِمَنْ أَمْسَى بِمَجَاوِرِ تَرْبِهِ مِنْ أَجْلِهَا الْجَارُ الْمَجَاوِرُ يُكْرَهُ  
أَمْسَى وَتَحْتَ الْأَرْضِ عُرْسٌ إِذْنَوِي فِيهَا ، وَفَوْقَ الْأَرْضِ فِينَا مَاتَ  
هَذَا وَأَمْلَاكَ السَّمَاءِ تَحْفَهُ قِي كُلِّ يَوْمٍ لَا تَمَلُّ وَتَسَاءُ  
يَا أَرْضُ صَرْتِ بِهِ كَرَوْضَةً جَنَّةٍ لَنَزِيلِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَوْسِمٌ  
لِسَوَاهِ تَشْقِيقِ الْجُيُوبِ ، وَإِنَّمَا شَقَّ الْجُيُوبِ عَلَيْهِ مِمَّا يَلْزَمُ  
سَعِدَتْ بِهِ أَرْضُ أَقَامَ بِرُمْسِهَا مِيتًا ، وَهَذَا الْمَيْتُ حَيٌّ مُكْرَهُ

(١) دومت ، ودِيمت : دام مطرها

(٢) نسخة بهامش الأصل «جود»



نقلت إلى جنات عدن روحه      والخور والولدان فيها تخدم  
 جثمانه تحت العراء ، وروحه.      في مقعد الصدق الرضا تنعم  
 لو كان للقبر المحيط بجسمه      يوما لسان ناطق يتكلم :  
 لسمعت بشراه بمن وافى إلى      عرصات من خير ضيف يقدم  
 هو في جوار الله أشرف منزل      والله أرأف بالعباد وأرحم  
 تبكى له السبع الطواف وسعفيه      والحجر ، والبيت العتيق ، وزمزم  
 وتعطل الحراب من متعجد      بالذكر في أسحاره يتزعم  
 والخلق إن نسبوا إليه كواحد      في أمّة ، وهو الفريد الأعم  
 أضحت سطور الفضل يصعب فهمها      كالخط أصعبه الغريب المبهم  
 فأبان مشكلها ، وأوضح رمزها      فعدت بتنقيط الفضائل تعجم  
 إن كان قد أمسى رهين مودّا      زلخ الجوانب جذره متهدم <sup>(١)</sup>  
 فلو بآن قد أعان وأكبه      هدى ، فأرشده . ولا يتبرّم  
 وضريحه كالمسك ، ينشق عرفه

من كان من حنق عليه يُسلم

إن كان هذا الرزء يعظم ذكره

شرفاً ، وينجد في البلاد ويثبهم

(١) ودأ عليه الأرض تودينا : سواها ، وزلخ الجوانب أملسها

فالصبر أكرم ملبس يختاره حُرٌّ بصير ، بالعواقب مسلم  
وعلى النبي من الإيَّاه صلته

ماسارت الأظمان سوقا ترزَم

قال الشيخ أبو بكر بن أحمد الدُّرَيْبِي رحمه الله :

كان على النسخة التي نقلت منها نسختي هذه ما صورته :

نقلتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة ، أُوحد عصره ، وفريد  
دهره أبي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي ، البغدادى . قدس  
الله روحه :

وقال أيضا : شاهدت على الأصل المنقول عنه ما صورته :

سمع على الولد السعيد أبو الخير ، سعيد بن عبد الله الذَّهَلِي  
الحريرى جميع هذه القصيدة الموسومة : بمرثاة الشيخ العالم الربانى تقي  
الدين أحمد بن تيمية الجرانى . بقرأة الشيخ الامام الأُوحد الفاضل  
الحقق السَّكَّامِل ، جمال الدين أبى أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن  
محمد السامرئى . وذلك فى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول سنة  
ثلاثين وسبع مائة

وكتب ناظمها محمود بن علي بن محمود الدقوقي حامدا ومصليا —

توفى ناظم هذه المرثاة الشيخ تقي الدين الدقوقي يوم الإثنين

العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . ودفن يوم الثلاثاء  
بمقبرة الامام أحمد ، وحملت جنازته على الرؤوس . رحمه الله .  
وللدقوقي أيضا رحمه الله تعالى :

مضى عالم الدنيا الذي عزَّ فقده      وأضرَمَ ناراً في الجوائح بعده  
فدمعى طليق فوق خدِّي مُسلسل      أكَفَّ كُفَّهُ حيناً ، وجَفَى يَرُدُّه  
ويرجو التلاقي ، والفراق يَصُدُّه      وما حيلة الرَّاجي إذا خاب قصده  
مضي الطاهر الأثواب ، ذو العلم والحجى

ولم يتدنس قط بالاثم بُرْده  
مضى الزاهد النَّدب ابن تيمية الدنيا

أَقَرَّ له      بالعالم والفضل ضِدَّه  
بَكَتَهُ بلاد الشام طُرّاً وأهلها      وجامعها وانماح للحزن صلَّده  
يَحْنُ إليه في النهار صِيامه      ويشتاقه في ظلمة الليل وَرْدَه  
ويبكي له نوع الكلام وجنسه      وَيَنْدِبُهُ فصل الخطاب وَجْدَه  
حَمَى نفسه الدنيا ، وعَفَّ تَكْرُما      ولما يُصَعَّرُ للدَّيَّيات خَدَّه  
ولم يجتمع زوجان من شهواتها      لديه ، وبين الناس قد صَحَّ زَهْدَه  
ويؤثر عن قتر ، وفيه قناعة      ويعجبه من كل شيء أَشَدُّه  
عليم بمنسوخ الحديث وحكمه      وناسخه ، نخر الزمان وَجْدَه

قَوْل ، فعول ، طيب الجسم ، طاهر

إمام ، له من كل علم أسدّه

فما قال في دنياه هُجْراً ولا هوى ولا زاع عن حق تبين رُشدّه

علوم كذشر المسك من كل سيرة يُشَيِّد دين المصطفى ويُجِدّه

فله ما ضمّ التراب ، وما يرى

من الفضل ، فليفتخر على الأرض لحده

فيا نعشه ، ما ذا حملت من امرى جميع الورى فيه ، وفوقك فردّه ؟

وكان لنا بحرا من العلم زاخرا فما باله لم يصف مذ غاب ورده ؟

وما مات من تبقى التصانيف بعده

مخلّدة ، والعلم والفضل ولده

وخلف آثارا حسنا حميدة إذا عُدَّت زادت على ما نعه

ولست مطيقا شرح ذلك مفصّلا ولكن على الاجمال يعكس طرده

لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا يُراعى وِدَاد الخُلّ إن خان أوده

قضى نَحْبَه والله راض بفعله والله فيما قد قضى فيه حمده

يدل تراب القبر من جاء زائرا إليه بطيب فيه يعبق نده

ولا تحسبوا ما فاح عطر حنوطه ولكنه حُسن الثناء ومجده

وكان لأهل العلم تاجا مُكَلَّلا يحوطهم من مُبْطِل خيف حقه

وما كان إلا التبر عند امتحانه      بين لعين الحاذق النقد نقده  
وكان يقول الحق ، والحق حلوه      مرير ، لهذا كان يُكره رده  
وفي الحق لم تأخذه لومة لأثم      ولاخاف من غمر تشدد حرده<sup>(١)</sup>  
وما كان الا السيف غارت يد العلا

عليه ، فردته كما غار غمده  
ولم تله الدنيا وزخرفها الذي      يروق لمن لم يؤنس الدهر رشده  
لقد فقدت منه المحاسن زينها      ولما يفارق علمه الجم وجده  
وخضبت الأقلام بعد مدادها

عليه دما ، قد فاض في الطرس مدّه  
فللدهر ماضمّ الترى من محقق      ويالك من غضب تشلم حده  
وكان إماما يستضاء      بنوره

وبحرأ من الافضال قد غيض عده<sup>(٢)</sup>  
وكنْتُ أَرْجَى أَنْ أَرَاهُ ، ونلتقى      لكن قضاء الله ، مَنْ ذا يرده ؟  
رى الموت مألوف الطباع . وربما      يُعَال بالملأوف من لا يوده  
فأه على تفريق شملٍ مُجمّع      وحرّ فؤاد بان ، مُذهبان رده

( ١ ) الغمر — ماث الغين — من لم يجرب الامور : والجرد : شدة  
الغضب والغيط

( ٢ ) العد — بكسر العين — الماء الجارى الذى له مدد لا ينقطع

إلا أنها نفس ، والنفس حرة  
ولست بناس عهد خلٍ تغييت  
وما عذر دمع لا يحيشُ بدمعه  
يروم الأمانى ، وللمنايا تصدّه  
عليك ، أبا العباس فاضت مدامعى  
على مثلك الآن المراثى مباحة  
شددت عرى الإسلام شدة عارف  
تركت لهم دنياهم ترك عالم  
وكنّت لمجموع الطوائف مقتدى  
وكنّت ربيما للمريد وعصمة  
وقلب وقد يشجى ويضنيه وجرده  
محاسنه ، والنخل يحفظ عهده  
غداة نأى عنه الصديق ورفده  
وما حيلة الراجى إذا حار قصده  
وقلبى لبعدى عنك أجب وقده  
وإن غاض دمعى ، فالدماء تمدّه  
قوى على الأعداء لم يأل جهده  
علا قدره عند الإله ومحده  
وشقدا لهذا الدين أكرم عقده  
وكنّت ربيما للمريد وعصمة

فخذ صيرت تحت الأرض صوح ورده (٢)

جمعت علوم الأولين مع التقى  
وكنّت تقى الدين معنى وصورة  
رحلت وخافت القلوب جريحة  
عليك سلام الله حيا وميتا  
تمت وهى اثنان وخمسون بيتا .

\*\*\*



بقى الدين لما ميت أضحت لك الدنيا تُصَيِّحُ بانتحاب  
وكنت البحر ، فوق الأرض تمشي  
فعاد البحر من تحت التراب

\*\*\*

للامام المحدث الفقيه الفاضل تقي الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان  
بن عبد الله بن سالم الجعفري مرثاة في شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس  
أحمد بن تيمية رحمة الله عليه :

جَلَّ رُزْؤِي وَقَلَّ مَنِي اصْطِبَارِي      يَا قَوْمِي مِنْ قَاصِمِ الْأَعْمَارِ  
مَنْ مَعِينِي عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِي      وَمُلَاتِهِ ، وَمَنْ أَنْصَارِي :  
قَدْ سَقَتْنِي الْأَيَّامُ جَرَّعَةً صَبْرُ      عَزَّ صَبْرِي لَهَا ، وَبَانَ اصْطِبَارِي  
فَدَمَوْعِي مِثْلَ الْغَامِ انْسِجَامَا  
وَنَوَاحِي فِي اللَّيْلِ مِثْلَ الْقَمَارِي (١)  
بَاعْدُولِي ، اقْصِرْ ، فَانْكَ خِلْوُ

مِنْ شَجَوْنِي ، فَلَا اخْتَرَقْتَ بِنَارِي  
طَابَ كَأْسُ الْمُنُونِ صَرْفًا ، أَدْرَهَا      لَا كَوُوسًا مِمَزُوجَةٍ مِنْ عُقَارِ  
لَسْتُ أَبْغِي الْحَيَاةَ بَعْدُ ، وَلَسْتُ      بُغَيْتِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْأَبْرَارِ

---

(١) القمري - بضم القاف نوع من الحمام ، والجمع القماري بفتح القاف

بعد سبع من المئين وعشري ن خريفا من هجرة المختار  
 مع ثمان للعقد عشرون إذ ذا لك يوم الاثنين بعد نصف النهار  
 مدفن الخبر محرز العلم حقاً ترجمان الكتاب والآثار  
 أحمد ، أحمد المناقب والوصف ابن تيمية الكريم النجار  
 التقى النقي ذى الجمد والسوداء والمكرمات ، والاشار  
 إن يكن جسمه تغيب في التراب ب فغنائه نشره كالعرار<sup>(١)</sup>  
 كان قطبا ، وعالما ، وإماما وشيخا لوحده بالفخار  
 جابراً لليتيم ، برأ ، رجيا علمه مشرق على الأمصار  
 لم أجده بعده على الدهر<sup>(٢)</sup> معينا سوى عيون جوارى  
 فتهارى من فقدته مثل ليلى بعد ليل ، بوصله كالنهار  
 يا ابن تيمية ، ويا أوحده العبد سر ، وياسيدا غريب الدار  
 كنت كالكهف ملجأ لخيف من ضلال ، وناصرأ باقتدار  
 إن دعوت البكاء بعدك والصبـ ر أجاب البكا ، وولّى اضطبارى  
 فرجائى إن ينقطع من وصال سوف يبق حزنى مدى الأعمار

(١) نشره : طيب ريحه ، والعرار : نبت طيب الريح

(٢) كانت بالاصل : « لم أجده بعده معينا على الدهر »

كنت حبيباً للمتقين إماماً      فآلق ماقد وعدت من ستار  
 غافر الذنب قابل ، التوب ،      ذى الطو  
 ل ،      العزيز المهيمن الغفار  
 وعلى نفسك الزكية منى      يامنأى ومنتهى أو طارى  
 كل وقت تحية ، وسلام      ما أضأت كواكب الأسفار  
 تمت والحمد لله وحده .

\* \* \*

للشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرئ فى الشيخ تقي الدين  
 ابن تيمية يرثيه :

عظم المصاب وزادت الأفكار      وجرت بحكم فراقك الأقدار  
 يا أوحداً فى حلمه وعلومه      خلّت البقاع ، وقلّت النصار  
 أعلّى تقي الدين يحسن صبرنا ؟      ولثله تتهمتك الأستار  
 تجرى لعظم فراقنا عبراتنا      أسفاً عليه ، كأنها أخطار  
 لهفى على بحر العلوم وغوصه      يحوى الجواهر باهر زخار  
 ينال منه إلى القلوب جواهر      والدّر من فيه السنيّ نثار  
 وله بتفسير الكتاب غرائب      جليت له . وكذلك الأخبار  
 حبر ، لبّيب ، أوحى فى عصرنا      سسل ماتشا ، له به أخبار

غلب الملوك مهابةً وشجاعة  
ما كان إلا شامة في شامنا  
وله من الله الكريم عناية  
ما كان إلا دُرَّةً مكنونة  
لا يَأْوِينَ إلى الحطام تَعَفُّفاً  
ما كان إلا حبر أمة أحمد  
ومجاهد في الله حق جهاده  
وله الزَّهَّادة والعبادة منهج  
حاز العلوم : أصولها وفروعها  
يلوى عن الدنيا ، وما يُعْنَى بها  
لما اقتناه (١) هداه منهاج الهدى  
نزل القضاء به فأنس رحمة  
بكت السماء عليه يوم فراقه  
وبكى الشَّام ، ومُدَّنه ، وبقاعه  
أوما نظرت إليه فوق سريرته  
والناس من بالك عليه بِحَرَّةٍ  
ليثٌ يهابُ لقاءَه الكفار  
وعليه من تقوى الاله شعار  
وله من الصبر الجميل دثار  
لا يعتريه تدنس وغبار  
وعليه من تقوى الاله وقار  
شخصت لعظم مُصَابِهِ الأبصار  
يحر النَّدَى ونواله مدرار  
وبسنة الهادي له استبصار  
وبكل ما يروى له آثار  
وزواه عنها الواحد القهار  
وعطاء ربك وافر مكثار  
من ربه لا تدفع الأقدار  
أسفا . وجاء الغيث والأمطار  
لما قضى . وكذلك الأمصار  
حَفَّتْ به من ربه الأنوار ؟  
ودموعهم فوق الحدود غزار

(١) أى اختصه الله بنصرة دينه وإقامة شريعته

وَهُمُ الْوَفَّاءُ ، أَيْسَ يَحْصِي جَمْعَهُمْ      إِلَّا إِلَهَ غَافِرٍ سَتَّارٍ  
 زَلُّوا بِهِ ، كَالْبَدْرِ فِي إِشْرَاقِهِ      فَتَبَاشَّرَتْ بِقُدُومِهِ الْأَقْطَارُ  
 عَبْدُ الْحَلِيمِ ، وَجَدَهُ ، سَعَدُوا بِهِ      وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَالْأَرْارُ  
 وَلَمْثَلْ هَذَا سَارَعُوا أَهْلَ التَّقَى      فَازُوا بِمَا فَازَتْ بِهِ الْأَخْيَارُ  
 اللَّهُ يَكْرُمُهُ بِأَفْضَلِ رَحْمَةٍ      فِي جَنَّةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
 أَكْوَابُهَا مَوْضُوعَةٌ ، وَقَبَابُهَا      مَرْفُوعَةٌ حَفَّتْ بِهَا الْأَنْوَارُ  
 وَكُؤُوسُهَا قَدْ أَدْهَقَتْ ، وَقُصُورُهَا      قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارُ  
 وَصَحَافُهَا مِنْ فِضَّةٍ ، وَابِاسِهِمْ      مِنْ سِنْدَسٍ ، وَطَعَامُهُمْ أَطْيَارُ  
 وَالْحُورُ فِي تِلْكَ الْخِيَامِ بِبَهْجَةٍ      لَكِنَّهُنَّ عَلَى الْمَدَى أَبْكَارُ  
 عُرْبًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَلَيْتُنَا      مِنْهُمْ إِذَا صَرْنَا إِلَى مَاصِرَا  
 وَعَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ نَعِيمُهُمْ      وَعَلَيْهِمْ كَأْسُ الرَّحِيقِ تُدَارُ  
 وَوُجُوهُهُمْ مِثْلُ الصَّبَاحِ إِذَا بَدَا      لِلنَّاطِرِينَ ، كَأَنَّهُمْ أَقْمَارُ  
 وَيُتَمَتَّعُونَ بِنَظَرَةٍ قُدْسِيَّةٍ      مِنْ رَبِّهِمْ ، سُبْحَانَهُ الْجَبَّارُ  
 فِي عَمْرِ عَيْسَى ، وَالْجَمَلِ كَيُوسُفَ      وَبَطُولِ آدَمَ ، كُلِّهِمْ أَبْرَارُ  
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      فَهُوَ الرَّسُولُ الْمَصْطَفَى الْخِتَارُ  
 هَادِي الْوَرَى وَإِمَامُهُمْ وَشَفِيْعُهُمْ      أَنْصَارُهُ الْأَمْلَاقُ وَالْأَنْصَارُ  
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَتَزَ الثَّرَى      فَرَحًا ، إِذَا مَا جَادَتِ الْأَمْطَارُ  
 تَمَّتْ . وَهِيَ أَحَدُ أَرْبَعُونَ بَيْتًا .

من قصائد الشيخ مُجِير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط  
الجوخى الدمشقى ، مرثية فى الشيخ رحمه الله تعالى :

خشعت لهيبة نعشك الأبصار	لما عليه تبدت الأنوار
وبه الملائكة الكرام تطوّفت	زُمرًا ، وحَفَّت حوله الأبرار
فكساه رب العرش نورا ساطعا	فكأنى غَشَى النهار نهار
ولأمة الاسلام حول سريريه	سام إلى رب السماء مُخبر
ولهم دموع من خشوع نفوسهم	ودموعها فوق الحدود نزار
وسرّوا به فوق الإران <sup>(١)</sup> ، وتحتته	منهم يمين أنامل وسار
ولرحمة الرحمن ظلّ سَجَسَج	يفشاهم ، وسكينة راق
فلأكم عيون من ثمّوج مأها	حزنا تأجج فى الجوانب سار
كان المات زفاف عرس حياته	وبه النفوس مع الدموع سار
إن كان من أهل وجيران نأى	فله دناس ذى الجلال سار
أو كان عن دار الفناء رحيله	فلديه فى دار البقاء ديار
أو كان أزعج عن ذرى أوطانه	فله مخلد فى الجنان فرار
ما كان إلا مُرّين علم رُوّضت	منه بصيّب قطره الأنطار

(١) الاران — ككتاب — سرير الموت ، أو تابوته .



كالغيث أقطع بعد سحر غيمه  
 ما كان إلا طود علم باذخ  
 ما كان إلا بحر جود ، كفه  
 ما كان إلا ديمة معروضا (٣)  
 ما كان إلا البدر عند كماله  
 ما كان إلا خير أمة أحمد  
 حبر . وبحر للمكارم ، والتقى  
 والسلم لأحمد في المحامد رتبة  
 وله مناقب ما لحصر صفاتها  
 وله الشعور بكل علم نافع  
 وله التزهيد ، والتعبد ، والتقى  
 وله . إذا نخر الفخور بزينة الـ  
 والأدب الأشياء علم نافع  
 إن ظلمت سبيل النهى لسكونه  
 ولقد علا الاسلام جل مصابه  
 لو كان في الدنيا يدوم مخلدا  
 بشر ، نخلد أحمد المختار  
 وتخلقت من بعده الآثار  
 من دون وزن حصاته القنطار  
 تياره بنواله زخار  
 بهباته لعفاته مدرار  
 وافاه من نقص التمام سرار  
 في العصر ، لم تسمح به الأعصار  
 والجود ، والاحسان فيه محار  
 من طولها تنقاصر الافكار  
 عد ، ولا حد ، ولا مقدار  
 عقلا ، وتقلا ، في الأنام : شعار  
 ما بين أرباب الدثور : دثار  
 دنيا بتشعيب الحياة ، نثار  
 لادرهم يغنى ، ولا دينار  
 فلذكره في الخافقين منار  
 سكنها لا تدفع الأقدار  
 بشر ، نخلد أحمد المختار

ولكل حي خلع توب حياته  
 فيم النجاة ؟ وكل حي ميت  
 ولقد أسفت على فراقى أحدا  
 لو كان يُفدى هان عند فدائه  
 قد كان مغناطيس أفئدة الورى  
 ما كنت أحسب أن يوم وفاته  
 بكر النساء من الستور ثواكلاً  
 والناس أمثال الجراد ، لهم على  
 فكائه يعسوب نحل نحوه  
 ملأت محاسنه البلاد ، ونوّهت  
 وجرى بأفواه الأنام ثناؤه  
 يفنى الزمان وينقضى وبأحمد  
 فأحله الرحمن دار أمانه  
 وحباه ظلاً صافياً فى جنة  
 علما بأن ثوب الحياة معار  
 إلا الآله الواحد القهار  
 إذ ليس لى قضيت به الأوطار  
 أموال ، والأولاد ، والأعمار  
 أنسا . ولكن فى القليل تقار  
 يبدو المصون وتهتك الأستار  
 ومن الخدور النهّد الأبكار  
 تابوت منه تهافت ودوار  
 حيا وميتا للنفوس مطار  
 بحديث معجز فضله الأمصار  
 فلأرض روضة ذكره معطار  
 وحديثه تتحدث الشمار  
 لينزل من خوف عليه حذار  
 فيحاء ، تجرى تحتها الأنهار

مت وهى ثلاثة وأربعون بيتا

\*\*\*

وله أيضا يرثى شيخ الإسلام رضى الله عنه :

لمصاب البر التقي الإمام كل دمع من العرى في السحاب  
 البواكي لهم عليه واح كفتيدات صادحات الخمام  
 مات يوم الاثنين . والسرفيه غير حاف على دوى الأفيام  
 ونة عظم الميمن فيها قدره في عمود جمع الأنام  
 حقه الناس أجمعون : رجالا وساء ، سعبا على الأقدام  
 مشوا تحت نعشه ، وهو من هو في رؤس الأعيان والحكام  
 سبلون الدموع من خشية الا ه ، وحربا كمسيلات الغمام  
 ضجيج العباد سرا وجبرا كدوى في ساق الجوى سام  
 لة مكفور يوم غموس عات في عارب السبي والسنام  
 به عابن الملاك قوى ذو نشاط لغرط كظ الزحام  
 الها رزية . كان فيها يوم نرس في طوله فوق غم  
 فيه المصاب ، حتى ندر ق تغميره على الامهات  
 كان شيخ الاسلام في العلم والزهد وحل مشكلات السالكين  
 عند الناس منه محراً علما هديه كالآئمة الاعلام  
 به حب الكتاب والسنة المثلى . حرى في عروق والمظاه  
 مع الأوج من سماء المعالي وتسامى على كل سامي  
 طوى ذكره البلاد انتشارا فهو حتى النعاز في المناسامي

كان جبر الكسير إن هاضه الدهر ، وعون العاني ، وحطم الخطام  
 كان حب الدنيا إليه بغيضاً فوق بغض الصحيح ثوب السقام  
 كان لا يرهب الملوك ولا يرغب فيما لهم من الأنعام  
 كان وتراً في الفضل قذاً ، وكل الناس جاءوا بشفعهم والتؤام  
 كان سمحاً ، يمثله الدهر ضناً في ليلى الزمان والأيام  
 كان سطرّاً في جهة الدهر يُقرأ في البرايا ، وشامة في الشآم  
 كان تفعال كل من خاف ضراً في سبيل حلاله والحرام  
 لم يكن ذا تأنق في متاع ولباس ، ومشرب ، وطعام  
 كان يخشى داء ، ويرجو دواء وشفاء لكل داء عُقام  
 كان في الله ذا انتقام ولا يوحد يوماً لنفسه ذا انتقام  
 كان براً يُهدى به ذو ضلال كان بحراً ، يُروى به كل ظام  
 كان كالليث بالنوائب فتكا كان كالغيث بالمواهب هام  
 في يديه وصدره كل بحر زاهر بالنوال والعلم طام  
 أي ندب ، شهيم ، شجاع ، جواد أروع ، ماجد سرى هام  
 قام لما تذبذب النا س ، وتبدى لما نبا كل حام  
 كم له في حنادس الخطب والخلا ق نيام حتى الضحى من قيام  
 وجميع الأنام من شدة الخوف نيام من الردى في منام

وبنو فارس قد انترسوا النفا  
 ودمشق الشام بعد انبساط  
 من اقتراس الاسود سرع السوام  
 من ضواحي رستاقها في انضا  
 وخرانا من فارس بالطعام  
 ذا صغار ، ينقاد كالانعام  
 في وجوه العدى كحد الحسام  
 لا برمح ، وصارم ، وسهام  
 من حماة الاسلام عنا — : محامي  
 وعموما : تحيتي وسلامي  
 قد بكت في الطروس بالأفلام  
 وقريب المرمى . بعيد المرام  
 وسريع القيام والاقدام  
 ومُعَرَّى من كل عار ، ذاد  
 لك لأجهانه لذيد ان  
 م على أيسكتي حمام حمامي  
 لحد ذكر ، دوامه بدوامي  
 يا ابن عبد السلام ، دار السلام  
 كل مُزْنٍ بوابل ورهام  
 وبنو فارس قد انترسوا النفا  
 ودمشق الشام بعد انبساط  
 من اقتراس الاسود سرع السوام  
 من ضواحي رستاقها في انضا  
 وخرانا من فارس بالطعام  
 ذا صغار ، ينقاد كالانعام  
 في وجوه العدى كحد الحسام  
 لا برمح ، وصارم ، وسهام  
 من حماة الاسلام عنا — : محامي  
 وعموما : تحيتي وسلامي  
 قد بكت في الطروس بالأفلام  
 وقريب المرمى . بعيد المرام  
 وسريع القيام والاقدام  
 ومُعَرَّى من كل عار ، ذاد  
 لك لأجهانه لذيد ان  
 م على أيسكتي حمام حمامي  
 لحد ذكر ، دوامه بدوامي  
 يا ابن عبد السلام ، دار السلام  
 كل مُزْنٍ بوابل ورهام

وإذا سَحَّت السواري بسحِ والنفوادي ، جَذَنَّاكَ بالدمع دام  
تمت بحمد الله . وعونه . وعدتها اثنان وخمسون بيتاً ، والحمد لله رب  
العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

\*\*\*

للإمام نجم الدين إسحاق بن أَلَمَى التركي ، يُجيب صَدَرَ الدين  
ابن الوكيل ، في قصيدة هجائها شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، وزعم  
أنه لما خرج من دمشق في محنته الأولى مطرت السماء :  
مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْخَبِيثِ مَقَالَةٍ كَالسَّيْفِ أَقْصَمَ ظَهْرُهُ بِفِرَئْدِهِ  
أَزَعَمْتَ إِذْ غَابَ الْإِمَامَ هَمَى الْغَمَا م ؟ كَذَبْتَ ، بَلْ بَكَتِ السَّمَاءُ لِفَقْدِهِ  
أَوْ مَا تَرَى شَمْسَ الضُّحَى فِي مَاتَمٍ وَالْجَوُّ قَدْ لَبَسَ الْحَدَادَ لِبَعْدِهِ ؟  
فَلَيْدَ خُلْنَ لِأَرْضِ مِصْرَ إِمَامُنَا بِسَكِينَةٍ حُفَّتْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ  
وَلِيَرْجِعَنَّ إِلَى دِمَشْقَ مُؤَيِّدَا حَقَا ، كَمَا عَادَ الْحَسَامُ لِعَمْدِهِ  
وَتَرَى بَعِينِكَ مَا يَسُوؤُكَ مِنْ عِلَاءٍ يَفْقَى الزَّمَانُ ، وَلَا تَقَادُ لِلْمَجْدِ  
أَظْلَلَتْ مِنْ حَقِّ بِهِ مِتَشَبَهَا أَيْنَ الثَّعَالِبِ فِي الثَّرَى مِنْ أَسَدِهِ ؟  
تَخَضَّعْتَ كَمَا أَيْدَى الزَّمَانُ ، فَكُنْتَ كَالزَّ

بِدِ الْجَفَاءِ . وَكَانَ خَالِصَ زُبْدِهِ

فَاسْتَرِ مَعَايِيكَ الَّتِي سَارَتْ بِهَا الرِّ كَبَانُ فِي غَوْرِ الْوُجُودِ وَنَجْدِهِ



فكفأك مَقْتًا أَنْ تَكُونَ مُحَارِبًا      لَوْلَا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ  
تَمَّتْ وَهِيَ عَشْرَةُ آيَاتٍ.

\*\*\*

تُبُّ إِلَى اللَّهِ ، أَيُّهَا الْإِنْسَانُ      فَلَمَنْ تَابَ رَوْصَةً وَجَنَانًا  
وَلَمَنْ تَابَ فِي الْقِيَامَةِ فَوْزًا      وَنَعِيمًا ، وَقَاصِرَاتِ حَسَانٍ  
تُبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي      فَلَمَنْ تَابَ عِنْدَهُ غَفْرَانًا

\*\*\*

للشيخ محيى الدين أحمد بن الحسن الخياط الجوخى الدمشقى ، يرنى  
شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه أيضا :

بمصر عك الناعى أصم وأسمعا	وضم الصفا من صدمة الحزن صدعا
فكم مُفْلَةٌ جَفَّتْ جَمُودًا مِنَ الْأَسَى	وكم مُهْجَةٌ سَلَّتْ مَعَ الدَّمْعِ أَدْمَعَا
وكم ثَاكِلٌ بِالنُّوحِ وَالتَّدْبِ رَجَعَتْ	وكم فَاضِلٌ بِالنَّظْمِ وَالتَّثْرِ سَجَعَا
وَلَمْ يَبْقَ ذَوْعِلٌ ، وَزَهْدٌ مِنَ الْوَرَى	أَفْقَدَكَ إِلَّا كَاسِفُ الْبَالِ مَوْجَعَا
تَنَكَّرْتَ الدُّنْيَا عَلَى كُلِّ عَارِفٍ	رَأَى مِنْكَ مَا هَوَلَ الْمَنَازِلُ بَلَقَعَا
جَعَلْتُ لِمَنْ أَخْلَى مُضِيغًا وَمُرْبَعًا	فَوَادَى وَأَجْفَانِي مُضِيغًا وَمُرْبَعَا
فِيَا أَحْمَدَ الْحَمُودِ ، قَدْ كُنْتُ لِلْهَدَى	مَنَارًا ، وَلِلشَّرِّ الْحَنِيضَى مَشْرَعَا
وَالدِّينِ وَالْدُّنْيَا ضِيَاءٌ وَبِهْجَةٌ	إِذَا لَاحَ وَجْهُهُ الْخَطْبُ أَسْوَدَ آسْفَعَا

رُمِينَا بِرِزَّةٍ مِنْكَ ، لَمْ تَسْتَطِعْ لَهُ  
يَدَايَ ، شَدِيدَ الْإِيدِ وَالْكَيْدِ مَدْفَعَا  
رَحَلْتَ عَنْ الْأَوْطَانِ رَحْلَةَ نَازِحٍ  
إِلَيْهِنَّ لَمْ تُزْمَعْ مَدَى الدَّهْرِ مَرَجَعَا  
لَقَدْ كُنْتَ عَنْ شَرِّ بَطِيمَا وَوَانِيَا  
وَفِي طَلَبِ الْخَيْرَاتِ عَجَلَانِ مَسْرَعَا  
وَالْحَكْمِ طَوْدًا رَاسِخَا بِأَذْخِ الذَّرَى  
وَاللَّجُودِ وَالْإِحْسَانِ وَالْعِلْمِ مَنبَعَا  
وَرَكْنَا لِدِينِ اللَّهِ حِينَ تَهْدَمْتُ  
قَوَاعِدُهُ مِنْهُ وَهِيَ وَتَضَعُضُهَا  
وَرَوْضَ عُلَاءٍ نَاضِرَا عَادَ مُنْمَعَا <sup>(١)</sup>  
وَجَمْعَ شَمْلٍ شَتَّتَ الشَّمْلُ فَقَدَهُ  
وَأَنْوَاعَ أَشْتَاتِ النَّوَائِبِ جَمَّعَا  
وَحَبْرًا حَوَى حَيَازُومَهُ وَبَنَانَهُ  
بِحَارِ النَّدَى وَالْجُودِ وَالْعِلْمِ أَجْمَعَا  
سَرَى ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا

سَرَى نَشَرَ عَرَفَ الْمَنْدَلِ الرُّطْبِ ضَوْعَا  
وَحَازَتْ مَسَاعِيَهُ الْكُؤَاكِبُ عِدَّةَا  
مَعَ الْقَطْرِ إِذْ فَاتَتْ رَمَالًا وَيَرْمَعَا  
فِيَا مَوْتَهُ ، مَا كَانَ فِي الْقَلْبِ أَوْجَعَا  
وَيَا يَوْمَهُ ، مَا كَانَ فِي الْعَيْنِ أَفْظَعَا  
وَيَا لَكَ مِنْ خُطْبٍ جَلِيلٍ وَحَادَثٍ  
عَدَمْنَا بِهِ الشَّهْمَ الْجَوَادِ السَّمِيدَعَا  
وَمِنْ يَوْمِ بُوْسٍ عَابَسَ الْوَجْهَ كَالْحِ  
سَبَانَا هَامَا ، يُؤْمِنُ الرُّوعُ أَرْوَعَا

(١) أَمَعَرَتِ الْأَرْضُ : لَمْ يَكُنْ بِهَا نَبَاتٌ ، أَوْ قَلَّ نَبَاتُهَا ، وَأَصْلُهُ :  
أَمَعَرَتِ نَاصِيَةَ الرَّأْسِ ، إِذَا انْحَسَرَ شَعْرُهَا . وَالْمَرَعُ : الْكَثِيرُ النَّبْتِ . اسْمُ  
فَاعِلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَمَعَرَتِ الْأَرْضُ ، إِذَا كَثُرَ نَبَاتُهَا وَطَالَ . وَفِي اللَّغْظَيْنِ  
مِنْ الْجِنَاسِ وَالْمُقَابِلَةِ مَا لَا يَخْفَى

مطيعاً لرب العرش لم يعص أمره  
متنبها إليه ، قائماً بمحدوده  
اهزيراً ومقدماً على العزف كله  
شجاع جلال في جدال بحوثه  
يصول بسيف العلم في معرك النهي  
وفي عصره كم من إزالة بدعة  
وما كان إلا الشمس في ليل باطل  
فكم من ظلام الظلم زحزح غيهاً  
وكم من كرامات له ومناقب  
وكم من طريق في المباحث مبهم  
وكم سامها الفتنان والخفض حاسد  
تولي عن الدنيا حميدا ، ولم يكن  
وعاش إلى أن مات ، لم يعط نفسه  
إمام عليم ، خاشع ، متواضع  
سحاب علوم روض الأرض فضله  
ونصر منها بالفضائل أوجها  
وخلفها من بعد صيب صوبه  
كذا المزن ، أنى جاد بالوابل الثرى

ومنه له في العصر لم ر أطوعا  
إلى حين ولي مذ نشا وترعرا  
مليكا لمنع المنكرات ممنعا  
يعيد جباناً كل من كان أشجعا  
وأرماع شرع الجهل أقبلن شرعا  
ومنكر فعل قد أجاد وأبدعا  
يرينا بنور منه للحق مطاعا  
بساطع نور العدل من حين شغشعا  
يضيق بها وسع الزمان توسعا  
بايضاحه أضحي لسارية مهيعا  
وخص كالا زائدا وترفعا  
لخرفها المذموم يبدى تطلعا  
بتأمل ما في دار دنياه مطعمعا  
لهيبته تغضي النواظر خشعا  
والبسها برّد البيان الموسعا  
وتوجها تاج المعالي المرصعا  
عليها رياضاً للعقول ، وأقلعا  
وروى صداها حق أن يتقشعا

فله مفقود فقدناه نافع لنا منه - غير الله - لم تر أنفعا  
 شغفنا به في الله حبا ، فلم يدع هواه لغير الله في القلب موضعا  
 عليك ، أبا العباس ، أحمد لم يزل فؤادي بتذكرك الفؤاد مروعا  
 إلى أن يرى الله وجهك سافرا بنصرته يوم المعاد مبرقا  
 تمت . وهي ثلاثة وأربعون بيتا .

\*\*\*

مرثية للشيخ برهان الدين أبي إسحق إبراهيم بن الشيخ شهاب  
 الدين أحمد بن عبد الكريم التبريزي ، يرثي شيخ الاسلام . وهي  
 ثلاثة ثلاث مرات . عدة أبياتها ثمانون بيتا :

لفقد الفتى التيمى تجرى المدامع وتصدع بالنوح الحمام الصوادع  
 فتغرق جفنا ، قد تقرّح بالبكا وتضرع نيرانا حوتها الأضالع  
 وبالماء يُطفئ كل نار ، ونارنا مؤجّجها بين الضلوع المدامع  
 وأما الحمام الصادحات فأنها حمام حمام للقلوب صوادع  
 على ماجد جلّت مآثره التي لها في قلوب العارفين مواقع  
 علوم ، وأخلاق كرام ، وسؤدد وجود ، ومجد باذخ ، وتواضع  
 وزهد ، وإيثار ، وتقوى ، وعفة وتلك سجايا حازها وهو يافع  
 هم الخبر ، أما المشكلات فخلها يسير لديه ، وهو في الحل بارع

وأما عقود الدين ، فهي وثيقة لديه ، وعنهما بالروح يباع  
 إمام ، بكنه أرضه وسواؤه بكاء حزين ، حزنه مشاع  
 وماله لا يبيكان المقدم من عن الله لم يقطعه في السكون قاطع  
 وحق لمن كانت جوامعهم له جوامع ، يبكوا فقهه ، والجوامع  
 ولو بكت الدنيا ، وما كان حقها فواحدها قد كان ، والشمل جامع  
 وقد أصبحت نسائي نعتي منه ومن بعده هانت عليها الفحات  
 ولو لا ابتغاء الآخر كان اصطفاها ١١ جميل فمجد ، إننا الميراث مع  
 ومنبره لولا نزاره وعظه عالمه قد بنا ، حزنه المذامع  
 وما زال في حق ابن تيمية القبي ١١ ميم نعتي الدين أحمد المذامع  
 أما كان شمسا في المطامع يحل في فحات عليه من حزنه المذامع  
 وشامة حد الشام قد كان علمه الشرف على حد المذامع  
 ونم هدى للسالكين إذا سبروا ولغير مبير في المذامع  
 قد عاب غاب المدر عنه ولا يشم لشانه يرف على النسيم المذامع  
 ولا افتقر لغير الشام من في حزنه على من عليه مدمع العين هدم  
 وبدر الدحي إن كان شمس في زمانه وله أنزل من المذامع المذامع

حال السكر « طالع » اسم كان ، المعروف « حزنه المذامع »  
 خبرها مقدما ، كما فعل حسان بن ثابت في قوله  
 كأن سنده من بيت رأس يكون من رحم حسن موال

ومن مودعات الله كان استرده  
ولكن به عاشت نفوس ومتعت  
أجاب لداعي ربه مسرعا ، كما  
دعاه إليه ربه فأجابه  
وأصبح جاراً للذي عزّ جاره  
تبارك من حلاله بالزهد والتقوى  
وملكه قلباً منيراً ، وكيف لا  
وتوجه تاجاً من الزهد والتقوى  
ومالى إذا بالغت في وصف سيد  
وما أنا وحدي واصف بعض وصفه  
ومن بابه قد خصه الله دون من  
إذا قيل : قد قال ابن تيمية الفقى  
ونور الهدى والعلم والزهد والتقوى  
وما ذاك إلا أنه لنبيه  
وفي الله لم تأخذه لومة لائم  
له راعداً مثل الهلال إذا بدا  
وإن كان فى تقوى سواء منازع  
إمام ، عظيم ، عالم ، ومعلم  
ولا بد يوماً أن ترد الودائع  
قلوب وأبصار ، ولدت مسامع  
أحابوه أهل الاحتباء وسارعوا  
ومن يدعه المولى إليه يسارع  
كما كان يمضى ليله وهو راكع  
ورضع ذاك الحلى منه التواضع  
وفيه من السر المصون ودائع  
لمعناه تيجان الملوك خواضع  
حوى كل فضل فى الأنام منازع  
فكم فيه وصاف وبالحق صاعد  
سواه ، وفضل الله ذى المرش واسع  
مقالات ، فكل للذى قال سامع  
عليه ، على رغم الحواسد ساطع  
نبي الهدى فى كل شىء متابع  
وليس له فى نصرة الحق وازع  
تشير إليه حيث كان الأصابع  
فما فى تقى هذا التقى منازع  
صبور ، شكور للمهيمن طائع



وَأَتَاهُ ذُو الْعَرْشِ الْحَجِيدُ مَوَاهِبًا      وَلَيْسَ لِمَا يُعْطِيهِ ذُو الْعَرْشِ مَانِعٌ  
أَمَّا كَانَ فِي دَفْعَاتِ غَازَانَ جَائِلًا      بَعْزَمَةً لَيْثٌ ، لَمْ تَرَعْهُ الْوَقَائِعُ  
يَقُولُ لَجِيْشِ الْمُسْلِمِينَ : أَلَا ابْشُرُوا      بِنَصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَالنَّصْرِ وَاقِعٌ  
فَأَصْبَحَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ مُؤَيَّدًا      وَغَازَانَ لَا قِيَّ حَتْفُهُ وَهُوَ رَاجِعٌ  
تَصَانِيفُهُ فِيهِ ، كُلُّ عِلْمٍ بِدِيعَةٌ      وَفِيهَا لِأَهْلِ الْإِبْتِدَاعِ بَدَائِعُ  
لَمْ يَبْتِغِ [ شَيْئًا ] سِوَى وَجْهِ رَبِّهِ      وَفِي زَخْرَفِ الدُّنْيَا عِدَّتُهُ الْمَطَامِعُ  
ثَمَا فُوزَ مِنْ يَمِينِ تَصَانِيفُهُ ، وَلَا      يَزَالُ لَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَطَالِعُ  
عَنُومًا لِمَنْ يَبْغِي النِّجَاةَ اعْتَنَى بِهَا      وَلِلنَّاسِ فِي تِلْكَ الْعُلُومِ مَنَافِعُ  
وَذُو الْفَضْلِ يُوْتِمَةُ الْمُهَيْمِنِ فَضْلُهُ      وَلَا حَاصِدٌ إِلَّا لَمَّا هُوَ زَارِعٌ  
ثَلَاثَةٌ فِي الدِّينِ ، لَمْ يَرْجِ سَدُّهَا      وَخَرَقًا عَظِيمًا ، مَالَهُ الدَّهْرُ رَاقِعُ  
وَنَاقِصُ الْأَرْضِ مِنْ عِلْمَائِهَا      سَيْوْفٌ حَدَادٌ لِلظُّهُورِ قَوَاطِعُ  
وَيَا مَحْنَةً أَرَبْتَ عَلَى كُلِّ مَحْنَةٍ      وَفَارَعَةٍ ، غَابَتْ نَدِيهَا الْقَوَارِعُ  
فَكَيْفَ شَتَّ شَمْلًا بَيْنَهُ بَعْدَ جَمْعِهِ      وَلَيْسَ لِمَا قَدْ فَرَّقَ الْبَيْنَ جَامِعُ  
كَمَا فَاقَ فِي الْآفَاقِ بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى      وَشَاعَ لَهُ فِي النَّاسِ مَا هُوَ شَائِعُ  
كَذَلِكَ لَمْ يُسْمَعْ مِثْلُ جَنَازَةِ الْإِ      إِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَحْمَدَ سَامِعُ  
مَشِيْعَهَا ضَاقَ الْفَضَا بِازْدِحَامِهِمْ      وَرَصَّتْ بَيْنَ صُلَى عَلَيْهِ الْجَوَامِعُ  
وَنَفَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ فَوْقَ سَرِيرِهِ      زَفَافُ عُرُوسٍ نَحْوَ حَبِيبِ سَارِعُ

وأودعه الأحباب عند وداعه  
وعادوا من التوديع حرقى جوانح  
وما زالت النسوان يبكين فقهه  
قلو أنه يفدى ففته نفائس  
هنيئاً لمس ضمّ بحر فضائل  
فلا بد من فضل عظيم ورحمة  
وانى بتذكارى حلاوة عيشه  
وانى بتذكاريه صب موع  
ولولا التقى كان التصبر يتقى  
وكيف يطيع الصبر فى رزء سيد  
فان شئتمو يا لأئمينافاننا  
فماتوا ، ولن تأتوا بحجر مؤيد  
وإن عمكم عجز باظهار سيد  
فقد وضحت أذار كل من انتهى  
ثمانون عاما قد كسرت بحبها  
فلم أر فى عمرى الذى طال مثله  
ثلاث مرار قد نظمت بهذه  
فن أجل ذا طالت وطابت لسامع

لمن لم تحب يوماً لديه الودائع  
وغرقى جفون ، أغرقها المدامع  
إلى أن نضت من دمعهن البراقع  
النفوس . ولكن القضا لا يدافع  
فطوبى لقوم جاوروه وضاجعوا  
تحى بها طول المقام المضاجع  
[مدى الدهر ما] استمرت [لدى] قائع  
ولست لعدالى عليه أطاوع  
على رزئه لو أن صبراً يطاوع  
به لخطوب الدهر ، كنا ندافع  
لكم تناسى ذكره ونصائح  
يضارعه ، هيات ، عز المضارع  
يناوئه . إن شئتم ، صلوأوقفاطعوا  
الى السيد التيمى ، وخاب المنارع  
ومن جيش تسعين طلعت طلائع  
وما أنا فى رؤيا المائل طامع  
له ، ولى النظم الجمع طامع  
وود من استجلى سناها يراجع

ومن حقه أنا نموت صباية  
وإنا لندرجو أن تقوم بحقه  
عسى الله في الجنات يجمعنا به  
فلا أوحشت منه مواضعه التي  
وكان بها يتلو القرآن مفسرا  
ولا برحت تهمل سحائب رحمة  
تمت والحمد لله وحده

\*\*\*

للشيخ شمس الدين الذهبي مرثية في الشيخ رحمه الله :

يامرت خذ من أردت ، أوفدع  
أخذت شيخ الاسلام وانقضمت  
غيت بحرا مفسرا ، جبلا  
فان يُحَدِّثْ ، فسلم ثقة  
وإن ينحصر نحو سيمه به يفه  
وصر على الاسناد حافظة  
والفقه فيه ، فكان مجتهدا  
وجوده الحاتمي - مشتهر  
أسكنه الله في الجنان ، ولا

محوت رسم العلوم والمرع  
عري التقى ، واشتفى أولو البدع  
حبرا ، تقيا ، مجازب الشبع  
وإن يناظر ، فصاحب اللمع  
بكل معنى في الفن مخترع  
كشعبة ، أوسعيد الضبعي  
وذا جهاد ، عار من الجزع  
وزهده القادري في الطبع  
زال عاينا في أجمل الخلع  
(٢٨ — العقود الدرية)

مع مالك ، والامام أحمد ، والنعمان ، والشافعي ، والنخعي<sup>(١)</sup>  
مضى ابن تيمية ، وموعده مع خصمه يوم نفخة الفزع  
تمت . وعدتها احد عشر بيتا

\*\*\*

للشيخ زين الدين عمر بن حسام الدين أقش الشلي يرقى الشيخ  
تقى الدين رضى الله عنه .

هل بعد بعدك طرفٌ دمه راق أم هل لداء أخى الأحزان من راق  
بعدت عنا ، فللا حشاء نار جوى تشبّ فيها بازعاج وإحراق  
إنا إلى الله من خطب غدا مثلاً عم الانام بأوجال وإشفاق  
كدنا من الحزن أن تقضى عليك أسمى برزت لنا من فوق أعناق  
لما خرجت بيوم الدفن في أمم كأنه كان يوم الكشف عن ساق  
وقلت : مات امام المسلمين ، فيا عين أذرى ، إن رعتي حفظ ميثاق  
لهفى على ناصر الدين وهو إلى السـ غايات من كل فضل خير سباق  
حوى فنون النهى ، صدقاً بلا كذب وحاز علم الورى في طيب أخلاق  
لهفى على حجة الاسلام ، كان له مناقب حازها في حسن أعراق  
بحار علم حوى ، في صدره ، وغدا يبحر جود لوافي المال تفارق

(١) كانت في الاصل « الخلقى » وصححت من الهامش

يرداد حزني عليه كل آونة  
عاصت بحار علوم الدين يوم نوى  
سعى إلى الدفن مشيا فوق أرجلها  
بجامع الفضل قد جف الكتاب ،  
والموت بعدك لا يبقى على أحد  
تمت ، وهي خمسة عشر بيتا

\*\*\*

وقال بعضهم في شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه :

حمد الله حمدا دائما أبدا      مباركاً طيباً يستغرق العددا  
ثم الصلاة على الهادي وعترته  
ما أنجز الله للأبرار ما وعدوا  
فصلح الله ذات البين واتفرجت  
أنعم الله سيفاً كان مشتهراً  
وقف الله ما بين القلوب على الت  
فصيح الناس في صفو بلا كدر  
غداً على الله حقاً نصر ناصره  
به تكن محنة ، بل منحة جمعت  
فيها بصائر للمستبصرين بها  
من بعد ما كان كل عيشه نكدا  
عليه به القرآن قد شهدا  
نطقاً خفياً . وضفاً ليعيون ندا  
تنبى لمن عاب عاب من لها شهدا

فداوموا شكر نعماً كالحيا وكفّت على الورى وكفّت كل الأنام ردى  
 فيالها نعمة قد عمّت سلامة من بالروح يفدى وقلّت أن تكون فدا  
 فهو الامام الذى ما زال عند ذوى الـ أحكام فى سائر الأحكام مجتهدا  
 إن قيل من هو؟ فاطر رب عند ذلك وقل نجل ابن تيمية فاشدد به عضدا  
 أوقيل من ولد من هذا الكريم؟ فقل: من ولد مجد علا ، أكرم به ولدا  
 مولى ، له فى جلاله أو مجادلة لواء نصر وتوفيق قد انعقدا  
 تهاب مجلسه العالى الملوك ، ومن يخشى سطاها ، ومن لم يرهب الأسدا  
 من أجل تعظيمه للحق لو وقف الليث المحصور لديه راح مرتعدا  
 وكونه ترك الدنيا وزينتها زهدا ولا سبدا أبقى ولا لبدا  
 تصغى المسامع ليتا<sup>(١)</sup> عند منطقته كأنما السمع بالأفاظ قد عقدا  
 تذكّر الله ذكره ورؤيته تذكّر واحد ما قد كان قد فقدا  
 ترى ازدحاما على أبوابه أبدا إما لكسب علوم ، أولئيل جدى  
 لم يدع يوما على من خاض فى دمه بغيا ، ولا لام ذالوم ولا حقدا  
 وربما استغفر الله العظيم لمن عمدا عليه اعتدى ، أوقته اعتمدا  
 كذا يكون فتي الفتيان ، لا رجل يكمن كأنمر الضارى إذا حرّدا  
 هذى المكارم لا قعبان من لبن لا يكفيان لبعض الجائعين غدا

(١) ساهم الأصل «ليت» بالناء المنناة . والليت صفحة الغنق ، وفى الحديث  
 « ثم ينفخ فى الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا » والله أعلم



ه صفات كنش الروض تالدة  
و كالنجوم التي تهدي أخاصفر  
عليه ألباب أرباب التقى عكفت  
من المسائل ، إن أعيت غوامضها  
ومن إذا رُصَّ بالسادات مجلسه  
يكاد يسلب ألباب الرجال بما  
من العلوم التي عن ربه صدرت  
وعن صحابته والتابعين ، وعن  
مَنْ يَشْتَفِ أَسْمَاعُ الْأَنَامِ بِمَا  
سوى الامام تقي الدين أحمد تا  
رَ مَنْ يُحَدِّثُ عَنْ بَحْرِ . فلاحرج  
وكم بمصر وبالشام الشريف فتى ؟  
كيف آية تأييد سعية مَنْ  
كنه حين حاز السبق من صغر  
وحاز علما لدنياً ، ومنقبة  
فأجمعوا كيدهم يبغيون فتنته  
ولم يطق حاسد في الأرض قاطبة  
وكان سيفاً على الأضداد مشتهراً

غيب العماد عليك الريح مفند  
أبلاً . إذا خلَّ في الظاماء منفردا  
ونجحتني الشهد لم يعكف عليه سدى  
يحل مشكلها المستصعب العقدا ؟  
يكون في صدره صدرا إذا قعدا ؟  
يروه مما يزيد المهتدين هدى  
ومن حديث عن المختار قد وردا  
أئمة ساد مَنْ عنهم روى سنداً  
يربو على الدر منشوراً ومنتزدا  
ج العارفين ، وقاه الله كل ردى  
عليه ، بل هو مأثوم إذا اقتصد  
لكن بمجموع هذا الخبر ما وجد  
سعى ، ولم يستطع يؤذى له جسدا  
وفاق كل كبير فاق وانقردا  
تفتت منه أكماد العدى حسدا  
فما أغان عليه ربه أحدا  
بأن يمد بمكره إليه يدا  
فخاؤوا أن يكون السيف منغدا

ومن بصدّ سنا شمس إذا طلعت      أو يحجب انبدر إن شقّ الدّجى وبدا  
ونور ربك لا يطفى ، وإن حرص السخّـب      اللّـيـم على الاطفاء واجتهدا ؟  
وقد درى كل ذى خبر بأن له      من فيض بحر عطايا ربه مددا  
وقد علمتم به لما دعاه إلى      مصر الذين علمتم ما بها وجدا  
فاشترشد الله فى الإصدار عن بلد      نبأ به ، واستخار الله ، ثم غدا  
اختار مسراه مولاة ووقفه      فيه ، وهبّا له من أمره رشدا  
وسار . والله يكلّوه ويحرسه      وكيف لا ؟ وعليه كان معتمدا  
والشمس ما حجبت بالغيم عن بلد      إلا أنار سناها غيره بلدا  
والدر لولزم الأصداف ما ارتفع <sup>(١)</sup> اللّـبـاب ، وارتكر ، التيجان واقتعدا  
لم يُبق توديعه يوم الرحيل لدى      صبر وذى جلد صبراً ولا جلدًا  
كأن حاديّه يوم استقل به      مسيره نحو مصرٍ باقلوب حدا  
فاستعبرت أعين كادت لفرقة      تبيضُ حزنًا وأولاها البكى رمدا  
هذا . وكم قضى ظام إليه ولم      يقضى له قبل وشكّ البين أن يردا  
وما يضرُّ فتى حالت منيته      دون الأمانى إذا ما عُدّ فى الشهدا  
فحلّ مصر عزيزاً عند مالِكها      وفى مهماته أضحى له عضدا  
تشرق الدولة الغرّا به ، وإذا      أضلّ جهل جهول بالعلوم هدى

ويأمر الناس بالتقوى ويخبرهم  
 وفي محالسه اللآتي يحف بها  
 يدعو لسيدنا السلطان ناصر  
 بأن يدوم له في الملك أربعة :  
 حتى يملكه الله العراق فيه  
 وعاد من مصر نحو الشام في دعة  
 فحين وافى دمشق الشام محترزا  
 روى صدّى مهج قد طالما ظمئت  
 وجاءنا بعد يأس مثل عافية  
 ولاح شمس على روض وسحّ ندى  
 واخضر روض الأمانى ثم فاح شذا  
 وصفق النهر، والأغصان، قد رقصت  
 وسر أهل التقى من كل طائفة  
 وأنجح الله في الدنيا مقاصده  
 فادعوا له ، ولمن كان السفير له  
 وحقق الله ما أمّلتموه له  
 فقل لقوم شقوا : زال الشقاء إلى  
 عين أصابت ، ولكن عين عائنة  
 بسنة المصطفى ، فعلا ومعتقدا  
 ملائك الذ كر تحصى من لها شهداء  
 ين الله نجل قلاوون الفتى أبدا  
 عز، ونصره، وتأيد، وكبت عدى  
 حوالشرك، والرفض منها، والذي مردا  
 مصالحا، مُصلحا، ما كان قد فسد  
 من حلّ عقد وداد للورى عقدا  
 إليه شوقا ، وجلّى للقلوب صدا  
 جاءت عليلا . فلما لا بسته هدى  
 والشمس عادت هافى الروض رفع ندى  
 بانُ الحى ، وتغنى وُرّقه ، وشدا  
 مَسْرّة بفتى من مصر قد وردا  
 أن عاد أكرم مما كان حين بدا  
 وسوف يؤتية أجر الصابرين غدا  
 حتى ألمّ بكم من بعد ما بَمُدّا  
 وصار كل بكلّ عيشة رغدا  
 أعدائكم ، وبقيتم أنتم السعدا  
 ألا تروه رقاد الموت قد رقدا

والله ما خيب الله الدعاء له من كل عبد له يدعو إذا سجد  
 لكن أجاب وأعطى فوق ما طلبوا فالحمد لله حمدا دائما أبدا  
 تمت بحمد الله وحسن توفيقه

\*\*\*

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن  
 خليفة بن محمد بن خلف المنبجي :

قال : أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الشيخ الامام سعد الدين  
 أبو محمد سعد الله بن نجيب في مدح شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية  
 قدس الله روحه ونور ضريحه ورحمه وعفا عنه :

أيها الماجد الذي فاق نفرا وسما رفعة على الأقران  
 يا إماما أقامه الله للعالمين هاديا باللفظ والاحسان  
 يا غريب المثال ، يا موضح الاشكال بالبينات والبرهان  
 يا تقي الدثني مع الدين ، يا من خص بالفضل واكتمال المعاني  
 لا تحلل العواد إن اكثروا التردد أو أقدموا بلا استئذان

أنت روح الوجود في عصرك الآ

ن وقلب الوري ، وعين الزمان

والبرايا إذا اعتبرت جميعا منك أضحو بمنزل الجمان

وإذا الداء خامر الروح والقلـ      ب تعدى الداء إلى الابد ان  
فجدير بسائر الصحب إن هم      أطنبوا في السؤال للرحمن  
أن يديم ظلك الظليل عليهم      سالما من طوارق الحدثان  
بالنبي الهادى محمد المبعوث      بالمعجزات والقرآن  
وبأصحابه مع الآل والأزواج      والتابعين بالاحسان<sup>(١)</sup>  
صلوات الإله تترى عليهم      وعليه ماشرق النيران  
عدها ثلاثة عشر بيتا

### وله رحمه الله

يامن له فطنة فاقت ذوى الفطن      ياذا المناقب والافضال والمنن  
يامن أواليه فى سرى وفى علنى      لا تلحنى فى الخذلانى عن بنى الزمن  
ولا اغترا بى عن الأهلين والوطن  
يامن لدين هواه بت معتقدا      ومن بذيل هواه ظلت معتضدا  
كنلى عذيرا فلا نلت العِدات غدا      ولا تلعنى إذا أصبحت منفردا  
عن الوجود بلا خِل ولا سكن عن  
كم جهد مثلى أن يُخفى تامله      عن الوشاد ، وأن يخفى تحمله

(١) من العجيب أن يكون مثل هذا الشاعر الذى يتوسل بهذا  
التوسل المبتدع بمدح ابن تيمية الذى كان طول حياته يحارب مثل هذا التوسل

إنَّ نَمَّ دَمْعِي بِأَسْرَارِي يَحْقُّ لَهُ      فِي مَنِ الْوَجْدِ مَا إِنْ لَوْ تَحْمَلُهُ  
رَضْوَى لَذَابَ جَوَى ، أَوْ بِذِيلِ لَفْنِي <sup>(١)</sup>

لَا كُنْ قَلْبِي ، وَإِنْ ضَاقَتْ مَسَارِحُهُ      لَمَّا حَوَتْهُ مِنَ الْبَلَوَى جَوَارِحُهُ  
بِهِ غَرِيمٌ غَرَامٌ لَا يَبَارِحُهُ      وَلِي مِنَ الْفَكْرِ نَدْمَانُ أَطَارِحُهُ  
مَا بِي ، فَأَفْهَمُ مَا أَشْكُو وَيَفْهَمُنِي

شَغَلْتُ فِيهِ بِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ فَمَا      أَلْوَى عَلَى صَرْفِ دَهْرٍ جَارٍ أَوْرَحَاهُ  
وَلَا أَبَالِي أَذَاعَ السَّرَّامِ كَتَمَاهُ      وَكَيْفَ أَصْبَحَ بِالْأَغْيَارِ مَلْتَمَاهُ <sup>(٢)</sup>  
وَبَعْضُ مَا بِي عَنْ آبَائِي يَشْغَلُنِي

هَذَا لَوْ أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارُ غَضَى      مَا زِدْتُ إِلَّا ابْتِهَاجًا بِالْهَوَى وَرَضَاهُ  
لَا كُنْ جَوْهَرُ صَبْرِي مَذْغَدًا عَرْضَاهُ      أَنْشَدْتُ قَوْلَ الْفَتَى الْجَلِيلِي مَتَّعَاهُ  
بِهِ وَمَنْ مِثْلُ قَوْلِ السَّيِّدِ الْحَسَنِ

مَخَاطِبَا لَجَهْلٍ بَاتَ يُؤْلِمُهُ      عَذْلًا ، وَيَلْحَاحُ فِيمَا لَيْسَ يَعْلَمُهُ  
عَنِّي مَلَامَكَ إِنِّي لَسْتُ أَفْهَمُهُ      وَرَبِّ وَقْتُ وَجُودِي فِيهِ أَسْأَلُهُ  
دَعِ الْأَجَانِبَ بَلْ رُوْحِي تَزَاحُنِي

تَمَّتْ

\*\*\*

(١) رَضْوَى وَبِذِيلٍ . جِيلَانِ عَظِيمَانِ

(٢) فِي الْمُنْقُولِ عَنْهُ «مَلْتَمَاهُ» أَيْ مِنْ هَامِشِ الْأَصْلِ



## وله فيه أيضا رحمه الله ورضي عنه

يا عادلا جلَّ عن ضد يضاھيه      وفاق أقرانه فيما يعانیه  
يا ذا الفضائل ، يازين الأمائل ، يا      مُردى المائل ، يأموهى مُناویه  
يصح فضلك لا يحتاج تكملة      لكن مفضّله عن ذاك مجزیه  
يا من إذا رمت أن أحصي مناقبه      نظما ونثرا وأنشیه وأرویه  
حُصرت لولا سجاياه تهذبني      لم ظفرت بمعنى من معانیه  
تحرّرت المحمّد في مدحيك الخصل لي      هداية أرشدت إرشاد تنبيه  
يا محدّة المقتدى حقا . ومقتنعة      في يروم . وكافية ومغنيه  
ويا نهاية طلاب الرعايا من      وسيط علم ، وخبر أنت حاويه  
يا غنية المتعين الرشدا مانحهم      فتوح غيب أئى من عند باریه  
أبدیت تعجيز أهل النظم فاعترفوا      بالعجز عن كنه ما أصبحت تبديه  
لله كم مت علم أنت نشره      من بعد ما كادت الأيام تطويه  
وكم حصون ضلال أنت هادمها      قهرا . وكقول عاوٍ أنت موهيه  
سمت إفسادا ما قد حلوه لهم <sup>(١)</sup>      تبیین تحریم لا تبیین تنزیه

(١) يشير الى كتاب اقامة الدليل على ابطال التحليل

من الدبابة ، حيث جعل يبدله المسكين من كفه ، كيما يكافيه <sup>(١)</sup>  
 وقت بالحق في ذا العصر مجتهدا في نصره مبطلا دعوى أعاديه  
 يا حجة الله في هذا الزمان على الوجود ما بين قاصيه ودانيه  
 يا من يراه إله العرش داعية الى الهدى بلطيف من تأتية  
 يا كاشف المشكلات المعضلات لنا بأبليج مستنير من فتاويه  
 يا من أبى مقولى إلا مدائمه ولو مدحت. سواء كنت أعنيه  
 ومن حدانى إلى أنى أخاطبه بالمدح ، حتى كأتى لا أناجيه  
 إلا مخافة ذى محل وذى حسد يلحى ، فيعرب عما فيه من فيه  
 وإن تعرض ذو ضغن تلوت له فذلكن الذى لمتنى فيه

تمت

\*\*\*

وله أيضاً يذكر ذل الخصوم رحمه الله

لئن نافقوه ، وهو فى السجن ، وابتغوا رضاه ، وأبدوا رقة ، وتوددا  
 فلا غرو إن ذل الخصوم لباسه ولا عجب إن هاب سطه ته العدا  
 فمن شيمة الغضب المهند أنه يخاف ويرجى ، مغمدا ومحمدا

(١) يشير الى ما يعطيه الزوج الديوث المطلق للئيس المستعار المحلل -

من الأجر على زناه بزوجه باسم التحليل

## وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

أيا من مناقبه فاخره	ويا من مواهبه غامره
ويا من سحائب إفضاله	بآمال آمالها ماطره
ويا من له همة لم تزل	بنجح مقاصده ظافره
ويا من عزائمہ لا تنى	إلى درجات العلا سائره
ويا لىث حرب إذا ما سطا	تدل له الأسد الكاسره
ويا طور حلم اذا ماجنى	عليه امرؤ ينتقى عاذره
وإن نال منه بسوء المقال	وقبح الفعّال غدا غافره
ويا بحر علم تكاد البحا	ر تفيض بأواجه الزاخره
ويا من أدلته بالنصو	ص لأخصامه بدا قاهره
ويا من براهين أقواله	كشمس الضحى إذ بدت سافره
ويا من عوارف عرفانه	تفوق على الأنجم الزاهره
ويا من صوارم آرائه	لأعناق أعدائه باتره
ويا قدوة يقتدى العارفون	بنور هدايته الوافره
ويا من قصده يهْدَى الطالب	ين يؤيد باطنه ظاهره
ويا داعى الخلق فى عصره	إلى الحق بالحجج الباهره

ويا من مكارم أخلاقه زكت بعناصره الطاهرة  
ويا من بدائع أوصافه تعين على مدحه شاعره  
وماذا عسى يبلغ المادحو ن من القول بالقطن القاصره  
ومجّدك قد أعيا<sup>(١)</sup> الواصف ين وصير آذانهم حائره  
ولكن ذلك جهد المقل فكن بالقبول له جابره  
أيا من دعائى ويا من ولائى وفائح أنثى العاطره  
لعلياء حضرته دائماً تردد واردة صادره  
اعمرّك إن كان حظى غدا من الله فى داره الآخره  
كما هو عندك فى هذه فتلك إذاً كرهه خاسره

\* \* \*

### وله أيضا فيه يمدحه رحمه الله

الله نشكر مخلصين ، ونحمد وله نعظم دائماً ، ونوحّد  
وبذيله<sup>(٢)</sup> الضافى نلوذ ونلتجى واليه نسعى محبتين وخفد

(١) فى نسخة « أعز » من هامش الاصل

(٢) بهامش الاصل مانصه : « بفضلّه » كذا فى هامش الاصل ولكن

الظاهر عندى ما فى من الاصل والله أعلم . أبو اسماعيل يوسف حسين . وأنا

وبه نصول ونستعين على العدى  
 فله الثنا والمجد ، إذ هو أهله  
 مولى حيانا فى فتور زماننا  
 أعنى تقى الدين ، أكمل سيد  
 العالم الورع المحقق ، والذي  
 من جاد بالنفس النفيسة منه فى  
 من لم يخف فى الله لومة لائم  
 حر حباه الله جل جلاله  
 هو بحر علم ، طود حلم راسخ  
 صدر لديه تحبب وتآلف  
 وكذلك فيه على المنافق غلظة  
 هو قائم لله يهدى خلقه  
 فلذلك أصبح للبرية قدوة  
 لك يا أبا العباس ، إذ عن فرقة  
 ضاقت بهم سعة الفضاء عاينوا  
 إذ لاسواه لنا الله نعبد  
 وله الجلالة والبقاء السرمد  
 بفتى يثقف ديننا ويسدد  
 لدعائم الشرع الشريف يشيد  
 من دون رتبته السهى والفرقد  
 ذات الاله ولم يرعه تهدد  
 كلا ، ولم يرجعه عنه مفند  
 بصفات مجد فى علاه تحلد  
 فى الحق لاوان ولا متردد  
 المؤمنين ورافة وتودد  
 وتمنع ، وتصعب ، وتشدد  
 أبدا إلى سبل النجاة ويرشد  
 فى العصر إذ هو فيه قطب مفرد  
 من قبل ، قد كانت لحقك نجد  
 لك كل يوم رفعة تتجدد

اقول : الاظهر عندى والاليق بصفات الله تعالى « بفضله » لان كلمة  
 « بذيله » لاتصح أن تنسب الى الله تعالى .

وراوك ممتازا بخير مناقب  
 فغراهم الحسد المضل فأصبحوا  
 إن يحسدوك فغير بدع منهم  
 راموا بلوغ مقامك العالى ، وما  
 فدعا بهم داعى قصورهم : اخلدوا  
 لما نأت عزماتهم عن شأوك السّا  
 هموا بأمر لم ينالوا منه ما  
 ورموك بالإفك الفظيع ، وأظنبوا  
 وبغوا عليك بما افتروه : تعمدا  
 لم يتركوا شيئا به يتوصلوا  
 إلا نحوه ، وبالغوا فى جهدهم  
 حتى إذا ما استياسوا نيل ما  
 خافوا سطاك فأجمعوا آراءهم  
 فأبى إهلك أن ينالوا منك ما  
 ما ذاك إلا حال يوسف حزته  
 فبلغت فيه من الرياضة فوق ما  
 ثم انقضت أيام خلوتك التى  
 وبرزت كالبريز فارق كيره  
 ليست لغيرك فى زمانك توجد  
 ولديهم منه المقيم المقعد  
 جمّ الفضائل لا محالة يحسد  
 علموا بأنك فى المعالى أوجد  
 ومع الخوالب ما حييتم فاقعدوا  
 مى ، وصدوا عن حماه أوبعدوا  
 طلبوا . لقد ضلوا ولما يهتدوا  
 بالقول فيما زوروا ، وتقلدوا  
 رسيّة الباغين أن يتعمدوا  
 طمعا إلى ما قرروه وأكّدوا  
 لسكن سعدت ، وإنهم لن يسعدوا  
 كانوا جميعا حاولوا وتقصدوا  
 أن يودعوك السجن ، ثم يخلدوا  
 راموا وهل يزكو لباغ مقصد  
 إثرًا حباك به الكريم المرقد  
 تختاره ، وصفا لديك المورد  
 كمل العلاء بها وتم السؤدد  
 فاحترار فيه الجهد المستنقد



وظهرت كالصبح المنير إذا بدا  
 وشهرت كالغضب المجرد مقسما  
 فهناك تعقد للجدال مجالس  
 فأروا نكولا عن جدالك خيفة  
 حتى إذا أمروا بذاك وأيقنوا  
 حشدوا عليك جموعهم وتحزبوا  
 وحموا عصابتك الحضور وجادلوا  
 فهضت معتصما بربك وانقا  
 وإليه أخلصت التوكل موقنا  
 ثم استخرت الله واستفتجته  
 فحباك منه عواظفا ولواظفا  
 وأناك نصر الله والفتح الذي  
 فوثبت وثبة ثائر لله لم  
 أبديت من كنز العلوم غوامضا  
 أسمعهم منها لما لم يسمعو  
 أسندتها ورويتها نصا ، كما  
 في الأفق فانتشع الظلام الأسود  
 في غير هام عداته لا يغمد  
 كانوا أرادوا أنها لا تعقد  
 وتذبذبت آراؤهم وتفننوا  
 أن الخيس ، ولا خلاف ، الموعد  
 وتواثبوا وتحفلوا وتجردوا  
 (١) إذا هو لك أفردوا  
 متوكلا تثنى عليه وتحمد  
 أن ليس يخذل من به يستنجد  
 فيما تروم من الأمور وتقصد  
 يفنى الزمان وذكرها لا ينفد  
 بهما جميعا كنت منه توعد  
 يحفل بما حشدوا ، ولا ما جندوا  
 مكنونة ، لولاك كانت تفقد  
 وأتيتهم منها بما لم يعمدوا  
 جاءت معنعة ، فيالك مسند

(١) كذا في الاصل ياض . كتبه أبو اسمعيل يوسف حسين

(٢٩-العقود الدرية)

حَصِرَتْ صدورهم عن استفهامها      وتحَيَّرُوا لسماعها وتبأَدُوا  
 وبدالهم ما لم يكونوا يَحْسِبُوا      مما يسوؤُهمو ومما يكمد  
 فاسعد بها من مَحَنَةٍ في طيِّها      مَنَحَ أَقْرَبَها الجحود الملحد  
 نلت الفخار بها وخزت مآثرا      سرَّ الصَّحَابِ بها وغمُّ الحُسد  
 وغدوت فيها كابن حنبل تاليا      تقفوا جميل جماله وتجدد  
 أخذت نار جهالة ، ماخلتها      لولا جهادك واجتهادك ، نخمد  
 أرضيت ربك إذ أضفت كلامه      حقا إليه ، وليس فيه تردد  
 وكذاك أثبت العلوم والاستوا      من غير تكليف وحصر يوجد  
 ونزل خالقنا إلى أدنى سما      ليلا ، كما صح الحديث المسند  
 وذكرت أسماء الآله ، ولم تزغ      ميلا إلى ما حرفوه وألحدوا  
 ورويت أخبار الصفات وآيها      مرًّا ، كما نقل الثقات وجودوا  
 ونصرت ملة أحمد الهادي ، وقد      أيَّدت سنته ، فانت مؤيد  
 وأثمت مذهب أحمد الثبت الصبو      رعلى الأذى ، فلك الهنا ، يا أحمد  
 أوضحت منهجه السوي ، وأنه      مذ كان ، فهو المستقيم الأرشد  
 وأثرت محنته ، وقمت مقامه      في العصر ، ترغم شائئيك وتكمد  
 فاحمد إلهك ، إنه لك ناصر      وابشر ، فقدوتك النبي محمد <sup>(١)</sup>

(١) كانت في الاصل « فعاظذك النبي محمد »

المصطفى الطاهر الزكي المجتبي الهاشمي الأبطحي السيد  
خير المورى وأجل من وطىء الثرى وأبر مبعوث به يسترشد  
صلى عليه الله ما سجدت ضحى ورق على أعلا الغصون تغرد  
وعلى صحابته الكرام وآله والتابعين لهديه وبه هـدوا  
والحمد لله العيم نواله والحمد [أفضل] ما يقال وأؤكد  
تمت ، والحمد لله وحده

وله أيضاً يمدحه . رحمه الله ورضى عنه

الحق حصَّص ، لا عذر لمعتذر وقد تحقَّقه من كان ذا بقر  
وفاح عرَّفُ شذاه فى الوجود فظا ل فى الكون أرج من نشره العطر  
ولاح لألاؤه فى الأفق ، فانتشعت غياهب الأفك من خوف ومن حذر  
وفرَّ يدبر يمشى القهقري ، وهنا له توابع تسعى منه فى الأثر  
مذبذبون لضعف العزم ، تحسبهم سفرا أصامهم جبن عن السفر  
ضاقَت بهم سعة الأقطار حين سما سمو قدر تقى الدين فى البشر  
وفاق أنداده فى العصر قاطبة نالعلم ، والحلم ، والتفسير ، والنظر  
وامتاز بالدرجات العاليات على شيوخ أشياخهم فى سالف الدهر  
كانوا يظنون أن العلم منحصر فيهم إلى أن أتاهم أحمد الأثر

ركن الشريعة ، محيى العدل ناصردي  
 فقلّ بالنص والاجماع جمعهم  
 لا يهتدون إلى رشد ، وإهمو  
 قد حملوا حسدا من عند أنفسهم  
 تبّا لهم ، ما الذى نالوا بسعيهم ؟  
 أيسطيعون أن يمحوا لما كتبت  
 أم يقدرّون على تبديل ما نفذت  
 بل كلما أوقدوا للحرب نار غَضِي  
 وردّ كيدهم فيه وأرجعهم  
 واختاره للورى داع إلى سبل السـ  
 واختصّه منه بالزلفى وثبته  
 وكم مناقب مَجْدٍ قد حباه بها  
 وكم له فى ذرى العلياء مرتبة  
 وكم له من أياضٍ فى العطاء ، غدت  
 وهمة فى المعالى غير دانية  
 وكم له من كرامات مبيّنة  
 وحسبنا عود أهل العود معجزة  
 نالحق ، مستنصر بالآى والخبر  
 فأصبحوا بعد ذاك الحصر فى حصّر  
 لفى ضلال ، وفى غي ، وفى سُعُرٍ  
 له ، فهم منه فى هم وفى فكر  
 وما عسى بلغوا فى ذاك من وطر ؟  
 يد المهيمين بعد الذكر فى الزبر ؟  
 به نوافذ أمر الله من قدر ؟  
 بالسكيد منهم ، طفاها منزل السور  
 بالتعس والنكس والخذلان والدبر  
 بالخرم والعزم ، والتأييد ، والظفر  
 وزاده بسطة فى العلم والعمر  
 منيفة نالها من بارى العور  
 تُرْبى على العارض الهطّال بالمطار  
 تُزْرِى إذا ابتديت بالصارم الذكر  
 سناؤها كضياء الشمس والقمر  
 مامثلها عبرة تبقى لمعتبر

رؤس كل ضلالات ، ومحنة  
لما استقرّ لديهم علو همته  
وأن دعوته للناس كلهم  
وأنه قائم لله منصب  
خافوا سطاه ، فدخلوا بساحته  
وعاينوا وجه الهادي ، وقابلهم  
وجاءهم بأسانيد معنونة  
وقام بالحجج المقبول شاهدا  
مبهرنا بدلالات منورة  
فأذعنوا عنوة للأمر حين رأوا  
ولم يسمعهم مُمارة . ولا جدل  
وهذه شِيمة بين الوري عُرِفَتْ  
إذ قلما فاء منهم للهدى أحد  
والحمد لله كاليه وناصره  
وأكل الصلوات الزاكيات على  
محمد السيد الهادي وعترته  
صلى الإله عليهم كلما سبجت

وبدعة نشأت في البدو والحضر  
وأن سيرته من أكل السب  
إلى الهدى باجتهاد غير مختصر  
في نصرة الدين ، لا يخشى من الخطر  
وشاهدوا مخبرا يوفى على الخبر  
منصور عزم رب العرش مقتدر  
عن الهداة الثقات القادة الغرر  
ميزا بين عُرف القول والنكر  
يُهدى لعرفانها من كان ذا نظر  
نور الحقيقة باد غير مستتر  
لكنهم سلموا تسليم متقهر  
فيمن يخالفه من سائر البشر  
حتى يرى فيه أنواع من العبر  
ومجتبيه وواقيه من الغير  
رسوله المختار من مضر  
وصحبه الأكرمين الأنجم الزهر  
حمائم للدّوح بالألحان في السّحر

تمت والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وله أيضا في تبين عدم قيام الأصحاب مع الشيخ ، حين يعظم الخطب  
يريقع الحرب :

سبّرت خلال الأصفياء تدبراً وميزت أحوال الصحاب تأملا  
فشاهدتهم في السلم من تلق منهم تجده محبا يدعى صحة الولا  
وعند نزول الخطب حاوت أن أرى أخائقة إن أدبر الحرب أقبلا  
فلم أبق إلا لأنما متبرما ولم أر إلا شائما متعقلا  
فلما تحققت التخلف منهم شطبت عليهم شطبة الصب ، لا إلى

وله أيضا ، فيمن أبدى عدلا في حبه ومتابعته جهلا

سيان إن عدل الواشون أو عذروا لا خبر عندهم ولا خبر  
لاموا على حبه جهلا ، وما عقلوا وعنفوا فيه عدوانا ، وما شعروا  
ولورأوا حسنه الزاهى بأعينهم كما أراه أقلوا اللوم ، واقتصروا  
ولو تجلت معانيه الحسان لهم وشاهدوها كما شاهدتها بهروا  
لكنه مذبذبا لآلاؤه غشيت أبصارهم ، فأنثنوا منه ، وما نظروا

تمت والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله



## مرثاة أخرى لغيره

فقد الأنام	فوائد	وفضائل	فقدوا من العلم الشريف جلائلا
في موت	بحر العلم	والحبر الذي	سلك العلوم مذاهبا ودلائلا
أعنى	تقى الدين	أوحد عصره	قد كان حقا بالفضائل عاملا
قد أودع	القبر الشريف	علومه	عجبا لوسع القبر بجزا سائلا
قد كان	لا يحتاج	طالب علمه	كثير السؤال ، وليس يلقي سائلا
قد كان	ركنا في	المواعظ جملة	بحرا عميقا إن أردت مسائل
وإذا رآك	يكون	حقا باديا	لك بالسلام موارد ومسايل
يارب ،	فارحمه ،	وبلّ ثراه بالغية	ثالكريم ، معاودا ومواصلا
يارب ،	وافعل	ذا بكل مواد	ومجاور قبر الامام مؤملا
يارب ،	وارحمنا ،	وكل مشيع	صلى عليه ، أو أثناه مقبلا
من كان	مسرورا به	وبعلمه	من بعده ، فالحزن أضحي عاجلا
زكى الإله	ثراه ،	فضلا منه في	كل الزمان ، وزاد غيثا هاطلا
بعد السلام	على النبي	المصطفى	أعلى البرية في المعاد منازل
وعلى الصحابة	والقراة	كلهم	والتابعين

وقال بعضهم في شيخ الاسلام رحمه الله ورضي عنه وجعل الجنة مأواه  
دموعى على صحن الحدود تسيل      وصبرى قصير والغرام طويل  
على فقد من قد كان للدين ناصحا      وكافح أهل الشرك وهو فضيل  
نفقد تقى الدين ضاقت مذاهبي      وفي كبدى نار الفراق تجول  
إمام كريم ، كان لله عابدا      وفي زهده شرح هناك يطول  
قد كان للاسلام كهفا ومسعدا      إذا ما أصاب المسلمين نزول  
وكان على حكم المهيمين صابرا      وفي كل ما يلقى إليه حمل  
بشرع رسول الله قد كان قائما      وعن سنة الرحمن ليس يحول  
وجاهد في الرحمن حق جهاده      وكان له صبر عليه جميل  
لقد بكت الدنيا حقيقا لفقده      ويبيكيه علم نافع وأصول  
وفي أرض مصر ، يالها من عجائب      لديه جرت ، وهو الصبور المحول  
إلا يوم الاثنين الذى كان قبضه      فقيه عزاء المسلمين جزيل  
وفي سجنه يتلو ثمانين ختمة      قراءة ترتيل وقصد سبيل  
وفي موته دقت بشارت رحمة      أتاه من المولى رضا وقبول  
وسار إلى رب قديم مهيم      عظيم كريم ليس ذاك قليل  
عليه سلام الله ملاح بارق      وما سارغيث بالسماء هطول

## بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نظمه العبد الفقير الى رمة ربه ومغفرته بدر الدين حسن بن  
 محمود النحوى الماردانى فى الشيخ الامام العالم العامل ، الأوحى شيخ  
 الاسلام ، وقدوة الأنام تقى الدين أحمد بن تيمية تغمده الله برحمته ورضى عنه  
 ألا أيها القلب الذى عدم الصبرا      أفق ، طالما جرعت من لوعة صبرا  
 ويا عبرات الجفن أظهرت بالأسى      لنا عبرا بالدمع أسطرها تقرا  
 أيا من من خطب اليبالى مخاطب      . وشيمتها فى الناس أن تظهر الغدرا  
 وهل خالد فى الدهر عمرو وخالد      لعمر ك لا يبق ، ولو أمل العمرا  
 قضى ماجد ، مامثله اليوم واحد      وأبقى جميل الفعل من بعده ذكرا  
 دما لو بكته دمنة الربع والدم      وأمطرت الشعرى العبور لها العبرا  
 أو اغبر وجه الأرض يوم مصابه      لقل ، وجل الخطب من فقدته قدرا  
 فتى أرف المعروف ، والجود عادة      تعودها طفلا ، وكان بها أخرى  
 كأن لم يقل يوما مقالا ، فتنثنى      إلى قوله الأسماع طائعة قهرا  
 ولا ظهرت بين الأنام علومه      ولا طرزت شاما ، ولا جملت مصرا  
 دعانى ظلال الصبر فى صبر فقد      فأرسل رسل الدمع من مقلتي تترى

سنت . تقى الدين ، أحمد سنة

وأوسعت فى كسب العلا بالندى صدرا

أيا شافعي الوقت في ضبط نقله  
قنعت ، وفي الدنيا زهدت ديانة ،  
أفضت على الأيام بحر مكارم  
عجبت لقبر ضمّ جسمك ترّبه  
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة  
وشاهدت في حسن الزيادة نضرة  
تدرعت أثواب المحامد والتقى  
لئن نقل الأعداء عنك ضلالة  
وإن أودعوك السجن منهم جهالة  
فما يختفي إلا الجواهر في الوري  
أيا سائلي ، عن علمه ، وصفاته

هو البحر ، فاعجب فيه من يصف البحر  
هو الغيث ، يثني عنه كل لطيمة  
سما حاتما جودا ، وفاخر عاصما  
أيا بطل ، يوم الجدال مجندل  
إذا قال في عليك أمعن قائل  
وما ذا يقول المادحون بوصفه  
تقدّرت في علم وزهد وفطنة  
هو البحر ، فاعجب فيه من يصف البحر  
من الروض ، بل تزكولاً وصفه بشرا  
ففاق لمن يقرى الضيوف ومن يقرا  
قوارس علم من فواضله قهرا  
فما حاط من معشار ما نلت العشر  
وقدرك فوق الشعر حل عن الشعرى  
فضلت بها في الفضل بين الوري ذكرا

أعدت نهار الجهل ليلا مسودا      وكافر ليل الكفر صيرته فجرا  
 نظمت على جيد الزمان قلائدا      بفضلك نظما من علومك أو نثرا  
 لقد كنت في يوم الفخار وفي الوغى      شجاعا يرد الليث عن سبله قهرا  
 سيوفك بيض ، مثل عرضك في الوري

إذا اسودَّ ليل النقع ، صيرتها حمرا  
 كأنك قد أفرغت في فردٍ قالب      تلاشى ، فلم يصبر على قلبة أخرى  
 فحمت على الأيام فرداً . ومن رأى      مثالك من كنز المكارم قد أثرى  
 فاقسم باتقرآن في العصر صادقاً      بأنك قد شرفت من دهرك العسرا  
 سقاك حياً . ومن وابل الغيت سحرة      وحيّاندَى قد ضم من كفك البحرا  
 ونور نوار الربيع ربّعه      وأطلع في أرجائه الزهر والزهرا  
 تمت بحمد الله وحسن توفيقه .

\*\*\*

وله أيضا فيه . رحمه الله ورضي عنه آمين

أبى اليوم سر الكون أن يتكلما      وصبغ مشيب الدمع أن يتكلما  
 وكل مصون من شجون ولوعة      به تم فرط الحزن والدمع قد نما  
 قضى ، ومضى . مولى سما كل ماجد      فأوحش ربع المكارم وأظلمما  
 غمامة جود أفلعت بعد صوبها      وندر سعد عاب لما تشقّما

وبحر علوم غاض زاخرٌ يَمَّه  
عيونى مصاب الخطب لما تحمقت  
أيا فاضل العصر الذى فى صفاته  
قضيت جميل الفعل أوحده ملة  
ليهنك كم جندلت يوما مجادلا  
نثرت على فرق الزمان جواهرها  
بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى  
سبقت الى الغايات فى الفضل للورى  
مضى علم فى الناس حَبْرَ معلم  
فأصبح درس الفضل والعلم دارسا  
وركن معالٍ قد وهى وتهدما  
بها الدمع من جفنى تعندم عندما  
تأخر من فى الفضل عنه تقدما  
حمى الدين والاسلام عزمنا وسلما  
وكلمته باللفظ منه تكلمنا  
ودرا على جيد الليالى تنظما  
وجودك والاحسان ارحمت مغما  
على قدم ، مقدامها قد تقدما  
فأوحش من ربع المدارس معلما

يَوَدُّ بَأَن يَشْكُو الْجَوَى وَتَكَلَّمَا  
فَتَى لَوْ قَلَامَاتِ الْأَظَافِرِ قَلَمًا  
لَكَانَ شَبِيهَ مِثْلِهِ الْيَوْمَ قَلَمًا  
فَلَوْ أَنْصَفْتَهُ الْبَاكِيَاتِ لَفَقَدَهُ  
بَكَتْهُ دُمَا مِنْ فَيْضِ أَجْفَانِهَا الدُّمَا  
مَتَى صَيَّرَ الْمَعْرَاجَ لِلْخُلْدِ فِي الدَّجَى  
بَأُورَادِهِ ، لَمَا تَسَلَّمَ سَلَمًا  
تَقَاصَرَ عَنْهُ ، حِينَ أَقْدَمَ أَحْجَبًا  
فَكَمْ جَادَلْتَ أَقْوَالَهُ مِنْ مَعَانِدِ  
عَنِ الدِّينِ مَحْثًا ، حِينَ سَأَمَ أَسْلَمًا  
وَكَمْ رَدَعْتَ آرَائِهِ مِنْ مَخَالِفِ  
مِنَ الْفَضْلِ عَنْ مَوْلَى سِوَاكَ تَحَرَّمَا  
فَأَرْبَحْتَ مِنْ تِلْكَ التَّجَارَةِ مَغْمًا  
لَبَسْتَ تَقَىَّ الدِّينِ ثَوْبَ تَقَاوَةِ  
تَخَيَّرْتَ مَا يَبْقَى عَلَى كُلِّ هَالِكِ



تقيت الذي قدمته من صنائع      من الخير، أو ما جدت منك تكريما  
وفي الحشر تلقى كل نفس نفاسا      وتجزي الذي في الناس أجراما، أجراما  
تأخرت عن نيل المناصب رفعة      ومثلك في أيامنا ماتقدما  
بنيت على الاسلام ركنا ومعصما      يُقبلُ منه الجدُّ كفاً ومعصما  
أقمت قناة الدين منك بعزيمة      وأطفأت نار الشرك منك فأظاما

صبرت على حمل الأذى منك راضياً

وأعرضت عن فعل الأعادي تكريما

شهرت على أهل البدائع في الوري      صوارم شرك الكفر منها تصرما  
وقفت على يوم الجلال شجاعة      بعزم يردُّ المشرقيّ مُسلماً  
إذا بكى الأبطال خوف قبيلة      ضحكت بثغر في الوغى قد تبسما  
ولما تبدى نور نعشك لامعا      تمت بنات النعش أن تتحطما  
وودت بأن تدنو الثريا إلى الثرى      ثاراً عليه ، رفعة وتعظما  
نزلت على أهل المقابر رحمة      وأتقدتهم من ظلمة الظلم والظما  
سقى قبرك الوسمي في كل سحرة      سحائب رضوان به الروض وسمما  
ورف عليه الأقحوان مفاجيا      وأضاع فيه الروض نجما وأنجما

تمت والحمد لله رب العالمين

## قصيدة

للشيخ الامام جمال الدين عبد الصمد بن براهيم بن الخليل بن  
ارهم بن الخليل الحنبلي . يرتى شيخ الاسلام والمسلمين أبا العباس أحمد  
ابن تيمية . قدس الله روحه . وعدتها ثمانية وأربعون بيتا :

عش ماتشاء ، فان آخره الفنا	الموت مالا بد عنه ولا غنى
والدهر إن يوما أعان ، فطالما	بالسوء عان ، فعونه عين العنا
لا بد من يوم يؤمك حَتْفُهُ	حتمًا ، نأى الأجلُ المقدّر ، أودنا
للفس سهم من سهام نوائب	يرمى ، فيُصمى من هنالك ومن هنا
مَنْ غَرَّه الأمل المديد ، فانه	غَرَّ ، لأن طعامه لن يُسمنا
شمس الحياة تَضَيَّفَتْ <sup>(١)</sup> ، ومشيبه	ضيف يحجر من المنية ضيفنا
من حين أوجد كان نفس وجوده	في الكون بالعدم المحقق مؤذنا
يا من يَعُدُّ الدهر صاحب دهره	ويُعد فيه للإقامة موطننا
أو مارأيت الموت كيف سطا بمن	في الخلق عن محض العلوم تكوننا
نَدَبُ مُباحٍ الصبرِ حَظْرٌ بعده	فلم استحال ، وكان شيئًا ممكنا ؟
بَدَّ الأنام ، مع البذاذة <sup>(٢)</sup> ، فضله	إذ لم يكن بسوى التقى متزيننا

(١) أى مالت إلى الغروب

(٢) أى مع عدم الاعتناء والتأنق في اللبس لأن تجمله كان بالتقى

ترك الجميع على الجوع ، فلم يهب  
ولكم مقامات له في الحق ، لا  
بالعرف بأمر ، ناهيا عن منكر  
وينخص أوقات الخصاصة بالندي  
فبخير مأسن ، وبالسنن اقتدى  
ما جار عن نهج الصواب وما اعتدى  
إما تبارزه ، تجده مؤرزا  
وإذا تجاريه ، فما السيل انبرى  
متزهدا ، متعبدا ، متهجدا  
في كل عصر سيد ، هو حجة ال  
ونرى أحق من استحق ، فحازا  
شيخ الأنام وحجة الاسلام من  
أعنى أبا العباس أحمد ، بل تقي  
في الله ليس يخاف لومة لائم  
لما تتحقق أن كل مخلف  
لم يدخر قوتا لأجل غد ، ولا  
صدر حوى في صدره لكاله  
ظهرت ولايات الولاية بعده  
واسمع مقالة أحمد متوعدا

تلك الجوع ولا استراب ، ولا وني  
بيض الطبا يخشى ، ولا شمر القنا  
متقربا ، وهو البعيد عن الخنا  
فيهم عادا ، فقره أعلا الفنا  
والشكر والذكر الجميلين اقتنى  
وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى  
في أي علم شئت ، حبرا متقنا  
إما جرى في بحثه متفندا  
متخشعا ، متورعا ، متدينا  
بارى على كل الخلائق في الدنيا  
من للإمامة لم يزل متعينا  
أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى  
بى الدين حقا والعليم المعنا  
ويرى النوى فيه نهايات المنى  
يفنى ، وإن كان النفيس ، المشنا  
أبقى له إرثا سوى حسن الثنا  
من كل علم معلوى معدنا  
وأسأل لتصبح بالحقائق موقنا  
أعداءه : يوم الجنائز بننا

فأحقّ ما يبكي عليه فقده  
فيض النفوس يقلّ فيه ، فلا تلم  
يا من أعاد أولى التشّدق علمه  
يا دوحة الفضل التي في أصلها  
يا بحر ، بل يا بحر ، كم حيرت من  
يا خاتم الفضلاء ، علمك معجز  
إن كان ذا حفظا ، فوقتك ضيق  
لكنه من فضل ماهو قاذف  
أسست بنيانا على تقوى ورضوان ، فلا سيما قد ارتفع البنا  
غبرت ، يا من لا يشق غباره  
جاهدت في ذات المهيمن صابرا  
إن الذين يجاهدون عدونا  
الله قد أثنى على العلماء في  
لا غرو إن كنت ابتليت بحاسد  
أشكو اليك ، وأنت أصل شكايي  
قد عبرت عبراتنا من حزننا  
سقياً لتلك الروح من سحّب الرضا  
لو كان فيها الموت يقبل فدية  
ما موت هذا الخبر رزء أهينا  
وأعن عيوننا فضن فيه أعينا  
خرسا ، وأنطق بالثناء الألسنا  
طيب ، وزاكي فرعها حلو الجنا  
حبر تصير ذا الفصاحة الكنا  
بهر الوري ، فصدرت عنه مؤمنا  
عنه . ولو كان الزمان له أنا  
بالحق سن نور الولاية والسنا  
في أوجه الفضلاء قدما قبلنا  
عند الأذى ، فأتت بشارات الهنا  
فيما ، سنهدهم إلينا سبلنا  
نص الكتاب وأنت أولى من عني  
فالحر ممتحن بأولاد الزنا  
من فرط ضر في افتقارك مسنا  
وبما نحن من الجوى نطق النفي  
وتبوات جنات عدن مسكنا  
كان الأنام فدى ، وأولهم أنا

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة نظم الشيخ عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي  
الأصل ، الدمشقي الحريري ، المعروف بالمتيم ، يرثي الشيخ تقي الدين  
ابن تيمية . وهو أحد أصحابه ، رضى الله عنه وأرضاه .

لقد عذبوا قلبي بنار المحبة	وذاب فؤادي من فراق الأحبة
وزاد غرامي في اشتياقي إلى الحمى	وهيَّج ليلالي حنيني ولوعتي
فيا عظم أحزاني ووجدى عليهمو	ويأطول أشواقي إليهم . ووحشتي
فلم أنس أياما تقضت بقربهم	ومن عيشتي ، لما تولوا تولت
ملأت النواحي من نواحي ، وكيف لا	أنوح على قوم هم خير جبرتي ؟
ومن عجي أنى أحزن إليهم	وقد سكنوا قلبي وروحي ومهجتي
ذكرت فلم أنسى زمان وصالهم	أنسى نبال بالعديب تقضت ؟
منازل أحباني مواطن سادتي	مطالع أقماري شروق أهلي
معاهد أفراحي ديار سعادتي	مواسم أرباحي أويقات لذتي
مضت وانقضت عني ، كأن لم أكن بها	وما ذاك إلا من ترادف غفلتي
أعلل روحي بالغوير ، وبانة	وما شوقها إلا لسكان رامة
إذا لم يلح لي بارق من حماهمو	فيا خيبة المسعى ، ويأطول شقوتي

وإن لم أقض العمر بين خيامهم  
وإن لم أشاهد حسنهم في مشاهدي  
وإن لم أجد نور الهدى من خباياهم  
لغير رضاهم ما تمننت مطامعي  
يقولون لي : لم لاسلوت هواهمو ؟  
ولا ذقتمو مذاق قلبي من الجوى  
فهل لي جنان أن يهيم بغيرهم  
وحاشى أن أسلو هواهم ، وحبهم  
فهم سر أسرارى ، ونور مناظرى  
وهم عين أعيانى ، وقلبي ، وقالبي  
وهم فى معانيهم حياتى حقيقة  
وهم فى تجلياتهم شمس إذا بدوا  
وهم أينما كانوا نهاية مقصدى  
وهم نور أنوارى ، وسر حقائقى

فلا عشت فى الدنيا ، ولا نلت منيتى  
فقد فأتنى سؤلى ، ومت بحسرتى  
يضىء به قلبى ، فيا عظم حيرتى  
ولا أسواهم ما حللى تلفتى  
فقلت : دعونى ، ما بليتكم بمحنتى  
ولامسكم ضرى ، ونارى وحرقتى  
وهل لي اسان أن يفوه بسلوتى  
يذكرنى حفظ اليهود القديمة  
وروحى ، وريحانى ، وأنسى وبهجتى  
وهم منتهى قصدى ، ومشهد رؤيتى  
وهم فى مغانيهم ، أهيل مودتى  
وهم فى تجلياتهم رياضى ونزهتى  
وهم أينما حلوا مرادى وبغيتى  
وهم أنس تأنيسى ومأمن خيفتى<sup>(١)</sup>

(١) فى هذا الشعر غلو فى الاطراء ، لو قبل بين يدي شيخ الاسلام  
ابن تيمية رحمه الله ، لأدب قائله وعلمه . وما وقع الناس فى الشرك  
إلا من وراء هذا الغلو فى الاطراء والمدح . ولذا يقول النبي صلى الله عليه  
وسلم « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، بل قولوا عبد الله  
رسوله . فانما أنا عبد الله ورسوله » رواه البخارى



ترى يشتفى قلبي برؤيتهم على  
 وتحياهم روحى حياة هنيئة  
 اذا سمحوا لى نظرة من جمالهم  
 عليهم سلام الله ما هبت الصبا  
 وقد آن أن أئدى خفايا صبايتى  
 وأبكي على من كان يجمع شملنا  
 وأندب أحزاني بما قد أصابني  
 فقدت إماما كان أوحد عصره  
 فقدت إماما ، لم يزل متوكلا  
 فقدت إماما كان بالعلم عاملا  
 أتى بكتاب الله والسنة التي  
 أتى بأحاديث الرسول وشرحها  
 أتى بعلوم العالمين جميعها  
 أتى بأصول الدين ، والفقهاء مجملها  
 أنانا بأحوال الرسول حقيقة  
 أنانا بأحوال الصحابة كلهم  
 أنانا بأوصاف الأئمة كلها  
 رياض الهنا يوما ، وتبرد غلتي؟  
 مسرمة التنعيم فى روض جنة  
 فقد نأت من رضوانهم كل وصلة  
 وما ناحت الأطيوار شوقا وحنن  
 وأظهر المعذال أصل رزيتى  
 على طاعة الرحمن فى كل لحظة  
 وأثر أشجاني بنظم قصيدتى  
 وقد فجعت فيه جميع البرية  
 على . الله لا يصفى إلى غير سنة  
 وكان حقيقاً قامعاً كل بدعة  
 عات وارتقت حقاً على كل منة  
 وعمن رواها بالمتون الصحيحة  
 بزهد . وتأيد . ودين ، وقوة  
 وفصاًها تفصيل من غير شبهة  
 وسيرته تسمو على كل سيرة  
 والتابعين المنة المسنقمة  
 وصنف كتباً فى صفات الأئمة

أَتَانَا بِوصف الصالحين وحالهم  
وعلمنا شرع الرسول ودينه  
وأعلمنا أن النجاة من الهوى  
وحذرنا من كل زيغ وبدعة  
وناظر أرباب العقائد كلهم  
ورد على أهل الضلال جميعهم  
وبين تكذيب اليهود وخبثهم  
وأخبرهم عن سر أسباب كفرهم  
وأظهر أيضا للنصارى ضلالهم  
وباحثهم حتى تبين أنهم  
ورد على كتب الفلاسفة الأولى  
وقرر إثبات النبوات عندهم  
ورد على جهنم وجمعة بن درهم  
زنادة، كم أهلَكوا من عوالم  
وجادل أهل الاعتزال جميعهم  
يقولون: قول الله من بعض خلقه  
وباحث أشياخ الروافض وانثنى  
لأنهم عادوا خواص محمد — د

وما هم عليه من جميل العقيدة  
بأفصح ألفاظ وأصدق لهجة  
تمسكنا بالسنة النبوية  
وعن كل طاع خارج عن محجة  
وبين من قد ضل من كل فرقة  
بأوضح برهان . وأبلغ حجة  
وما بدّلوا في الملة الموسوية  
فتعسّأ لهم من أمة غَضَبِيَّة  
وما أحدثوا في الملة العيسوية  
سكارى حيارى بالطباع الخبيثة  
بمنقول أحكام ومعقول حكمة  
وجال عليهم كَرَّة بعد كَرَّة  
وبشّر المرّيسى عمدة الجهمية  
بسوء اعتقادات النفوس السقيمة  
وسلّ عليهم سيفه بالأدلة  
لقد كُكبُّوا في قعر نار حمية  
يقاتلهم بالدرة العمرية  
وسبّوا ، فهم في الأصل شر الخليفة

بغوا ، وافتروا جهلا ، فهم أنجس الورى  
 وهم خصماء الله ، تبأ لدينهم  
 فكم أحدثوا فى ديننا من ضلالة  
 وردت على قوم . تربت نفوسهم  
 وردت على قوم وشتت شملهم  
 ورد على أهل التناسخ عندما  
 ومزقهم فى كل واد ، لأنهم  
 وقد أنكروا أمر المعاد بقولهم  
 وجاهد أهل الاتحاد ، وردهم  
 وأنقذهم من ظلمة الجهل والعمى  
 ورد على أهل الحلول . فأنهم  
 وقد زعموا أن التجلى مظاهر  
 فمن أجل هذا يرقصون ديانة  
 يرون شهود المرد والرقص قرينة  
 ورد على أتباع إبليس عند ما  
 وكم قد طوى فى علمه من طوائف  
 مطايا بنيات الطريق مرت بهم  
 وأكذب خلق الله من كل فرقة  
 وبعداً بهم من عصبة ثنوية  
 فلا مرحبا بانفرقة القدريّة  
 على النفي والتعطيل من غير حجة  
 وهم أهل تشبيه أتوا بكبيرة  
 تجروا وخاضوا فى أمور عظيمة  
 يقولون لاشئ سوى البرزخية  
 نفوس نأت عنا وفى الغير حلت  
 إلى أشرف المسرى ، وأهدى طريقة  
 بنور وبرهان . ودين النصيحة  
 يرون تجلى الحق فى كل صورة  
 ولا سيما فى صورة أمرديّة  
 وفى رقصهم جاءوا بكل قبيحة  
 فياويلهم من خزي يوم الفضيحة  
 رآهم وقد ملوا إلى الجبرية  
 حرورية منهم على حشوية  
 إلى أن أخذوا فى عراض القطيعة

وفي بحر آراء العقائد أغرقوا  
وكم قد أراهم كلهم سبيل الهدى  
فمن كان قطب الكون في حال عصره  
شجاع همام بارع في صفاته  
تزهد في كل الوجود ، وغيره  
يجود على المسكين في حال عسره  
ويلقى لمن يلقاه بالبشر والرضا  
ويدعو لمن قد نال من ثلم عرضه  
يسارع في الخيرات سرا وجهرة  
يجاهد في الله الكريم بمجده  
ويأمر بالمعروف حبا لربه  
تقى نقي ، طاهر الذيل مذ نسا  
أليس الذي قد شاع في الكون ذكره  
فمن كان تاج العارفين لوقتنا  
هو الحبر والقطب الذي شاع ذكره  
إذا ما ذكرنا حاله وصفاته

رمتهم خيالات العقول السخيفة  
وكم قد مهاهم مرة بعد مرة  
سواه ؟ ومن قد فاز بالبديلة ؟  
يروم مراما في المراقى العلية  
يدور على الدنيا بنفس دنية  
بأطماره في حب باري البرية  
بأوصافه الحسنى ، ونفس زكية  
ولم ينتقم ممن آتى بالاذية  
ويلهو عن اللذات في كل طرفة  
بصدق وإخلاص وعزم وتية  
وينهى عن الفحشاء نهيا بهمة  
كريم السجايا ، ذو صفات حميدة  
وعمّ البرايا بالفتاوى العظيمة ؟  
وشيوخ الهدى ؟ قل لي ، بغير حمية  
وفاح شذاه كالعبير المقتت  
كأننا حللنا في نعيم وروضة

\*\*\*

تهنأ أبا العباس بالقرب والرضا  
لقد نلت ما ترجو بكل مسرة

ألا يا تقى الدين ، يافرد عصره  
وبانت لكل الناس أوصافك التى  
ظهرت بأنواع العلوم وجنسها  
فأظهرت ما قد كان للناس خافيا  
وأوضحت إشكالا ، وبينت مبهما  
وكم غصت فى بحر المعارف غوصة  
ظهرت باحسان وحسن سماحة  
خرجت من السجن الذى كان ضيقا  
وقد نلت من مولاك ما كنت راجيا  
حملت على النعش الذى كان تحته  
وصلى عليك الحاضرون جميعهم  
وأما النساء المؤمنات فانهن  
ومعهن أبكار تحجبن بالتقى  
صبرت على الأحكام طوعا وطاعة  
وكنت حمولا للنوائب كلها  
وأوسعت صدرا للعقادير عندما  
ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذى  
وعاينت موجودا تعالت صفاته

بروقك قد لاحت كشمس مضيئة  
برزت بها مثل العيون الغزيرة  
وسارت بها الركبان فى كل بلدة  
بكل معان والفنون الغريبة  
وأبدت أسرارها بنفس عليمه  
ولججت فاستخرجت كل يتيمة  
ودين ، وتوحيد ، وكل فضيلة  
إلى دار فوز فى رياض فسيحة  
وأشهدك المعنى بعين قريرة  
متين أوفى فى بكاء وضجة  
بحسن اعتقاد فيك ، يا شيخ قدوة  
خرجن حيارى ، فوجة بعد فوجه  
ينحنن بكاء عليك حزينة  
وذقت من الآلام طعم البلية  
صبورا على الأقدار فى دار غربة  
شهدت جمال الحب فى كل خلوة  
تطوف به الأنوار فى روض جنة  
وشاهدت محبوبا بعين البصيرة

فلا أوحش الرحمن منك ، ولا خلت  
 ولا أقفرت منك الطلول ، ولإنأت  
 ولا سكنت يوم الوداع دموعنا  
 ولا احتجبت أسماعنا عنك ساعة  
 لقد كنت روحا للقلوب وراحة  
 تمسكت بالدين الحنيفي والهدى  
 ظهرت الى الدنيا بأحسن مظهر  
 وودعتنا توديع من غير راجع  
 شربت بكأس العارفين مدامة  
 وجدت بكأس الفضل منك تكرما  
 فسبحان من أعطاك من فضل جوده  
 لقد عشت محبوبا وملت مكرما  
 وما برحت تعلوك أنوار أنسه  
 وما أواك جنات النعيم مع الهدي  
 نبي الهدى خير الوري صاحب اللوا  
 عليه صلاة الحق ثم سلامه  
 وبعد ، فله الحمد كلها  
 وها أنا يا ربّي عبّد متيم

ربوعك من تلك العلوم الجليلة  
 ديارك من تلك الصفات الجميلة  
 ولا اكتحلت فيك الجفون بغمضة  
 ولا أيست منك العيون بنضرة  
 وقوتا وأنسا للنفوس النفيسة  
 وبالعروة الوثقى وأصل الشريعة  
 ورحت إلى الأخرى بأكل زوحة  
 وفارقتنا والدار غير بعيدة  
 حقيقةها من سر عين الحقيقة  
 على تابعين السنة الأحمدية  
 لقد نلت قربا لا ينال بحيلة  
 عليك من الرحمن أركى تحيى  
 وما زلت في عز وقرب ورفعة  
 تقرد من بين الوري بالوسيلة  
 شفيع على الاطلاق في كل أمة  
 على عدد الأتقاس في كل طرفة  
 على ما أرانا من وضوح المحجة  
 عساك نرى حالى وتغفر زلتى



تمت ، وعدتها مائة وسبعة وعشرون بيتاً <sup>(١)</sup> والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وله أيضاً رحمه الله يرثي شيخ الاسلام ابن تيمية مرة أخرى :

الله عيشاً تقضى بالثنيات مع جيرة لذت لي فيهم صباباتي  
ما كان أهنا زمانى في ربوعهمو والسعد يسعى بما فيى إراداتي  
والكأس تجلّى بأنواع السرور، وفي قرب الأحبة تبسّولى سعاداتي  
إذا تجلّوا على قلبي بحسبهم كأننى في نعيم وسط روضاتي  
قد كنت في قربهم والوصل مقترنى لم يخطر الصد والهجران في ذاتي  
واليوم أصبحت أبكى بعد بعدهم لما تناءوا نأت عني مسراتي  
وغاب مذهب عن عيني جماهمو راحى وروحي ، وربحاني وراحاتي  
ولا صفا بعدهم عيشى بمنهلة ومذتولوا تولى طيب لذاتي  
ياسادة ملكوا قلبي بلطفهم ماضرهم لو أعادوا لي أويقاتي ؟  
هم مرادى ، وهم سؤلى ، وهم أملى وهم نهاية مقصودى وغاياتى  
وهم سرورى ، وهم سمعى ، وهم بصرى وهم نعيمى ، وروضاتى وجناتى  
وهم حياتى ، وهم أنسى ، وهم شرفى وذكرهم لم نزل في القلب جلواتى  
لهفى على زمن وليّ وما ظفرت روحى ، بما ترتجى يوم الأثيلات  
لما سروا وفؤادى في هوداجهم ناديت من حرقى : يا عظم لوعاتى

(١) كذا في الأصل ولكنها مائة وأحد وثلاثون

ما كنت أعلم قربى في محبتهم  
 فاندب على ماضى من عيشنا وصفا  
 واذا كرم صار قوم، كيف قد شربوا  
 فأصبحوا في الثرى تبلى وجوههم  
 أنت من بعدهم تسرى كسيرهم  
 أقول ما قاله العبد المنيب <sup>(١)</sup> ، وقد  
 أنا الذليل ، أنا المسكين ، ذو سجن  
 أنا الكسير ، أنا المحتاج ، يا أملى  
 أنا الغريب ، فلا أهل ولا وطن  
 أنا العبيد الذى ما زلت مفتقراً  
 مالى سواك ، ومالى عنك منصرف  
 أنت القدير على جبرى بوصلك لى  
 أدعوك يا سيدى ، يا مشتكى حزنى  
 فانظر إلى عبرتى وارحم صبا جسدى  
 ما زال مفتقراً فى باب سيده  
 ما زال يتبع آثار الرسول على الذ

حتى رمتنى إلى الأبعاد راياتى  
 وأبك على ما قد جرى ، يا قلبى العاتى  
 بعد الزلال بكاسات المنيات  
 تحت التراب ، فيا عظم المصيبات  
 إما بدار هوان أو بجفسات ؟  
 أودى به السجن فى برّ وطاعات  
 أنا الفقير إلى رب السموات  
 جدلى بفضلك ، واعف عن خطيأتى  
 أنا الوحيد ، فكن لى فى ملماتى  
 إليك ، يا سيدى فى كل حالاتى  
 ذكراك فى القلب قرآنى وآياتى  
 أنت العليم بأسرارى الخفيات  
 يا جابرى ، يا مغيثى فى مهماتى  
 يا راحم الخير يا بارى البريات  
 ما زال مبتلياً بالامتحانات  
 هج القويم باعلام الدلالات

(١) هو ابن تيمية : والشاعر يشير بهذا الى قصيدة الشيخ التى قالها فى  
 السجن . ومطلعها « أنا الفقير إلى رب السموات » التى تقدمت فى صفحة (٣٧٥)

يهدي لسنته ، يفتي بشرعته  
قطب الزمان وتاج الناس كلهمو  
حبر الوجود ، فريد في معارفه  
حوى من المصطفى علماً ومعرفة  
ما جاءه سائل إلا ويمنحه  
ماذا أقول ؟ وقولي فيه منحصر  
في علمه ، ما علمنا من يناسبه  
في زهده ، ما سمعنا من يشاكله  
في جوده ، ما وجدنا من يماثله  
يجود ، وهو فقير ، إنَّ ذا عجب  
تلوح شمس المعالى في شمائله  
بحر المعارف ، تاهوا في بدايته  
قطب الحقائق ، حاروا في فضائله  
أعجوبة الدهر ، فرد في فضائله  
والهف قلبي على من كان يجمعنا  
فارقت من كان يُرويني برؤيته  
يروى الأحاديث عن سكان كاظمة  
ويطنب الذكر في إحسان حسنهم  
يرعى لحرمة في كل ساعات  
روح المعاني ، حوى كل العبادات  
أفنى بسيف الهدى أهل الضلالات  
وجاءه منه إمداد النوالات  
إما بجود ، وإما بالمدارة  
في وصف أخلاقه ؛ كَلَّتْ عباراتي  
إلا أئمتنا أهل العنايات  
إلا رجال مضوا أهل الكرامات  
غير البرامك كانوا في سعادات  
هو الذي ما سمعنا في الحكايات  
وفي صفا وجهه ور الهدايات  
أهل المعاني وأرباب النهايات  
أهل التصوف أصحاب الرياضات  
علامة الوقت في الماضي وفي الآتي  
على فنون المعاني والإشارات  
إذ ابتدئ بدا سرُّ العبادات  
فيطرب الكون من طيب الروايات  
فيرقص القلب شوقاً نحو سادات

أفضى الى الله والجنات مسكنه عليه من ربه أزكى تحيات  
ثم الصلاة على خير الأنام ومن قد خصه الله من بين البريات  
اختاره ليلة الاسرا لحضرته حتى تجلى له رب السموات  
فهو الشفيع الذى ترجى شفاعته عند الشدائد فى يوم المجازاة  
عليه منى سلام الله ماهمت سحب وجادت بالزيادات  
والحمد لله حمداً لا انقطاع له أرجوه من الهى محو زلاتى  
تمت وعدتها خمسة وخمسون بيتاً .

وسئل الناظم لهذه القصيدة عن عمره فقال : نحو التسعين . ومولدى  
ببلاد الروم . وتوفى يوم الاربعاء سادس شعبان سنة إحدى وثلاثين  
وسبعمائة . ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى ورضى عنه <sup>(١)</sup>

### مرثية

فى الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ، نظمها رجل اسمه  
جمال الدين محمود بن الأمير الحلبي ، وأرسلها من حلب المحروسة .

يادموعى سحى كسحب الغمام هاطلات على الخدود سجام  
لفراق الشيخ الامام المقدى ابن تيمية ونجل الكرام

(١) اعاد هنا ذكر الايات التى قالها الشيخ فى سجنه . وأولها « أنا  
الفقير الخ » وقد أسقطناها من هنا لأنها تقدمت فى صفحة (٣٧٥) وعدتها  
أربعة عشر بيتاً .

زاهد ، عابد ، تقى ، نقى فهمه لا يقاس بالأفهام  
 ابن تيمية تيمية دهر ماله من مساوم ومسامى  
 فجعت فيه كل أهل البرايا جمعها للعلوم والأحكام  
 أوحده في العلوم والفضل والزهد ، لا يرأى في ملة الاسلام  
 بحر علم يغوص كل لبيب في معانيه . حار كل الأنام  
 فاق بالعلم والفضائل للخلق ، فأضحى إمام كل إمام  
 إن يكن غاب شخصه وتوارى ومضت روحه لدار السلام  
 فنأقبه والفضائل تبقى في ممر الدهور والاعوام  
 سيد قد علا بعلم وحلم فعداه لديه كالأنعام  
 كم رموه الحساد بالكيد والبغى ، وهو لا ينتنى عن الأقدام  
 طالب الحق لا يخاف لحيف وهو يحمى عن ذروة الاسلام  
 لا يخاف الملوك أيضا ، ولا الخلق ، ولا العبيد مع اللوام  
 كم ملوك أتى بجزم وعزم وهو في الله مسرع الاقدام  
 ولغازان إذ أنه بقلب ما أسود الغابات مع ضرغام  
 فتلقاه بالبشاشة والرحم وبالعطايا ، والعز والاكرام  
 أخذ العهد منه للناس جميع ما بأمان لكل أهل الشآم  
 نفس صادق تقبله الله ، فأطاعته كل تلك الانام  
 وحمام في الحمى بخشوع وخضوع للواحد العلام

قل لمن رام للفخار ويبغى رتبة قد علت بحمد الحسام  
 هو في رتبة النبيين ، فاعلم هكذا أخبر النبي التهامي  
 فقدته الدني ، مع الدين والعلم ، وكل الزهاد والأيتام  
 كم فتاوى أته . مع كل شخص أعجزت كل عالم صمصام  
 حلها كالنسيم في الحال ، وجلى لصداها من علة الأسقام  
 كان مجرأ للناس ، من غاص فيه فاز بالدر منه ، لا بالخطام  
 أوحده الخلق في التفاسير طرا والأحاديث ، والعلوم التمام  
 شيخ كل الاسلام في الزهد والنسك والعبادات ، والتقوى ، والصيام  
 كان شمس الضحى ، ونيل البرايا وإمام العلوم والاحتشام  
 صدره للعلوم ، والقلب للرب ويده للبذل والانعام  
 ولديه أهل العلوم تداعت إذ هوت حوله في الازدحام  
 تبتغى من جنى معانيه نطقا يستضيء منه في دياجي الظلام  
 فيروى قلوبهم بعلوم فتراهم سكري بغير مدام  
 كلما امت سؤلة عن هواه قاذي الشوق بحوه بزمام  
 لاتلني على المديح ، ودعني فهو شيخى ، وبغيتى ، وغرامى  
 خجل البدر من سناه فاضحى يعتريه النقصان عند التمام  
 كل من مات في هواه بوجد ما عليه في حقه من ملام  
 استمع يا عدول ، بالله ، وافهم لمعانيه في جميع نظامى



قد تساوى فى الحق كل وزر عنده ، مع رذالة الأعوام  
 فضله شاع بين كل البرايا بعلوم شبه البحار الطوامى  
 كان بدر ابيضىء فى الناس بالعلم وإماما ، فياله ، من إمام  
 حسدوه عند الوفاة على الخلق ، فلم يخل منهمو فى الحمام  
 نقلته أيدي المنية بالحق بجنان الخلود ، والدمع دامي  
 ياله ساعة ،لقى الله فيها حاز فيها المني ونيل المرام  
 فهو فى جنة النعيم مفدى بين حور ، كلواؤ فى الخيام  
 قدس الله روحه ، مع أخيه ما أضاء الصباح بالابتسام  
 يا نسيم الصبا بالله بلغ لحبيبي تحيتي وسلامي  
 وتعرض على الحبين ذكرى وشجونى وشقوتى وستامى  
 ثم صف ما أكابد الآن فيه من همومى ولوعتي وهيامى  
 وتقول العبيد : محمود أضحي بدموع وعبرة كالأفهام  
 تمت والحمد لله وحده وهى إحدى وخمسون بيتا (١)

للشيخ علاء الدين أبى الحسن ، على بن محمد بن سليمان ، بن حمائل  
 ابن غانم المقدسى ، رحمه الله . يرثى شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية  
 رضى الله عنه :

أى حبر مضى ، وأى إمام فجعت فيه ملة الاسلام

(١) كذا قال فى الأصل ، ولكنها بالتعداد خمسون فقط

بحر جود وعلم ، قد غاض من به      د ما فاض نداه ، وعم بالانعام  
 زاهد ، عابد ، تنزه في دنيا      ه عن كل ما بها من حطام  
 كان كنزا لكل طالب علم      ولمن خاف أن يرى في حرام  
 ولعاف ، قد جاء يشكو من الفقة      ر لديه ينال كل مرام  
 حاز علما ماله من مساو      فيه ، من عالم ، ولا من مسام  
 ولم يكن في الدنيا له من نظير      في البرايا في الفضل ، والأحكام <sup>(١)</sup>  
 كان في علمه وحيدا فريدا      لم ينالوا ما نال في الأحلام  
 عالم في زمانه ، فاق بالعلم جميع الأئمة الأعلام  
 كل من في دمشق ناح عليه      بيضاء ، من شدة الآلام  
 حملوه على الرقاب إلى القبر ، وكادوا أن يهلكوا بالزحام  
 ما يرى عند يومه عندما ساء      ر على النعش نحو دار السلام  
 فجع الناس فيه في الغرب والشر      ق ، وأضحوا في الحزن كالأيتام  
 كل من في الوجود فيه مصاب      فيعزى به جميع الأنام  
 أعظم الله أجرهم فيه إذ صا      ر على الرغم في الثرى والرغام  
 صار جار الآله ، رب السما      ت ، الرحيم ، المهيم ، العلام  
 كان وقت الحروب بالطعن والضر      ب سريع القدوم والاقدام  
 لا يهاب الهول العظيم بقو      ل الحق في نقضه ، وفي الأبرام

(١) في نسخة : جميع العلوم والأحكام اه من هامش الأصل

تابع سنة الرسول ، عليه من إله السماء أزكى سلام  
 قائم في نصر الشريعة بالعلم ، وبالفضل منه كل قيام  
 كم بنور العلم أخرج قوما من ضلال ، ومن عظيم ظلام  
 نال مانال من شريف مقال بعلوم شتى ، وعظم مقام  
 طبّق الأرض بالفتاوى اللواتى هى منقذات الورى من الآثام  
 حسدوه إذ ماله من نظير من بنى دهره الكبار الكرام  
 خصه بالكمال من كل علم ربنا ، ذو الجلال والاكرام  
 لو يُفدّى بالروح كنا جميعا قد فديناه من هجوم الحمام  
 قدس الله روحه وسقى قبراً حواه هاطلات الغمام  
 ورضى عنه ربنا وترضاه ، وملاّه بالنعيم النامى  
 فخلد كان نادراً فى بنى الدهر ، وحسنا فى أوجه الأيام  
 تمت والحمد لله رب العالمين وعدتها ثلاثون بيتاً<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قصيدة من القصائد التى رثى بها شيخ الإسلام ، تقي الدين بن تيمية  
 وهى لرجل جندى بالذيار المصرية يقال له : بدر الدين ، محمد بن  
 عز الدين أندمن المغيى ، رجل فاضل له محفوظات متنوعة . وفيه  
 ديانة وصلابة في دينه .

(١) كذا بالاصل ولكنها تسعة وعشرون فقط

(٣١) — المقود الدرية

أرسلها ، وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان

خطبُ دنا ، فبكى له الاسلام وبكت نغمته بكائه الأيام  
وبكت له بعبرتها السماء ، فأمطرت في غير فعل تسمح الأعوام  
وبكت له الأرض الجليلة بعدما أضحي عايتها وحشه وقتام  
وتزلزلت كل القلوب لفقده وتواترت من بعده الآلام  
ولمؤمنين الجن حزن شامل ونياحة نطقت بها الأحلام  
وتفجع الدين القويم لفقده وبقي غريبا يبتلى ويضام  
مُذْ مات ناصره الذي أوصافه أبداً تكون على سواه حرام  
لتقى دين الله وصفه باهر وخصائص خضعت لها الأفهام  
ومواهب من ذي الجلال تُمدّه فيتم نفعه شامخ ومقام  
وغدا تقى الدين أحمد ماله حدد فتحمل فقده الأجسام  
العالم الخبير الامام ، ومن غدا في راحتيه من العلوم زمام  
ذو المنصب الأعلى الذي نصبت له في الأرض في أقطارها الأعلام  
ببحر العلوم ، وكنز كل فضيلة في الدهر فرد ، في الزمان إمام  
حبر تخيره الأله لدينه ختم لأعلام الهدى وختام  
فوق بأحكام الكتاب ، فكمله في نصر توحيد الأله قيام  
والسنة البيضاء أحياء ميتها فعدت عايتها حرمة وحججها

(١) حجة عنه حججا ، كنصر وضرب — منعه

وأما من بدع الضلال عوائد  
أسّ الفضائل ، والدى لاتهتدى  
وأنا له رب السموات العلا  
وتقوده في العلم قول محمد  
إِن المِنَّة رَبَّنَا سبحانه  
بيدى لكم في كل قرن فادم  
فائن تأخر في القرون ثمان  
فاق القرون سوى الثلاث<sup>(١)</sup> ومنها  
وسوى ابن حنبل إنه علم الهدى  
لكنّ أحمد مثل أحمد ، قدحوى  
حدّث بلا حرج وقل عن زهده  
هجر المطاعم والملابس . والذى  
نزر المأكّل ، والمنام . ولا يرى  
وتراه يصمت لالعى دائماً  
وإذا تكلم لا يراجع هيبة  
ألقى عليه مهابة من ربه

لا يستطيع لدفعها الصمصام  
لقنونه وعلموه الأوهام  
في العلم سبقا ما إليه مرام  
صلى عليه الخالق العالم  
يقضى بما تأتى به الأحكام  
الدين من تهدى به الأقوام  
فاتقد تقدم في العلوم أمام  
خير القرون يزينهن تمام  
حبر إمام ، صابر قوام  
علما وزهدا في العلوم نوام  
ماشتت ، لارد ، ولا آثام  
واعزمه في تركها إحزام  
لبنى الدنى فى قلبه إعظام  
إلا لعلم يقتنى ويرام  
وسكينة ، وكلامه إبرام  
نخطابه الاجلال والاكرام

(١) التى يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون قرنى ثم  
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم — الحديث »

وإذا دنا فترى الرجال ذليلة  
بشر يعظم بالقلوب ، وقدوة  
من ينخص بها المهيمين من يشا  
وجفا العباد لشغله بحبيبه  
وله مقام في الوصول لربه  
وله فتوح من غيوب إلهه  
وتصوف وتكشف وتعنف .  
وعناية ، وحماية ، ووقاية  
وله كرامات ، سمت ، وتعددت  
من رد عن أرض الشام بعزمه  
من رد غازان الهام بحسرة  
من قام بالفتح المبين مؤيدا  
من جد في بدع الضلال وحزبه  
من صار في سنن الرسول ونصرها

فكانها في نفسها أحجام<sup>(١)</sup>  
أبدا يعظم ، وهو بعد غلام  
من خلقه ، والجاهلون نيام  
فوداده للأقربين سلام  
ومقامه نطقت بها الاقلام<sup>(٢)</sup>  
وتحزن ، وتمسكن وكلام  
وقراءة وعبادة وصيام  
وصيانة ، وأمانة ، ومقام  
ولها على مر الدهور دوام  
من صد وجه الكفر وهو حسام  
من خلص الأسرى ، وهم أيتام  
في كسروان ، وهم طغاة عظام  
وأذلهم بعد الرضاع فطام  
حتى استقر لأمرهن نظام

(١) جمع حجوم : أى أجرام ساكنة بلا حركة

(٢) بهامش الاصل : نسخة « أغتام » الأغم : الذى لا يفصح

شيئا . والاقتم : الذى تعلوه ظلمة وسواد . ولا نسب للمعنى فى البيت

« أغتام »



من قام في خذل الصليب ودينه  
فوهوا وردوا خائبين بذلة  
فالأمر بالمعروف يُفقد بعده  
فكان أشراط القيامة قد دنت  
فالعالم فينا ليس يقبض سرعة  
لكن يقبض الراسخين ذهابه  
لله ما لاقى تقى الدين من  
ومكاره خُفَّت بكل شديدة  
ومكائد نصبت له ، وحبائل  
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه  
وبسجنه ، وبحصره ، ونكاله  
فأراد رب العرش ، جل جلاله  
وأتاه آتى الموت ، يخطب نفسه  
نخلت مرابعه ، وأوحش ربعه  
وتفجعت كل القلوب بفقده

لما تداعوا للباس ، وقاموا<sup>(١)</sup>  
وعليهم فوق الوجوه ظلام  
والفاعلون النكر ليس يلاموا  
والمحل من سرج الزمان حزام  
كلا ، ولا يأتي حمام حمام  
وزواله ، وبقي راع طغام  
يحن تتابعه ، وهن ضخام  
ومواقف زلت بها الأقدام  
قصداً إليه ، فردها الأقدام  
بجنان ثبت ، ليس فيه ذوام  
حتى رنى العذال واللوام  
للقائه مُذ حانه الأعدام  
فأجابه طوعاً له القمقام<sup>(٢)</sup>  
وتقوضت عند الرحيل خيام  
وغدا عليها ذلة وسقام

(١) يشير الى ما حاوله النصارى من تغيير الزى الذى كان الزعم به الملك فلما جاء برقوق تشفعوا لديه فى ذلك فردده الشيخ عن ذلك  
(٢) القمقام — كصمصام — السيد العظيم .

ومضت جنازته الشريفة بعد ما      سدّ المسالك صارخ وزحام  
وأنت روايات الشام بجمعها      خبراً صحيحاً ، ليس فيه أثم  
أن الأولى شهدوا الصلاة وشيعوا      والله ، لا تحصيهم الأقلام  
فعليه أفضل رحمة تهدي له      ومن الآله تحية وسلام  
ما دامت الأفلاك في دوراتها      أو ناح من فوق الغصون حمام  
تمت . وعدتها ستة وستون بيتاً .

\*\*\*

مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ ، في الشيخ تقي الدين رضى الله عنه .  
عز التبصر ، والزمان رمانى      بسهامه ، وترادفت أحزاني  
أصبحت مكتئباً لفقد أحبة      جبلت جبلتهم على الاحسان  
لا صبر لى عنهم ، وكيف تصبرى      عن سادة رحلوا من الأوطان ؟  
إن أوحشوا نظرى ، فقلبي موطن      وعمارة الأوطان بالسكان  
خلت الديار ، فأصبحوا في بلقع      يا وحشتهاء لفرقة الإخوان  
لما سمعت بأن أحمد قد قضى      نجماً<sup>(١)</sup> على التوحيد والإيمان  
ولقاء رب ، لا مرد لحكمه      سبحانه من قادر منان  
عظمت مصيبتنا لسيد عصرنا      في شرح سيد أحمد ببيان  
والعلم حاز أصوله وفروعه      وغرائب التفسير للقرآن

(١) النجب : العهد . كذا في الأصل اه . من هامش الأصل

ويناضر الفقهاء في أقوالهم  
 غلب الملوك بثبته وجنانه  
 أفديه من بطل يلاقى عصبية  
 من ذا يقوم مقامه في عصرنا  
 وله الزهادة والعبادة منهج  
 سارت ركائبه إلى دار الجزا  
 أو ما نظرت إليه فوق سريرة  
 والناس من حول الجنائز أحذقوا  
 وهم أوف ليس يحصى جمعهم  
 نزلوا به كالبدر في إشراقه  
 عبد الحليم أبوه سيد عصره  
 المجد حاز المجد في عصره  
 ومثل هذا سارعوا أهل التقى  
 في جنة أنوارها قد أشرقت  
 أكوأها موضوعة وقبابها  
 والنور يغشى أهلها وهو على  
 ولباسهم من سندس وخيامهم  
 ولأهلها ما يشتهون وشغلهم  
 ويجيبهم بالثبوت والتبيار  
 وشجاعة بلغت إلى غازان  
 منهم ، بلا عون ، ولا أعوان  
 إذ ماضى في سالف الأزمان  
 وكذا يكون العالم الرباني  
 متمسكا بمواعيد الرحمن  
 حفت به الأنوار بالامكان ؟  
 كل يجود بعبارة الشكلا  
 إلا إله عم بالغفران  
 فتباشرت بقدمه القمران  
 وأخوه عبد الله خبر ثان  
 في الجرح والتعديل والبرهان  
 أزوا بأرفع رتبة وأمان  
 وقطوفها للطائفين دوان  
 من لؤلؤ مرفوعة البنيان  
 تلك الأسرة في رضى وأمان  
 قد ألبسوا من أحسن التيجان  
 بالله لا بالخور والغلمان

منهم تقى الدين فاز بزهده وبصره فى طاعة الرحمن  
ثم الصلاة على النبي محمد خير الأنام ، ومعدن الاحسان  
هاد وأول شافع ، ومشفع وله الوسيلة مظهر الايمان  
ماحن مشتاق إلى وادى منى وتطوفوا بالبيت والأركان  
تمت والحمد لله رب العالمين . وعدتها إحدى وثلاثون بيتا

\* \* \*

مرثاة للشيخ برهان الدين ابراهيم ، بن الشيخ شهاب الدين أحمد  
ابن عبد الكريم العجمي ، يرثى الشيخ تقى الدين بن تيمية فى  
جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة . ومولده فى أوائل سنة  
سبع وتسعين وستمائة . وتوفى فى رمضان سنة خمس وثلاثين وسبعمائة  
جدى بانسجام الدمع يامقلة العانى إلى أن تروى الارض من فيض أجفانى  
وذق يافؤادى كل يوم وليلة مرارة أشواق ولوعة أشجان  
إلى أن أرى وجه ابن تيمية الذى به الله من أهل الضلالة نجانى  
ومن لى بأن ألقاه ، والموت قد أتى فغيبه فى التراب عن كل انسان  
فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه ويالهف إخوان عليه وجيران  
يحق العين لا ترجى لقاءه إلى الحشر أن تهل بدمعها القانى  
لقد عم أهل الأرض رزء مصابه ولم ينج فيهم منه قاص ولادانى  
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة ونور ، وإشراق ، وروح وربحان

وما كان إلا آية في زمانه  
 إمام هدى ، يدعو إلى دين ربه  
 فذهبه : ما جاء عن خير مرسل  
 أتى بعلوم حيرت كل واصف  
 فكتم مبطل وافاه يبغى جداله  
 ويكشف عنه شبهة بعد شبهة  
 فيصبح عن تلك المقالة معرضا  
 يغار على الاسلام من كل بدعة  
 وفي الله لم تأخذه لومة لائم  
 ولم ينتقم في الدهر يوما لنفسه  
 وأما سخاء الكف فالبحر دونه  
 ولو وزوا أهل الشجاعة كلهم  
 فمن جاهد الأعداء في الدين ليلة؟  
 ومن قال للناس : اثبتوا يوم شقحب؟  
 فمن خشى الرحمن بالغيب واتقى  
 وماضره إن طال في السجن مكثه  
 منيباً إلى مولاه ، يقطع وقته  
 ولم يك مشغوفا بحب رياسته  
 وفي كل علم حازليس له ثاب  
 دعاء نصوح مشفق غير خوان  
 وأصحابه ، والتابعين باحسان  
 على أنه يهدي بها كل حيران  
 فانصفه في البحث من غير عدوان  
 إلى أن يبين الحق أحسن تبيان  
 ولو كان من أحبار سوء ورهبان  
 وما زال منها هادما كل بنيان  
 ولم يخش مخلوقا من الانس والجان  
 ولكنه يؤذى فيعفو عن الجاني  
 ولم يك في بذل العطايا بمان  
 بهرجح الشجعان في كل ميزان  
 ومن سل سيف العزم في وجه غازان؟  
 فان الاعادى في انهزام وخذلان  
 إله البرايا ، خانه كل سلطان  
 إذا كان في نسك وطاعة رحن  
 بنقل أحاديث ، وتفسير قرآن  
 ولا شد بغلات ، ولا حسن غلمان

وما كان مشغولا بجاه ومنصب  
ولكن بعلم نافع وعبادة  
وفى موته قد كان للناس عبرة  
إذ انتشروا مثل الجراد ، وكاد أن  
وسار على أعناقهم نحو قبره  
إلى الذهب الباقي دعاه إليه  
دعاه إلى جنات عدن وطيبها  
فنسأل رب العرش يجمع شملنا  
ويجبرنا بعد انكسار قلوبنا  
ولا رفع بنيان ولا غرس بستان  
وزهد ، وإخلاص ، وصبر وإيمان  
لما شاهدوا من غير زور وبهتان  
تزيع عقول من رجال ونسوان  
يجاور مهلى ، ذا امتنان وغفران  
فذاك له خير من الخزف الفانى  
ومنه فيها بحور وولدان  
به فى جنان الخلد من بعد حرمان  
ويروى برؤيا وجهه كل ظمآن

تمت والله الحمد . وهى خمسة وثلاثون بيتا

\*\*\*

للشيخ الامام المحدث ، الفاضل ، الأديب البارع ، صفى الدين  
عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلى ، مدرس المدرسة البشيرية  
ببغداد .

يقول : قال العبد الفقير : عبد المؤمن ، بن عبد الحق ، حين بلغه  
وفاة الشيخ الامام العالم ، بقية العلماء المجتهدين ، تقى الدين أحمد بن  
تيمية الحرانى ، رحمه الله ورضى عنه ، وبوأه الجنة ، بمنه وكرمه آمين :



طبعت مشوى يا خاتم العلماء في مقام الزلفى ، مع الأتقياء  
أولياء الرحمن والسادة الغر ، الهداة ، الأئمة ، الصلحاء  
ويح الموت ، كم طوى بك من علم غزير ، وفطنة وذكاء  
وبيان يشفى القلوب من الغدى ، ويجلو عنها صدى الغماء  
أين تلك العلوم والمنطق الصائب عند السؤال والافتاء ؟  
أين ذاك الخلق الجميل وحسن البشر للزائرين عند اللقاء ؟  
رمدت مقلة الفضائل مذمت ، وقرت عيون أهل الشقاء  
حين لا عالم يرد الذى قالوا ، وما تمقوه للاغواء  
من ضلال أهل فلسفة اليوم نان والاعتزال ، والارجاء  
وذوى الرفض من يدينون بالطعن على الصالحين ، والإزراء  
من حل الشكوك بعدك والمردود من شبهة ، وقول هراء ؟  
من لتبيين مشكل قصرت عنه عقول لما به من خفاء ؟  
من لقمع الخصم المجادل في الدين عنادا من ملة عوجاء ؟  
من ترى للغريب بعدك يلقاه بوجه طلق ، وفضل حياء ؟  
ضاع من بعدك الغريب فما يلقى معينا له على اللاأواء  
أيما عالم نعاه لنا الناعى وحبر قد صين في الغبراء ؟  
أى حبر قد عيضته المنايا فى رجا حفرة من الأرجاء  
أعلم الناس كلهم بكتاب الله ، جل اسمه بغير مرأ

بمعانيه والعلوم التي فيه ، وأدرى بالسنة الغراء  
من أحاديث سيد الرسل يرويها كبار الأئمة ، النبلاء  
من صحيح ومن سقيم وأخبار الرواة الثقات والضعفاء  
وبآثار صحبه وفتاوى من أتى بعدهم من العلماء  
وباجماعهم وما اختلفوا فيه من الحكم سادة الفقهاء  
حاله ، إن نظرت فيه ، تجد مثل أحوال سادة الأولياء  
قانع النفس بالدنى من العيش ، غنيا ، يعد في الفقراء  
مؤثر بالذنى لديه لعافيه على نفسه بغير رياء  
ورع طاهر ، ونسك وإخبات ، وشكر في شدة ورع  
والتقى والعفاف ، والزهد في الدنيا حلاه ، والصبر عند البلاء  
لم يزل جاهدا يجاهد في الله قبيل الضلال والأهواء  
بجنان ثبت ، وجأش قوى وفؤاد راس لدى الهيجاء  
يزع الخصم بالجواب عن الشك ويدلى بالحجة البيضاء  
صابراً نفسه إلى أن قضى إلا بما قد قضى على الأنبياء  
وقد أضمرؤا له سوء قوم للذى حملوا من البغضاء  
حسداً منهم لما خصه إلا به من ملابس الفضلاء  
فاستحلوا منه الذى حرم إلا لما أضمرؤا من الشحناء  
حرفوا قوله كما حرف القوم نصوص القرآن للاغواء

ورموه بكل قول شنيع بين الكذب ظاهر الافتراء  
 أعجزوا عنه مرة بعد أخرى فاستعانوا عليه بالاغراء  
 هل يبارى الغضب الصقيل كهام صدىء في ضرابه ومضاء  
 أم تجارى الحمير فى حلبة السب ق جوادا مضر الأحشاء  
 لم ينالوا منه الذى أملوه بل رمى الله جمعهم بالقضاء  
 ياتقى الدين الذى صدقت فيه ه ، وحقت مخايل الآباء  
 عند تلقيبه كذلك ، قد كنت وسميت أحسن الأسماء  
 بابن تيمية لقد فزت فى الدين يا بذكر باق ، وحسن ثناء  
 وكذا أنت يعلم الله فى الأخ رى مع الصالحين والشهداء  
 بوئت روحك الشريفة فى الجنة ة أعلا منازل السعداء  
 وسقى قبرك الرضا وأنا ك الروح فى كل بكرة وعشاء  
 وتوالت عليك من نعم الله ه ورضوانه صنوف العطاء  
 آخرها وعدتها ثمانية وأربعون بيتا

\*\*\*

للشيخ زين الدين ، بن الشيخ حسام الدين ، أقش الشبلى ، يرثى  
 الشيخ تقى الدين بن تيمية . رضى الله عنه  
 لو كان يقنعنى عليك بكائى لجرت سوابق عبرتى بدماء

وكنت في يوم انتقالك للبلى  
 لكن أصبر عنك تقسى كاتماً  
 أترى علمت وأنت أفضل عالم ،  
 أسفى على تلك الديانة والتقوى  
 أسفى عليك نقي الكرى عن ناظرى  
 أسفى عليك ، وما التأسف نافع  
 غاضت بحار العلم بعدك ، والورى  
 بأبى ، وحيداً مات منفرداً عن الـ  
 بحر العلوم ، حوى الفضائل كلها  
 متفرداً فى كل علم دونه  
 بالفضل قد شهدت له أعداؤه  
 شيخ العلوم ، وتابع السلف ، الذى  
 وإمام أهل الأرض ، والمبدى لهم  
 ذوالصالحات ، وذوالشجاعة والتقوى  
 من كان لا يثنى لطالب جوده  
 يجفوا المضاجع راكعاً أو ساجداً  
 صخرأ نذرت على بكى الخنساء (١)  
 للحزن ، خوف شدة الأعداء  
 ما عندنا من لوعة وبلاء ؟  
 والجود آذن قربه بقاء  
 من فرط أحزاني وفرط عنائي  
 سبباً عليك مقلقل الأحشاء  
 فى غفلة ، يا سيد العلماء  
 أحباب ، كان بقية الصالحاء  
 وسما سمو كواكب الجوزاء  
 لعلو رتبته ذرى العلياء  
 وبه سما فضلاً على النظراء  
 تبعوا الرسول بشدة ورخاء  
 سنن الهدى عن صحة الأنبياء  
 والجود ، والبركات ، والآلاء  
 حتى يباغته السكك رجاء  
 أو ذاكرأ لله فى الظللاء

(١) « صخر » اخو الخنساء رثته رثاء لم تسبق إليه ، حتى ضربت

الأمثال برثائها

كالصبر في حنك العدو مذاقه وألذ من شهد إلى الجلساء  
 المانح ، البحر ، الامام ، العالم ، الخير ، الهام ، وحجة الفقهاء  
 الواهب المال الجزيل وغامر الضيف النزيل بوافر النعماء  
 المحسن الكافي السؤال وحاسم السداء العضال ، وكشف الغم  
 صدر المدارس والمجالس أحمد المحمود في عود ، وفي إبداء  
 وإذا المسائل في الفتاوى أخت أهل العلوم وحجبت بخفاء  
 وأنت تقي الدين أظهر ما اختفى منها ، وأبداه لعين الرائي  
 فترى سهاها في الخفاء بكشفه كالشمس مشرقة بصحوسماء  
 ويرى البصير الحق فيما قاله والحق لا يخفى على البصراء  
 سجنوه خشية أن يرى متبذلاً صونا ، فنال منازل الشهداء  
 للمؤمنين له ، وعند عدوهم ذاك الكسير ، وعزة الخلفاء  
 في المحدثين أتى بفضل باهر ومناقب أربت على القدماء  
 أى خاشع أى شاكر أى ذاكر لله فى الاصباح والامساء  
 أى زاهد ، أى حامد ، أى باذل للمسلمين نصائح النصحاء  
 خير الصفات صفاته ، وثناؤه بالجود بين الناس خير ثناء  
 ويظل يسأل جوده عن سائل ذى فاقة ليبره بعباء  
 وتراه يشرق وجهه مهللاً للسائلين له شروق ذكاء<sup>(١)</sup>

(١) ذكاء : الشمس

يبادى التيسم عند بذل نواله  
 أربي على فضل البرامكة الأولى  
 من جاء يسأله ويشاهد عنده  
 يربي على سح السحاب جوده  
 والجود يرفع أهله بين الوري  
 وله إذا اصطدم القتال شجاعة  
 سل عنه غازانا، وسل أمراءه  
 والمغل قد ملكوا البلاد وأهلها  
 وكذا بشقرب، التناز قد اقبلو  
 والمسلمون على النزول، قد أجمعوا  
 من حرض السلطان والأمرا على  
 قال: اثبتوا، فلكم دليل النصر قد  
 وآتى جبال الكسروان. فأذنت  
 وله بكل مدينة ذكر أتى  
 سير له نظمها، سارت بها الر  
 وإذا إمام المسلمين وشيخهم  
 أدعو إله العرش يجمع بيننا  
 لطفنا إلى الفقراء والضعفاء  
 وطوت مكارمه حديث الطائي  
 بذل الملوك، وعيشة الفقراء  
 وكذا تكون مواهب الكرماء  
 أبدا، ويهوى البخل بالبخلاء  
 قامت بنصر الدين في الهيحاء  
 لما أتوا بطلائع الأسراء  
 كم فك من عان بغير عناء؟  
 كالطم في أمم بغير مرء  
 والمغل عنهم نظرة للرأى  
 ترك النزول، سواء عند مساء؟  
 وافى. فكان النصر عند لقاء  
 بدمارها من بعد طول بقاء  
 كالمسك فهو معطر الأرجاء  
 كبان، دون قصائد الشعراء  
 ولي، وعز على عزاء عزائي  
 في جنة الفردوس، فهو رجائي



وعليه من رب السماء تحية تبقى له أبدا بغير فناء  
تمت وهي اثنان وخمسون بيتا .

وله أخرى على قافية الفاف نحو خمسة عشر بيتا تقدم ذكرها :  
قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقد رثى الشيخ رضى الله عنه بقصائد  
كثيرة غير هذه . وفيما ذكرنا كفاية

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مرثاة في شيخ الاسلام العالم الرباني أحمد بن تيمية الحراني ، للشيخ  
شمس الدين الحنبلي ، من أهل الصالحية ومولده قريبا من سنة إحدى  
وسبعمائة بسفح قاسيون :

خطب جسيم هائل جلل	قد عزمته العزا ، وابيضت المقل
والوقت قبض ، فلا صبر ، ولا جلد	أتى وصرف الليالي سابق عجل
والأمر يعظم ، والأفكار حائرة	وقد أحاطت بنا الأهوال والوجل
كأنما الشمس في جو السما كسفت	وضوؤها بائن عنها وعن فصل
والجو في مآتم ، كالليل منظره	كأن جنح الدجى في الليل منسبل
فدمعتي بدمي ، يا سعد ، قدمزجت	كأنما في فؤادي النار تشتعل
أمسى ، وأصبح والأحزان تكادني	وحسرتي بدوام الدهر تتصل
قد زادني أسنى ، واشتد بي جزعي	أيقنت أن حياتي حثا الأجل

وارحمنا لقلوب قطرت أسفا  
وساءها فقد من كان الأنيس لها  
يا بأكيا بطول الليل منتحبا  
زد في البكاء بدمع هاتل همل  
واعلم بأن السما والأرض باكية  
هذا الامام التقى السيد الأئمة اله  
حبر ، إمام تقى ، زاهد ، ورع  
العلم ، والحلم والآداب : شيمته  
مادا يقول فصيح في مناقبه  
لقد حبي الله أيام الزمان به  
قد كان كالشمس للدنيا إذا طلعت  
نال الهداية في مبدا هدايته  
قد كان معتصما بالله منتصرا  
لله در أبي العباس من رجل  
تالله لا عاذل بالعدل يعداني  
ياسيد العصر كم خلقت من كبد  
ليبيكين عليك العلم من أسف  
ليبيكينك أقوام إذا وفدوا  
لقد عراها مصاب حادث جلل  
وخاب عند رجاها القصد والأمل  
لا يعترية على طول البكا ملل  
عسي بدمعك خرو الوجه ينغسل  
على ابن تيمية . والسهل والجبل  
ارع ، اللودعي الجامع ، الوجل  
ليث همام ، حصور ، أوحد ، بطل  
واللطف والجود والإحسان مكتمل  
والزهد منهجه ، والعلم والعمل ؟  
علومه أبحر ، والخلق تنهل  
وثيوم ، لا عوض عنه ، ولا بدل  
وفي نهايته الارشاد والجل  
ووائقا ، مكتفي بالله ، متكل  
ما إن يرى في الرايا مثله رجل  
عنه ، وحاشاى أن يلهيني العذل  
حرى عليك ، وعين دمعها هطل ؟  
ليبيكين عليك الفقه والجدل  
من البلاد بعلم أمره شكل

لتبكينك دار كنت تسكنها  
 فازوا بعلمك أقوام ، وقد سعدوا  
 وشاع ذكرك في الدنيا بأجمعها  
 دانت لعلمك أهل الأرض قاطبة  
 شبهت علمك بالبحر المحيط . كما  
 وإن تكن في مجال الدرس كنت به  
 تروى الخلاف وتأتى بالأصول وعن  
 وذكر علمك في الآفاق منتشر  
 كم قد أمتك فتاوى لا عداد لها  
 وكم أجبت النصارى عن مسائلهم  
 وكم قعقت ، فدتك النفس ، من بدع  
 وكم تواضعت عن علم ومعرفة  
 لقد رويت من الآثار أوضحها  
 من ذا يضاھيك فيما قد خصصت به  
 قد كنت أعجوبة في الدهر مدهشة  
 وكان يومك يوما آمنا عجبا  
 والخلق لا يهتدوا من عظم ما زدحموا  
 يارحمة نزلت في الأرض وانتشرت  
 وتشتكى فقدك الاسحار والأصل  
 إذ عن جناب حماك الرحب ما عدلوا  
 فأنت في الناس مضروب بك المثل  
 فأنت مفتى الورى في كل ما جهلوا  
 بحر المحيط بكل الأرض مشتمل  
 ليثا تصول ، ومن أفاضلك الأسئل  
 أهل الحديث بما قالوا وما نقلوا  
 على ممر الليالى ، ليس ينفصل  
 أجبت أربابها عن كل ما سألوا ؟  
 بمخرقات علوم عنك تنتقل ؟  
 وكنت فيها بأمر الله تستطل ؟  
 تقى ، وقدرك بالجوزاء منتعل  
 كما روتها الثقات السادة الأول  
 وبحر علمك منه العارض الهطل ؟  
 وكان درسك فيه العقل يتذهل  
 والناس للنعش بالهامات قد حملوا  
 فكم دموع تراها وهى تنهمل  
 على جميع الذى فى تره نزلوا

سقت ثراك الغواذى صيب وابلها  
كما حببت بدار الخلد منزلة  
وتاجك النور والنعلان من ذهب  
قل للذى سره موت الإمام: لقد  
أما علمت بأن الموت ما سلمت  
أين الملوك وأبناء الملوك؟ لقد  
وعن قليل ترى الدنيا وقد رحلت  
رئيس يغنى الفتى يوم اللقاء ندم  
وإنما المتقى ترجى النجاة له  
ولم يزل فى قيام الدين مجتهداً  
قل للأولى كتبوا علياه واجتهدوا:  
والله، لست بمحصى مدحه أبداً  
عليه منى سلام الله ما صدحت

كما ضريحك من تحت الثرى خضل  
حلاتها . وعليك الحلى والحلل  
وهكذا عن فتى شيبان قد نقلوا  
كفئك جهلك ، يا من غره الأمل  
منه ملوك بنى الدنيا ولا الرسل  
صالت عليهم عرووف الدهر فارتحلوا  
فليس يغنى ولايات ولا دول  
إذ أثقلت ظهره الأوزار والزلل  
لأنه خائف من ربه وجل  
وإن خلا فى الدياجى فهو مبتهل  
إن الذى علموا بغض الذى جهلوا  
ولو أتيت بما ضاقت به السبل  
ورق على فنن ، فى نوحها زجل

تمت وهى سبعة وخمسون بيتاً

\*\*\*

[ بهامش الأصل : كذا وجدت فى الأصل . لم تعز هذه القصيدة ]  
يا قوم تو بوا إلى الرحمن وابتهلوا فقد قضى رجل ما مثله رجل

يا قوم واستغفروا الرحمن خالقنا  
 روى صحاح أحاديث مجمعة  
 والعلم والحلم والزهد المسكين ومن  
 كم بدعة قد محاها ثم أبطلها  
 كم قام في أمر دين الله مجتهداً  
 كم نار شر طفاها وهو مبتسم  
 كم أظهر الحق لما قل ناصره  
 كم طوق الناس في أعناقهم مننا  
 قله كان ذا مورد عذب لقاصده  
 من قبله جا إلى غازان مبتسماً  
 حتى إذا جاءه والخلق تنظره  
 فقال جهرأ له ، والخلق تسمعه :  
 وقال له : الشام ، يا محمود دار تقى

قد غار بحر علوم موجه العمل  
 وعنه أخبار رسل الله تنتقل <sup>(١)</sup>  
 ما في مقالاته ريب ولا زلل  
 وكم أزاح لنا من منكر عملوا  
 ولم يكن عنده في أمره ملل  
 [لم يعرأين] <sup>(٢)</sup> ولا خوف ولا وجل ؟  
 وكم أبان لهم أمرا له جهلوا ؟  
 ما ليس يحمله سهل ولا جبل ؟  
 والناس تصدر منه ثم يرتحل  
 على الجواد وكل الخلق قد نزلوا  
 قام الجميع ولم يأخذهمو كسل  
 هل أنت محمود بالإسلام متصل ؟  
 ومعتل الأنبياء ، عنها فارتحلوا <sup>(٣)</sup>

(١ و ٢) في الأصول التي بين أيدينا لهذين البيتين خلل عظيم لا يستقيم معه الوزن ، فأضلحناهما بقدر الامكان ، وزدنا في ثانيهما ما بين القوسين (٣) ارتكب في هذا البيت ضرورة حذف ألف « ها » التي هي ضمير المؤنث ويدون ذلك لا يستقيم وزن البيت .

يكفيكم ما رأيتم من جنازته      ونعشه فوق روس الخلق ينتفل  
 إن كان فوق رؤوس حملوه فقد      أولاهم نعماً ما ليس تنحمل  
 قد كنت أرجوه لى ذخراً وآمله      وأرتجيه إذا ضاقت بى الحيل  
 قد كان ذا رحل للناس كلهم      يا أيها الناس كفوا قد قضى الأجل  
 تمت وهى ثمانية عشر بيتاً .

\* \* \*

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصغر العباد ، عبد الله بن حامد : إلى الشيخ الامام العالم العامل  
 قدوة الأفاضل والأماثل ، مجمل المجالس والمحافل ، المحامى عن دين الله  
 والذاب عن سنة رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم والمعتصم بمجبل الله  
 الشيخ المبجل المكرم ، أبى عبد الله ، أسبغ الله عليه نعمه ، وأيد  
 بأصابه الصواب لسانه وقلمه ، وجمع له بين السعادتين ، ورفع درجته فى  
 الدارين ، بمنه ورحمته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(أما بعد) فانى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو : ثم وافانى  
 كتابك ، وأنا اليك بالأشواق ، ولم أزل مسائلًا ومستخبرًا ، الصادر  
 والوارد ، عن الأنباء ، طاب مسموعها . وسر ما يسر منها .



وما تأخر كتابي عنك هذه المدة ، مللاً ولا خلا بالمودة، ولا تهاونا  
بحقوق الاخاء ، حاشى الله أن يشوب الاخوة في الله جفاء.

ولا أزال أتعلم بعد وفاة الشيخ الإمام ، ( إمام الدنيا ) ، رضى الله  
عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته واخوانه ، وأقاربه وعشيرته ،  
والخصيصين به ، لما في نفسى من المحبة الضرورية التى لا يدفعها شيء ،  
على الخصوص ، لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته ، التى ترزّل أركان  
المبطلين ، ولا يثبت فى ميادينها سفسطة المتفلسفين ، ولا يقف فى حلقاتها  
أقدام المبتدعين من المتكلمين .

وكننت قبل وقوفى على مباحث ( إمام الدنيا ) رحمه الله ، قد طالعت  
مصنفات المتقدمين ، ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة  
ونظار أهل الاسلام . فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات ،  
التي يأنف المسلم الضعيف فى الاسلام ، أن يخطر بها بباله ، فضلا عن القوى  
فى الدين . فكان يتعب قلبى ويحزنى ما يصير إليه الأعظم من المقالات  
السخيفة . والآراء الضعيفة التى لا يعتقد جوازها آحاد العامة

وكننت أقنص على السنة المحضة فى مصنفات المتكلمين من أصحاب  
الامام أحمد رحمه الله على الخصوص ، لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات  
إمامهم فى أصول العقائد ، فلا أجد عندهم ما يكفى<sup>(١)</sup>

---

(١) نسخة « يشفى » اه من هامش الأصل

وكنت أراهم يتناقضون ، إذ يؤصلون أصولا يبرز فيها ضدهما يعتقدونه  
ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم . فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة  
والأشعرية ، وحنابلة بغداد ، وكرامية خراسان ، أرى أن إجماع هؤلاء  
المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي ، فيسوّى  
ذلك ، وأظن أحزن حزنا لا يعلم كنهه إلا الله ، حتى قاسيت من مكابدة  
هذه الأمور شيئا عظيما ، لا أستطيع شرح أسره .

وكنت ألتجىء إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع إليه ، وأهرب إلى  
ظواهر النصوص ، وألقى المعقولات المتباينة ، والتأويلات المصنوعة لنحو  
الفطرة عن قبولها .

ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل ، غير متمجسة  
على التصريح بالجاهرة قولاً وتصميماً للعقد عليه ، حيث لا أراه مأثوراً عن  
الأئمة وقدماء السلف . إلى أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ  
الامام (امام الدنيا) رحمه الله ، في يدي ، قبيل واقعة الأخيرة ، بقليل  
فوجدت ما بهرني ، من موافقة فطرتي لما فيه ، وعزو الحق إلى أئمة السنة  
وسلف الأمة ، مع مطابقة المعقول والمنقول ، فبهت لذلك ، سرورا بالحق  
وفرحا بوجود الضالة التي ليس تفقدها عوض . فصارت محبة هذا الرجل  
رحمه الله ، محبة ضرورية ، يقصر عن شرح أقلها العبارة . ولو أطنبت

ولما عزمت على المهاجرة إلى لقيه ، وصلني خبر اعتقاله ، وأصابني لذلك المقيم المقعد .

ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبع مائة صممت العزم على السفر إلى دمشق ، لأتوصل إلى ملاقاته ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه . فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع إلى العراق قبيل وصول الكوفة ، فوجدت عليه ما لا يجده الأخ على شقيقه ، واستغفر الله ، بل ولا الوالد الثا كل على ولده ، وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والأخوان كما وجدته عليه ، رحمه الله تعالى ، ولا تخيلته قط في نفسي ، ولا تمثلته في قلبي إلا ويتجدد لي حزن ، قديمه كأنه محدثه . والله ما كتبتهما إلا وأدمعني تتساقط عند ذكره ، أسفا على فراقه ، وعدم ملاقاته ، فانا لله وانا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ رحمة الله تعالى عليه ، إلا ليتحقق بعدى عن الملك الموهوم .

لكن لما سبق الوعد الكريم منكم ، بانفاذ فهرست مصنفات الشيخ رضى الله عنه ، وتأخر ذلك عني ، اعتقدت أن الاضراب عن ذلك نوع تقية ، أو لعذر لا يسعني السؤال عنه ، فسكت عن الطلب ، خشية أن يلحق أحداً ضرر ، والعياذ بالله ، بسببي ، لما كان قد اشتهر

من تلك الأحوال ، فإن أنعمتم بشيء من مصنفات الشيخ ، رحمه الله تعالى ، كانت لكم الحسنة عند الله تعالى عليه بذلك . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى ، وقد يقع في كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر ، مالا يخفى على طالب الحق . لحرص وعدم هوى .

ولأزال أتعجب من المنتسبين إلى حب الانصاف في البحث ، المزرين على أهل التقليد المعقولات التي يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها ، كيف يباينون ما أوضحه من الحق ، وكشف عن قناعه وقد كان الواجب على الطلبة ، شد الرحال إليه من الآفاق ، ليروا العجب . وما أشبه حال المبائنين له ، من المنتسبين إلى العلم . الطالبين للحق الصريح الذي أعياهم وجدانه - بحال قوم ذبحهم العطش والظما في بعض المفازات ، فحين أشرفوا على التلف ، لمع لهم شط كالفرات ، أو دجلة أو كالنيل ، فعند معاينتهم لذلك ، اعتقدوه سرايا ، لا شرابا ، فتولوا عنه مدبرين ، فتقطعت أعناقهم عطشا وظما ، فالحكم لله العلي الكبير . وما أرسلنا الكتب المقابلة من إحدى الطرفين ، ففيه تعسف . وتمهدون العذر في الاطناب . فهذا الذي ذكرته من حال مع الشيخ كالقطر من بحر . وإن أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه ، كبيرهم وصغيرهم ، كان ذلك مضافا إلى سابق إنعامكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأنتم في أمان الله ورعايته  
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

\*\*\*

قال الشيخ الامام زين الدين ، أبو حفص ، عمر بن المظفر بن عمر  
ابن محمد بن أبي الفوارس ، بن علي بن الوردي ، الشافعي رضي الله عنه  
يرثي شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه :  
عنا في عرضه قوم سلاط لهم من نثر جوهره التقاط  
تقي الدين أحمد خير خبر خروق العضلات به تخاط  
توفي وهو مسجون فريد وليس له إلى الدنيا انبساط  
وأن حضره حين قضى لألقوا ملائكة النعيم به أحاطوا  
قضى نجبا وليس له قرين ولا لنظيره أف القمط  
فتى في علمه أضحي فريدا وحل المشكلات به يناط  
وكان إلى التقي يدعو البرايا وينهى فرقة فسقوا ولاطوا  
وكان يخاف ابليس سطاها بوعظ للقلوب هو السياط  
فيا لله ما قد ضم لحد وبالله ما غطى البلاط  
هو حسدوه لما ينالوا مناقبه فقد فسقوا وشاطوا  
وكانوا عن طرائقه كسالى ولكن في أذاه لهم نشاط  
وحبس الدر في الأصداف نخر وعند الشيخ بالسجن اغتباط

بآل الهاشمي اله اقتداء  
 بنو تيممة كانوا ، فبانوا  
 ولكن يا ندامة حابسيه  
 ويا فرح اليهود بما فعلتم  
 ألم يك فيكمو رجل رشيد  
 إمام لا ولاية كان يرجو  
 ولا جاراكمو في كسب مال  
 فقيم سجنتموه وغضتموه  
 وسجن الشيخ لايرضاه مثلي  
 أما والله لولا كتم سرى  
 وكنت أقول ما عندي ، ولكن  
 فما أحد إلى الانصاف يدعو  
 سيظهر قصدكم يا حابسيه  
 فهاهو مات عنكم ، واسترحتم  
 وحلوا واعقدوا من غير رد  
 فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا  
 نجوم العلم أدركها انهباط  
 فشك الشرك كان به يماط  
 فاز، الضد يعجبه الخباط  
 يرى سجن الامام فيستشاط  
 ولا وقف عليه ولا رباط  
 ولم يعهد له بكم اختلاط  
 أما لجزا أذيته اشتراط؟  
 فقيه لقدر مثلكم انحطاط  
 وخوف الشر لانحل الرباط  
 بأهل العلم ما حسن اشتطاط  
 وكل في هواه له انخراط  
 ونيتكم إذا نصب الصراط  
 فعاطوا ما أردتم أن تعاطوا  
 عليكم وانطوى ذاك البساط

تمت والحمد لله رب العالمين

مرثية في الشيخ تقى الدين أبي العباس ، أحمد بن تيممة قدس الله روحه



لما نعى الشيخ الامام المتقى  
فاضت محارم قلتي ، يا حسرتي  
زفرت أشواقى أكاد لحرها  
وتركت من بعد التقى بلوعة  
متهتك الأستار ولهان الحشا  
حزنى عليه مدى الزمان تأسفا  
ياقلب ذب أسفا عليه وحسرة  
يامهجتى ذوبى عليه صبا  
يامقلتي سحى بدمع هاطل  
ياليتنى يوم الفراق حضرته  
وأودع الوجه المليح بنظرة  
ما كان أهنا عيشنا بحياته  
لو كان يفدى ما بخلت بمهجتى  
ياأهله ، لا تجزعوا لفراقه  
فله جنان الخلد يسكنها غداً  
هو شيخنا ، ورئيسنا ، وإمامنا  
إن قلت طود العلم فهو حقيقة  
يفتى بجمع مذاهب عن أربع

نجل رئيس فاضل جبر تقى  
لفراقه فرقا ، وزاد تناقى  
تنقض منى مهجتى بتمحرقى  
ومدامعى من بعده لا ترتقى  
أبكى الديار عليه حتى نالتقى  
يامقلتي سحى دما وترقرقى  
فقليل مالاقيت شيب مفترقى  
وتقطعى لفراقه وتمزقى  
متحدر سح السحاب المطبق  
حتى أجدد ماضى من موثقى  
يحيا بها قلب الكئيب المشفق  
ياليت يوم فراقه لم يخاق  
فى حقه ، ولكنت أول من يقى  
ولأجل كأس من حمام قدسقى  
وعلى مناصبها العلية يرتقى  
لله در الطاهر الخبر . التقى  
فاسمع بهذا القول فيه وحقق  
لكنه فى الفضل آخر من بقى

هو في القراءة أوحده في عصره      هو في الأصول مفيدنا والمنطقي  
 شيخ الطريقة والحقيقة عارف      ورث الامامة والعلوم ، فحقق  
 متصدق ، متفضل ، متطول      لله ماأجزاه من متصدق  
 قد كان فينا وابلا نحيا به      وثناؤه فينا كمسك معبق  
 قد كان فينا جنة أنهارها      تجري لنا من علمه المتدفق  
 قد كان فينا سيداً من سيد      فاقطع بهذا القول فيه وصدق  
 ياقبره يهنيك ماقد حزنه      من زاهد بر زكي متقى  
 قد صرت روضة جنة بحلولة      فلك الفخار بسيد وموفق  
 فالله يرحمه ويحبر كسره      ويغيثنا من فضله المغدودق  
 واجبر بعفوك ناظما لقريضها      حسناً أعنه تفضلا وتصدق  
 ثم الصلاة على النبي محمد      خير الأنام ومن اعرشك يرتقى  
 والحق به الآل الكرام وصحبه      بكرامة فلا أنت أكرم ملحق  
 تمت والحمد لله رب العالمين

\*\*\*

مرثية في شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية من نظم الشيخ  
 شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، رحمهما الله تعالى ورضى عنهما :  
 أهكذا في الدياجي يحجب القمر      ويحبس النور حتى يذهب المطر  
 أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن      منافع الأرض أحيانا فتستتر ؟

أهكذا الدهر ليلا كله أبدا  
 أهكذا السيف لا تمضي مضاربه  
 أهكذا القوس ترمى بالعراء ، وما  
 أهكذا يترك البحر الخضم ولا  
 أهكذا بتقى الدين قد عبثت  
 الى ابن تيمية ترمى سهام أذى  
 بدء السوابق ممتد العبادة لا  
 ولم يكن مثله بعد الصحابة في  
 طريقه كان يمشى قبل مشيته  
 فرد المذاهب في أقوال أربعة  
 لما بنوا قبله عليا مذاهبهم  
 مثل الأئمة قد أحيوا زمامهم  
 إن يرفعون جميعا رفع مبتدأ  
 أمثله بينكم يلقى بمضيعة  
 يكون ، وهو أمانى لغيركم  
 والله ، لو أنه في غير أرضكم  
 مثل ابن تيمية ينسى بمجلسه  
 مثل ابن تيمية ترضى حواسده  
 فليس يعرف في أوقاته سحر؟  
 والسيوف في الفتك ما في عزمه خور؟  
 تصمى الرمايا ، وما في باعها قصر؟  
 يلوى عليه ، وفي أصدافه الدرر؟  
 أيدي العدى ، وتعدي نحوه الضرر؟  
 من الأنام ، ويدي الناب والظفر  
 يناله ملل فيها ولا ضجر  
 علم عظيم وزهد ماله خطر  
 بها أبو بكر الصديق ، أو عمر  
 جاءوا على أثر السباق وابتدروا  
 بنى وعمر منها مثل ما عمروا  
 كأنه كان فيهم وهو منتظر  
 فحقه الرفع أيضا ، إنه خير  
 حتى يطيح له عمدا دم هدر  
 تنوبه منكمو الأحداث والغير؟  
 لكان منكم على أبوابه زمر؟  
 حتى يموت ، ولم يكحل به بصر  
 بحبسه ، أولكم في حبسه عذر؟

مثل ابن تيمية في السجن معتقل  
 مثل ابن تيمية يرمى بكل أذى  
 مثل ابن تيمية تذوى خائله  
 مثل ابن تيمية شمس تغيب سدى  
 مثل ابن تيمية يمضى ، وما عبت  
 مثل ابن تيمية يمضى وما نهلت  
 ولا تجارى له خيل مسومة  
 ولا تحف به الأبطال دائرة  
 ولا تعبس حرب في مواقفه  
 حتى يقوم هذا الدين من ميل  
 بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا  
 تأس بالأنبياء الطهر ، كم بلغت  
 في يوسف ، في دخول السجن منقبة  
 ما أهملوا أبداً بل أهملوا لدى  
 أيذهب المنهل الصافي وما تقعت  
 مضى حميدا ، ولم يعلق به وضر  
 طود من الحلم لا يرقى له فنن  
 بحر من العلم ، قد فاضت بقيته  
 والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر  
 وليس يجلى قذى منه ، ولا نظر  
 وليس يلقط من أفنائه الزهر  
 وما تروق بها الآصال والبكر  
 بمسكه العطر الأردن والطرر  
 له سيوف ولا خطية سمر  
 وجوه فرسانها الأوضح والفرر  
 كأنهم أنجم في وسطها قمر  
 يوما ، ويضحك في أرجائها الظفر  
 ويستقيم على منهاجه البشر  
 يبلى اضطبارهم جهدا ، وهم صبروا  
 فيهم مضرة أقوام ، وكم هجروا  
 لمن يكابد ما يلقى ويصطبر  
 والله يعقب تأييدا وينتصر  
 به الظمأة ، وتبقى الحماة الكدر ؟  
 وكلهم وضر في الناس أو وذر  
 كأنما الطود من أحجاره حجر  
 ففاضت الأبحر العظمى ، وما شعروا

يأليت شعري، هل في الحاسدين له  
 هل فيهم الحديث المصطفى أحد  
 هل فيهم من يضم البحث في نظر  
 هلا جمعتم له من قومكم ملاً  
 قولوا لهم: فال هذا، فابحثوا معه  
 يلقي الأباطيل أسحار لها دهش  
 فليتهم مثل ذاك الرهط من ملاً  
 وليتهم أذعنوا للحق مثلهم  
 ياطالما تقرأ عنه مجانبه  
 هل فيهمو صادع للحق مقوله  
 رمى إلى نحر غازان مواجهة  
 بتلّ راهط، والأعداء قد غلبوا  
 وشق في المرج والأسياف مصلته  
 هذا، وأعداؤه في الدور أشجعهم  
 وبعدها كسروان، والجبال، وقد  
 واستحصد القوم بالأسياف جهدهم  
 قالوا: قبرناه. قلنا: إن ذاعجب  
 وليس يذهب معنى منه متقد

نظيره في جميع القوم إن ذكروا؟  
 يميز النقد، أو يروى له خبر؟  
 أو مثله من يضم البحث والنظر؟  
 كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا؟  
 قدامنا، وانظروا الجهال إن قدروا  
 فليقف الحق، ما قالوا، وما سحروا  
 حتى يكون لكم في شأنهم عبر  
 فآمنوا كلهم من بعد ما كفروا  
 وليتهم تفعلوا في الضيم أو تفروا  
 أو خائض للوغى، والحرب تستعر؟  
 سهامه من دعاء عون القدر  
 على الشام، وطار الشر والشر  
 طوائف كلها، أو بعضها التتر  
 مثل النساء بظل الباب مستتر  
 أقام أطوادها، والطود منفطر  
 فطالما بطلوا طفوا وما بطريا  
 حقاً، وللكوكب الدرى قد قبروا  
 وإنما تذهب الأجسام والصور

لم يبكه ندما من لا يصب دما  
 لهفى عليك ، أبا العباس ، كم كرم  
 سقى ثراك من الوسمى صيبه  
 ولا يزال له برق يغزله  
 لفقد مثلك ، يا من ماله مثل  
 يا وارثا من علوم الأنبياء نهى  
 يا واحداً لست أستثنى به أحدا  
 يا عالما بنقول الفقه أجمعها  
 يا قانع البدع اللاتى تحببها  
 ومرشد الفرقة الضلال نهجهم  
 ألم تكن للنصارى واليهود معا  
 وكم فتى جاهل غرأ بنت له  
 ما أنكروا منك إلا أنهم جهلوا  
 قالوا بأنك قد أخطأت مسألة  
 غلطت فى الدهر ، أو أخطأت واحدة  
 ومن يكون على التحقيق مجتهدا  
 ألم تكن أحاديث النبي إذا  
 حاشاك ما شبه فيها ، وما شبه

يجرى به وبما يهيم وتنهمر  
 لما قضيت قضى من عمره العمر  
 وزار معنك قطر كله قطر  
 حلو المرافف فى أجفانه حور  
 تأسى الحاريب والآيات والسور  
 أوردت قلبى نارا وقدها الفكر  
 من الأنام ، ولا أبقى ولا أذر  
 أعنك تحفظ زلات كما ذكرها ؟  
 أهل الزمان وأهل البدو والحضر  
 إلى الطريق ، فما حاروا ولا سهروا  
 مجادلا ، وهم فى البحث قد حضروا ؟  
 رشد المقال فزال الجهل والضرر ؟  
 عظيم قدرك ، لىكن ساعد القدر  
 وقد يكون . فها منك تفتقر ؟  
 أما أجدت إصابات فتعذر ؟  
 له الثواب على الحالين ، لا الوزر  
 سئلت تعرف ما تاتى وما تذر  
 كلاما منك لا يبقى له أثر

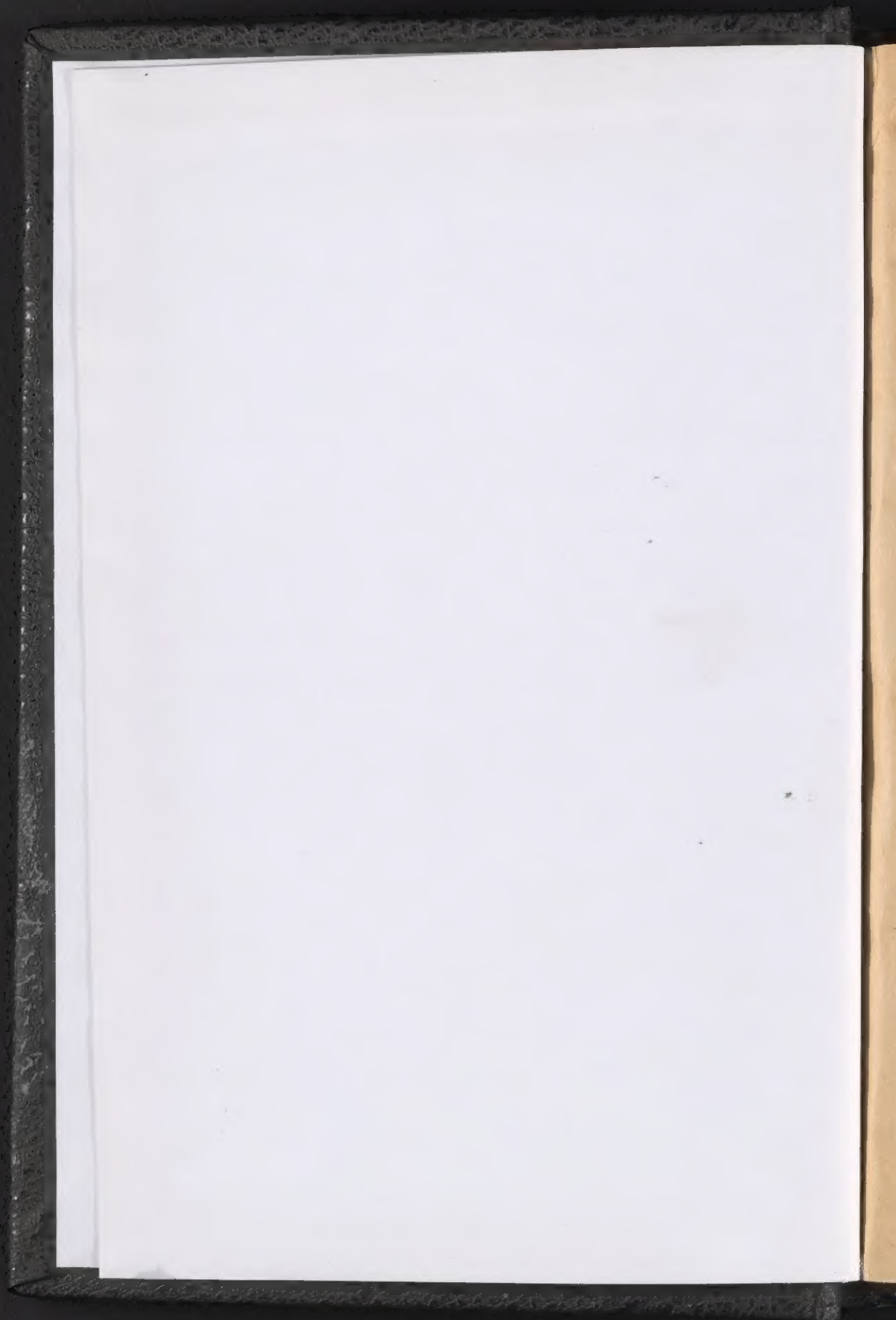


عليك في البحث أن تبدى غوامضه      وما عليك إذا لم تفهم البه  
قدمت لله ما قدمت من عمل      وما عليك بهم ذموك أو شكروا  
هل كان مثلك من يخفى عليه هدى      ومن سمائك تبدو الأنجم الزهر ؟  
وكيف تحذر من شئ تزل به      أنت التقي ، فإذا الخوف والحذر ؟  
تمت والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

\*\*\*

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر ، البعلی الحنبلى ، يمدح  
شيخ الاسلام والمسلمين الإمام أحمد بن تيمية رحمه الله ورضي عنه :  
يا ابن تيمية ، يا أنصح العلماء      يا من لأسرار دين الله قد فهم  
يا آية ظهرت في الكون باهرة      لا زلت في سلك دين الله منتظما  
وكننت واسطة في عقده أبدا      تزيل منه الأذى والفحش والسقما  
جمعت منه الذي قد كان فرقه      قوم رأوه هدى منه ، وكان عمى  
وكننت أحرص خلق الله كلهم      على التألف ، تعطى الفضل والنمما  
ولست خبياً لثيما ، باخلا شرهاً      لكن تقياً ، تقياً ، حيد الكرما  
تغفو عن الجاهل الجانى وترحمه      وتكثر العدل والانصاف للخصما  
ما زلت تغضب في ذات الإله ولم      تكن لنفسك يا ذا الحلم منتقما  
فأنت خير هدى أحيا الاله به      من دينه سننا أماته الغشما

في رأس سبع مئين كنت قد وجبت  
 وكل شيء به جل الوزي هلكوا  
 وكل وصف كال في نظائره  
 كان المبرز في كل العلوم ، وقد  
 وكان حاوي صفات الخير أجمعها  
 لما أراد عداه دحضه دحضوا  
 أضحت عوائده تبدى فوائده  
 فهو التقى ، به أهل التقى ألفوا  
 وهو المحك الذي بان العباد به  
 فإن أردت تعابير العباد به  
 ترى الغوى حزينا ثم متقبضا  
 فحبه نعمة فاز السعيد بها  
 فالحمد لله ، أهل الحمد ، خالقنا  
 عافي القلوب من الأسقام أجمعها  
 كم أفرجت كربة عنا بمنته  
 لا ترتجى غيره في رفع نازلة  
 ولا تسكن بسواه عنه مشتغلا  
 لك الامامة يا خلاصة العلماء  
 فشيخنا ذي التقى من شره سلما  
 له خصائصه لا تقتضى العدا  
 أصبحت له في ذرى أسنامها علما  
 قد جل في كل حالات التقى قدما  
 ورآه الله عزاً ، دائماً ، وسما  
 على موائده في حضرة الحكماء  
 وأبعد الله عنه الجرم الزنا  
 إماماً كريماً وإماماً خيماً لو ما  
 عرض بك كرامته ، وانظر السيام  
 وتنظر المتقين بقلوبهم سر مبسما  
 وبغضه تهمه بها الشقى وسما  
 كم قد أفاض علينا في الورى نعمنا  
 وعم بالجود من وفى ومن ظلما  
 وكم أعان ، وكم عفى ، وكم رحما ؟  
 يبقى الهدى عنك والاحسان منصرما  
 لكي تنال التقى والفوز والكرما



28 MAR 2007





